كائنات هشة لليل

رواية

صلاح والى

283
أصوات أدبية

أصوات أدبية

سلسلة أسبوعية

تعنى بنشر الإبداعات المصرية

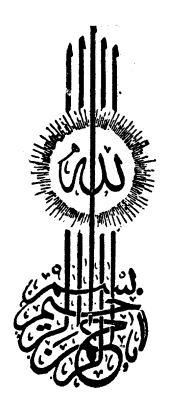
الهيئة العامة لقصور الثقافة

- كائنات هشة لليل - 283 - رواية - صلاح والى
- الطبعة الأولى السبت أول فبراير 2000

المراسلات

باسم مدير التحرير على العنوان التالى :
١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى : ١١٥٦١





(١)

سقطت الحكايات من فمه قبل أول رشفة من الشاى بحوالى حكاية أو حكايتين، وقبل إشعال النار فى قوالح الذرة بنية أو بنيتين -

وكانوا إذا اجتمعوا يكون صاحب البيت قد نوى ألا يشعل النار !!

لأن إشعال النار سيسحب خيطا طويلا من الإحراج، يتصل بالنداء على من فى البيت لإحضار عدّة الشاى، ومصمصة العدّة بالماء، وتعمير مجامع الشاى والسكر حتى آخرهما، وطيران أىّ ولد أو بنت إلى الدكان لإحضار المعسل، واستنطاع أىّ واحد من هؤلاء وتصريحه كذبا بحاجته إلى الطعام، فيلعن صاحب البيت أجدادهم، فينادى حفيد أىّ ملعون منهم على من بالمنزل فتخرج الزوجة فيحرجونها بالكلام عن العشاء، فيجرحون

مشنة العيش وحلّة الطبيخ وجرّة الجبن بأكلهم الذى بلا مناسبة.

لكل هذا لم يكن صاحب البيت يريد إشعال القوالح، بينما يتمنى كل واحد منهم أن يشعل صاحب البيت قوالح الذرة لترتفع النيران بالمطلوب.

ولكن اليوم واليوم فقط، واليوم بالذات، فلابد من إشعال قوالح الذرة.

– الأمر لله.

صعد شكرى أبو على على سطح الدار بالسلم النقالى ولم ينس أن يلعن فى كل مرة عمك عثمان النجار الذى ادعى أنه خرط عفش الملك فاروق بينما هو فى الحقيقة نجار سواقى قديمة والذى لا يستطيع أن يدق مسمارا ليعدل خشبة السلم المكسورة.

صعد شكرى إلى سطح الدار وسار حتى تأكد أنه فوق حجرة الفرن بالضبط، ورفع قش الأرز قليلا، كانت نائمة كشموع بيضاء فى مقام الشيخ أبو خليل العسكرى، محمصة ومدفونة تحت سطح القش ليوم

عصيب مثل هذا اليوم، وحتى لو أمطرت الدنيا زلط طوال حياتها فلن يصل إليها الماء.

ملأ حِجْرَهُ بقوالح الذرة ودفن الباقى مكانه ونزل على السلم وحاذر من الخشبة المكسورة والغير مثبتة، فأحس بالحرارة تصعد على جسده.

- هريسة.

ردت هريسة من داخل الزريبة، ولكنه لم يسمع إلا همهمات.

- هريسة.

- ارحمنى يا شكرى.

جاء الرد قاطعا مستعطفا متوعدا وأكملت.

- يا فتَّاح يا عليم فى ابن الدايبة، نعمين يا روحى، أوامرك يا باشا؟، بناقص حلابة الجاموسة، أحلبك يا سعادة البيه؟

انهزم شكرى ولكنه لم يسلم بالهزيمة وكانت هى قد حضرت وذراعاها مشمران فأصبح شكرى أمام الأمر الواقف فى مواجهته.

– هريسة يا هريسة، السهرة الليلة عندى، حذرى فزرى، الضيوف مين؟ وقبل أن يكمل كلامه الذى يتراوح بين الرجاء والخوف انطلقت.

– ضيوف؟ ...... طبعا حضرة المأمور حنكش، ووكيل النيابة عبده الصغير، وحضرة العمدة حميد الطبال، وشيخ البلد حسينى أبو هميلة، مع الست نعيمة الفرس، والست الكُمّل عواطف المحّسسة، والأستاذ قراجة جمعة والدكتور حامد البلاسى، ومعهم حامد دائب الشكوى، وريس القاعدة حضرتك طبعا ألف نيلة سودة علىّ و ....

– ملعون أبوكى مرة .... افهمى يا بقرة.

– تسلم ، قول يا ملك يا سبع، يا سيد الرجالة.

– أوه .... أعوذ بالله من غضب الله، معنا الليلة الأستاذ محمد عثمان بتاع مصر.

– تقصد بتوع السماعنة.

– أيوه يا فالحة ياتلتين جسمك طيز والباقى..

– تسلم ملافظك، سمعنا يا أخى التربية المحترمة.

– افهمى السهرة عندى الليلة، والحشيش والأفيون

للركب والفجرية ستكون فل عليك والله ستكونين هريسة يا هريسة.

– وفر تعبك أنا مبسوطة من غير الهباب.

– والله سيملأ صراخك الشارع ... / ارحمنى يا شكل، شكل يا شكرى بالراحة ياوله..

– اخص عليك والله بعد اليوم ولا كلمة يا دمك التقيل عيب عليك / وبعينك بعد كده.

– يا هريسة يا روحى .

– يا سيدى أنا فاهمة، لبن، جبنة قديمة، بيض، قشدة، عيش طرى وملدّن...

– يا سلام لو حق سلمون.

– نعم يا روح أمك؟ أبوك كان الخديوى؟

عيش عيشة أهلك يا حبيبى، أنا مدبوبة فى الجلّة من الصبح وأنت نايم.

– علشانك يا روحى بأجهز نفسى.

– يا أخى غور من قدامى الساعة دى، مفيش ورانا إلاّ الهباب، شكرى شوف لك شغلانة بعيد عنى وبعدين يحلها

ربنا.

هزم شكرى أشد الهزائم فرفع تكة لباسه إلى أعلى وعوج الطاقية وهرش فى عرق الهيافة، وقال فى سرّه.

– والله يا بنت الكلب لأعلمك الأدب، حاضر يا هريسة، والله الليلة سأسد كل منافسك الليلة ولن أترك ثقبا واحداً إلا ودخلت فيه، وسأجعلك تصرخين ككلبة.

ولكنه كان مطمئنا أنها ستقوم بالواجب، ولكنه لم يكن متأكدا فهى لها حالات وساعات وهل ينسى ليلة (السريع) مثلا.

بعد أن شربنا السريع وانبسطنا وكنا فى مزاج الفل الغالى بالقوى، دخلت عليها.

– هريسة.... هريسة.

– نعم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

– أنا شكرى.

– والله العظيم... كويس إنك فاكر اسمك.

– يا بت أنا شكرى ... ياالله خدينى جنبك.

– نام الفرشة واسعة.

- أنا عايز الحتة الضيقة.

- نام الله يهديك.

- يا بت عيب.

- حوش إيدك.

- خلاص علشان شكرى.

- طيب أهوه استريحت .... أعوذ بالله ريحة بقك خرة

- عيب ... عايز أخلص بسرعة وأطلع للرجالة بالعشا وسعى أخلص نفسى وبعدين...

- يا نهار أسود؟ عاوز تنام معايا والناس فى الأودة اللى جنبى، وكمان عشا؟

- ربنا يخليكى بلاش فضايح.

وخرجت هريسة غاضبة دون لباسها وأسدلت الجلباب عليها وزعقت.

- عيب يا ناس

قال حنكش : - لقمة على ما قسم.

قالت : - لأ يا حبيبى روّح على داركم.

- عيبة قوى فى حق شكرى.

– حُقَّكْ وَاقِعْ .. احنا قابلين العيبة مع السلامة يا عورة

خرج حنكش أعور العين ولم يخرج شكرى من مكانه وكانت ليلة مثل قرون الخروب، حاول شكرى بعد خروجهم تعنيف هريسة والزعيق لها ولكنها دفعته فى صدره فوقع على الأرض ففضل التظاهر بالنوم حتى نام وهو مبطوط على الأرض، وقلق فى الليل فوجد نفسه نائما على الأرض فأحست به هريسة فأخذته فى حضنها فتحسسها فى دفء الفراش فاستجابت له وغمرته بالقبلات وأطلقت شهوتها عليه فصرخ:

– أحبك يا يا هريسة... يارب خلى هريسة ألف سنة علشان شكرى حبيبك.

وعندما قابل شكرى أصحابه قال لهم :

– سأقول لكم على السر، هريسة كانت تريدنى من الصباح وأنا أماطل وزوغت فى الغيط حتى آذان العصر، ولما بدأنا السهرة بالسريع قلت لها الليلة ليلتك فنامت تنتظرنى، ولما دخلت عليها لتجهيز العشاء أخذتنى فى

حضنها وافتكرت أننى جئت لها وخلعت لى جلبابى حتى صـرت زلط ملط فـقلت لهـا الناس فى الأودة فـقـامت وطردتكم، فقولوا لى كيف أخرج إليكم ملط يا أوباش؟

وحياة النبى جعلت هريسة تزغرد وتبكى وركبتها حتى صلاة الفجر وهى فرس حرون و ...

فقال حنكش : - يعنى أنت شكرى الملط.

- الكلام واسع وكبير عليك يا شكرى.

- الحقيقة يا شكرى إن الضرب بالشبشب أخد من جسمك حقنا.

انتفض شكرى غاضبا :

- والله غلط هريسة ليس عندها شبشب، ثم هى لم تضـربنى ولكن لكزتنى فى صـدرى دلع يعنى، فـوقـعت بكيفى على اللحاف ثم والله العظيم عملنا عمايل أحسن من الملك فاروق الذى كان يأكل الخروف المقطر فى كوب صغير ليركب النسوان الخواجات.

دار كل هذا فى دماغ شكرى فماذا يفعل مع هريسة وهى لها حالات؟

كان شكرى قد صعد على سطح البيت مرة أخرى سرح شكرى فى جريد النخلة التى تخترق السطح وينام تحتها وهى تسمع دقات قلبه ووجد أن النخلة بجريدها تشبه رأس هريسة بعد أن تكون معه ورأسها منكوش فابتسم فوجد وجه هريسة على النخلة يبتسم له فمد يده من فتحة الجلباب وهرش وأغمض عينيه يبحث عن هريسة.

....

– شكرى .... يا شكرى .. الناس تحت فى الأودة.

قام من نومه فزعا.

– ناس؟

– أصحابك يا أخى والأستاذ محمد.

– والله العظيم ؟

فتح شكرى عينيه فوجد هريسة عروسة تلبس جلبابا جديدا ونظيفا وقرطة حمراء بورد زادت وجهها جمالا ففهم أنها ستشرفه الليلة.

– الناس تحت عندهم المعسل والشاى.

- ربنا لا يحرمنا منك أبدا .... كملى جميلك يا هريسة.

- قوم الناس تحت.

وشدته من يده فقام ووضع يده على كتفها فأحس بفرح غير عادى.

- هاتى بوسة يا بت يا هريسة روحى حتطلع عليكى.

- اسكت يا شكرى احنا فوق السطح.

- الدنيا مغرب ... بوسة قلبى حيقف يا شيخة.

- خد .... رد روحك يـ ..... يا ابن الايه ....

خلصت نفسها من شكرى وجرت، ووقف شكرى وكان الودّ ودّه أن ينام معها فى قش الأرز على السطح ولكنها انفلتت منه كالمهر الحرون ونزلت على السلم فتبعها شكرى.

هرول شكرى وضرب وجهه بماء من تحت الزير ودخل عليهم وهو يمسح وجهه بطرف جلبابه.

- السلام عليكم... مية مسا على العيون المنغمسة.

- عيونك أنت المنغمسة .... يا أخى نايم وعندك

ضيوف؟

قال شكرى بخبث : - وقعت فى المحظور وقفلت علىّ الباب بالنهار.

- فار فى مصيدة؟

- حمار فى مطلع.

قال حنكش : - فشر علىّ الطلاق كان يقطع الزريبة وينظفها.

قال شكرى : - أنتم فى كرم ضيافة الأستاذ محمد عثمان.

: - شكرا يا شكرى.

اهتز قلب شكرى عندما رأى الشالية مشتعلة بقوالح الذرة، وعدّة الشاى نظيفة والجوزة مغسولة، فدعا لهريسة بطول العمر.

دارت الجوزة عشرة أدوار وبصموا كل الأدوار وشكرى يشرب ويكتم وكذلك أصحابه، ثم ناولهم الأستاذ محمد سنة حبّة سمسم من الأفيون فقال حنكش : -

- بعد العشا.... الأكل يفسد الأفيون.

قال شكرى محاولا أن يبعد موضوع العشاء عن السهرة.

– صلوا على النبى.

– عليه أفضل الصلاة والسلام.

أكمل شكرى : – صحيح يا أستاذ محمد إن حسن أبو عبد السلام زار سيدنا الحسين وسافر إلى مصر وشاف بنات مصر؟؟

رد محمد عثمان : – صحيح.

قال حنكش : – مع من ؟

– والله فى أول الأمر كان مع أخيه الدكتور محمد، ولكن الدكتور محمد تركه سهوا إما فى باب الحديد أو فى شبرا الله أعلم؟

– حسن انزنق فى باب الحديد.

– لأ تاه.... أنتم عارفين إن الدكتور محمد رجل هيليهلى، هو لم يتذكر حسن أبدا، وكان معه شيل كثيرة ولكن عندما دخل علينا عند بيت على أبو صلاح فى شبرا بعدها بحوالى ساعة تذكره ثم دخل علينا حسن.

– كان معه العنوان ؟

– لأ ..... طبعا حسن لا يعرف عنوان ولا غيره والحكاية بعد الصلاة على النبى كالآتى حسن عبد السلام لم يخرج من باب دارهم إلاّ للغيط، ولم يخرج من حدود الغيط إلاّ للجامع وفى بعض الأيام يبلغ به الطيش مداه فيذهب إلى الجبانة لتشييع ميت، فتصير هذه المرة تاريخا عند الناس فيذكرون مثلا قبل أن يذهب حسن إلى الجنازة، ويصير هذا اليوم من أيام السكاكرة المعدودة، فمثلا تقول الست البوخارية إن آخر جنازة اشترك فيها حسن كانت جنازة الشيخ الحصرى وكانت الدنيا تمطر فى عزّ الصيف وإن كان بعض المجانين يقولون إن حسن كان يركب غوايته أو تركبه وتسير به إلى شريط السكة الحديد ويقف هناك ليتأمل هذا الكون الشاسع، وإن كان هذا يتلف تصوره عن الماوراء السكاكرة، فهو يعتقد اعتقادا جازما أن خلف حدود السكاكرة فراغ وأن الآخرين القادمين من الماوراء إما أنهم متوحشون أو بأقل القليل ينقصهم الشىء الكثير، وبصعوبة شديدة وبعد

هزائم متكررة اقتنع بأنهم ربما يزيدون قليلا على الناس هنا، مثل زوجة على أبو صلاح، ولهذا لم يفكر رغم الأربعين خريفا أن يتحرك خارج دائرته.

ولكن دوام الحال من المحال / طبعا فاهمين الكلام ؟

– يا أخى فاهمين بلا شغل البندر علينا، المهم حسن.

– قلنا لكم دوام الحال من المحال، فقد سافر إلى القاهرة أخوه محمد وهو صغير وظل بالقاهرة إلى الآن، كما أن على أبو صلاح خرج من السكاكرة وهو شاب ومازال بالقاهرة إلى الآن وإن كان خرج متسللا ليلا فقد عاد بعد آذان الظهر راكبا سيارة نصفها أبيض والباقى أسود ومعه الشيء الكثير وزوجة بيضاء ست الستات وفى يديها ذهب وأساور وفى رقبتها أيضا وإن كانت نسوة السكاكرة قالوا إنه فالصو. وإن امرأة بكل هذا الجمال لابد أن تكون رقاصة أو جنية.

قالت هريسة التى كانت تسمع الكلام من خارج الحجرة ، وقد أطلت برأسها عليهم :

– والله العظيم الكلام صحيح... مساء الخير ....

عمتى فاطمة الكبيرة قالت : الدهب فالصو والمرأة جنية وهى فتحت كنوز الأرض لعلى أبو صلاح.

قال حنكش : - إذا كانت فتحت كنوز الأرض لعلى تلبس دهب فالصو ليه ؟

قال شكرى : شكر الله سعيكم يا هريسة، نسمع الحكاية ثم إن عمتك فاطمة عمياء عمى حيثى، وكمان عمرها ما شافت الدهب.

أكمل الأستاذ محمد الحكاية.

- بدأت الأفكار تلف وتدور فى رأس حسن طوال هذه السنوات فى البيت والغيط، وكان كلما تذكر زوجة على أبو صلاح ينتفض عموده الصلب فيخفيه فى ملابسه ويتألم من وجع أفخاذه وحاجته إلى الزواج، ولم يتكلم أو يشك وقتها، ولم يرحمه تفتق ذهنه عن حمارة الجيران كحل بديل لأن ذلك فتح له بابا من اللذة التى لم يكن يعرفها، والعذاب والخوف وتأنيب الضمير عذاب آخر، كما أن كل أخوته شقوا طريقهم فى التعليم ثم إلى القاهرة وكلما تذكر ذلك قال :

– مصر بنت كلب بطنها كبير، وهى ساحرة وكاهنة وعاملة للناس سحر فى باب الحديد من يدخل لا يخرج ولو خرج يعود إليها حالا.

وعندما قلت له أنت تعرف باب الحديد يا حسن قال :

– بيقولوا .... أهه.

بقى حسن فى البيت هو وأمه الحاجة والحمار والحمارة وجمل وجموستان وبقرة ومراح غنم وماعز خلاف الطيور والعجول الصغيرة والحمام ساكن البرج وحبيب العشاق، قالت له أمه الحاجة :

– لابد أن تتزوج يا حسن.

– حاضر يا حاجة ... لكن أزور الأولياء أولا.

وكان خاطره أن يبحث له عن زوجة بيضاء مثل زوجة على أبو صلاح وتلبس الذهب .

قالت له أمه : – أنت مبروك وطيب يا شيخ حسن.

زعل حسن جدا وأحس أنها تقول له إنه أهبل وهطل، فزعق فى صمته – أنا لا مبروك ولا حاجة المبروك هو على أبو صلاح.

جاء الدكتور محمد فى زيارته الشهرية لهم فقال حسن:

- محمد .... عايز أروح مصر أزور الأوليا.

- اسكت يا حسن.

وكمل محمد حديثه مع أمه، إلاّ أن حسن لكزه فى جنبه.

- عايز ..... يمحمد .... أروح مصر.

- يوه ..... حاضر، طيب.

- حق حقانى يا وله.

- يا أخى اسكت تروح فين؟

- مصر.

- المرّة الجاية يا حبيبى.

- لأ .... المرّة .... دى.

- اسكت يا حسن.

تدخلت أمه الحاجة : - خده معك يا محمد، يزور الأوليا ويتبارك ونزوجه بعدها، أنا كبيرة وشغل البيت كثير علىّ.

- حاضر يا حاجة.

وكان الدكتور محمد يعرف فى قرارة نفسه أنه لن يأخذه معه حتى ولو قامت القيامة، لأن الشيل كثيرة وهو سيأخذ جزءا من الشيل لهم وآخر لبيت على أبو صلاح نظير خدمات زوجته لهم وخاصة وأن الشقة فوق الشقة، فكيف يتصرف فى حسن؟

ثم إن عمله فى المركز الأهلى للبحوث يأخذ كل وقته؟، وليس لديه ساعة واحدة إجازة وإجازاته التى يذهب فيها إلى أمه هى بدل الجمعة، فهل يأخذ يوما بالخصم من أجل عيون حسن؟

قال حسن: - خلاص يا محمد أجهز البلغة والجلابية.

- خلاص خلاص خلاص أعوذ بالله من طبعك.

قال حسن بانكسار : - عايز أروح مصر زيكم يا أخى وفى الصباح كانت الحمارة تحمل القفف على الجانبين وحسن يسير بجوارها ومحمد قد سبقهم إلى المحطة.

ركبوا قطار السادسة وخمس دقائق وتركوا الحمارة تعود إلى البيت بمفردها فهى تعرف الطريق.

أخذ حسن يتفرج من نافذة القطار على بلاد الله خلق الله حتى وصلوا إلى محطة شبرا، فوقف محمد وحسن بجوار الشيل على الباب، ولكن محمد لمح فى نهاية العربة امرأة بيضاء، سار إلى هناك (يمكن ربنا يسهل)، ونزل محمد بالشيل فى محطة شبرا، وسار القطار.

غرق حسن فى جمال المرأة وفى فتحة صدرها - كما حكى لى - ووقف حسن مبهوتا عندما تذكر الدكتور محمد أخاه حسن نتر يده فى الهواء وقال: يضيع أحسن ونظرت المرأة إلى حسن الذى لم يجد طرف خيط الكلام ليمسكه ويجرجر المرأة فى الكلام ليعرف أهلها وغيطهم والنسب وكل هذه المواضيع، ولكن توقف القطار عن السير فوقفت المرأة وسارت باتجاه حسن وكل خلق الله الذين بالقطار تركوا أماكنهم وقاموا خلفها ونزلوا معه من الباب وحسن يتبعهم، ولكن الناس تفرقوا والمرأة اختفت فوقعت الحسرة فى قلب حسن وعندما رفع رأسه إلى أعلى وجد نفسه وجها لوجه أمام باب الحديد؟

خاب أمل حسن للمرة الثانية فقد كان يظن أن باب

الحديد بابا كبيرا وغليظا يقفل على أهل مصر ولكن وجده سورا رفيعا يمكنه أن يقتلعه ويرميه فى الأرض، ثم دار حوله لعله يجد الأقفال التى تغلقه بالليل حتى لا يسرق الغريب أهل مصر، وأحس محمد بخوف لا حدود له على أخوته، واحتار ماذا يفعل؟

رأى الناس ترفع يدها أمام عربات نصفها أسود والآخر أبيض وتميل رأسها إلى الداخل وتقول كلمات فإما تركب أو تمضى السيارة بدونهم.

غرق حسن فى بحيرة حزنه فى باب الحديد.

قال حنكش يستعجل الحكاية : - لكن كيف وصل حسن إلى بيت على أبو صلاح؟

قال محمد عثمان : - دق الباب دقا شديدا كأنما الذى أمام الباب يريد أن يكسره قلنا من الحمار الذى يترك الجرس ويدق على الباب هكذا؟

فتح الدكتور محمد الباب، وكان حسن هو الداخل وكان مفاجأة لنا لدرجة أننا لم نفاجأ، ودخل علينا ضاربا أخيه الدكتور محمد.

– والله يا ابن حفيظة سأقتلك، تترك أخاك حسن حبيبك وتمشى يا مجرم حرام عليك ياوله، العيش الطرى والسم الهارى (الزفر) يقطع قلبك .... يا واد مش خايف أموت فى مصر يا ابن حفيظة؟

قمت من مكانى وأخذت حسن فى حضنى.

– اقعد الله يهديك يا حسن، خير إن شاء الله ، الحكاية يا شيخ حسن، الناس فى البلد بخير؟

تنهد حسن ومسح دموعه بطرف جلبابه.

– قلت للمجرم محمد أخويا أزور الأوليا، ولكن تركنى فى مصر لأنى فلاح ولا يحب يمشى مع واحد لابس جلابية، لكن حفيظة أمى قالت خذه معك يا محمد، ونزلنا فى آخر القطار لما وصل ودوّرت عليك كتير.

قال محمد بدون اهتمام : – يعنى كلب سيأكل رأسك؟؟ يا أخى ضيع مفيش حد عايزك، والله نسيتك يا حسن.

نظر إليه حسن ثم نظر إلى زوجته على البيضاء، ولكن انفجارنا بالضحك أفاق حسن فقام ليضرب محمد مرة

أخرى ولكن على أبو صلاح أمسكه وقال له :

- قل لنا يا شيخ حسن عرفت تصل إلى البيت وحدك وأنت لم تنزل مصر أبدا.

نظر حسن ناحية المطبخ إلى زوجة على وقال :

- عايز.

قال على أبو صلاح : تتغدى؟

قال حسن بعد مراجعة : - شاى.

دخلت زوجة على ووضعت البراد على النار ووقفت على باب المطبخ تسمع الحكاية.

قال حسن : - وقفت فى باب الحديد وناديت على عربة أسود فى أبيض فوقفت.

فقلت لصاحبها : بالأمانة الصعبة تقعد لك فى برنية السمن وقفة الدقيق عايز أروح بيت على أبو صلاح له محل فول وطعمية فى شبرا.

ضحك الرجل كالنسوان وقال : - من ترك هؤلاء المخاليق فى الشوارع، الواحد يخاف على أولاده و ....

قلت لواحد وواحد إلى أن جاء رجل كريم وقلت له :

- بالأمانة الصعبة .... سلاموا عليكوا الأول .... بالأمانة وكيت كيت.

الرجل قال : -أنت من الشرقية يا حاج ؟

قلت : - آه.

قال : - اركب.

ركبت بجواره وقعدت أقرأ الفاتحة للحسين والسيدة والإمام والأولياء والناس الطاهرين.

فقال : - انت قريب على أبو صلاح ؟

قلت : - آه.

قال : - أنا ساكن عند على أبو صلاح.

قلت له : - أنا أخو الدكتور محمد بن حفيظة احنا الاثنين من بطن واحد.

انطلقت الضحكات منا وهو يشرب الشاى.

فقالت زوجة على : - ركبت مع حسين السواق، وأخد منك فلوس؟

قال حسن بدهشة : - لأ .. إحنا قطعنا تذكرتين من عبد الله أفندى ناظر المحطة.

انطلقت الضحكات مرة أخرى، أخذت زوجة على كوب الشاى الفارغ وجلست أمامه على الأرض فأخذ يتأمل أفخاذ المرأة ومدّ يده من فتحة جلبابه وتذكر كل حمير السكاكرة.

فقالت له : – حلو.

فقال : عسل .... عايز أشوفه.

قالت : – كان فى إيدك منْ شوية، أعمل لك شاى تانى؟

انتبه حسن لحاله فقال لها : – الله يخليكى يا ست.

دارت الجوزة وشد الأستاذ محمد وولع فانقطع تدفق الحكاية.

قالت هريسة وصوتها يأتى من خارج الحجرة : – حرام عليكم، حسن طيب وابن حلال.

قال حنكش : – حسن جوز الحمارة؟

قالت هريسة : – الملافظ سعد يا حنكش، الله يخرب بيتك.

قال حنكش – أنا مالى؟ حسن عيّط بالدموع لما

الحاجة حفيظة باعت الحمارة.

قال شكرى : – الأحسن يحكى حسن لنا عن مصر.

قالت هريسة : – أنا مستعدة أنادى له ، ولكن من غير حكاية الحمارة، ولا أحد يهينه أو يجرحه، حسن فيه شيء لله.

قال حنكش : – فيه أيه ؟ وقد أيه؟ متر، دراع؟

أخذت هريسة طرحتها على رأسها وخرجت والجوزة سكرانة تدور وتلف، والشاى فى البراد يغلى، ومحمد يقطع ويرص.

كان يدرك أن هذه الحكايات التى سمعها أو حكاها هى نور عينيه وغذاء روحه فرشف باقى كوب الشاى.

استأنف محمد عثمان حكايته عن حسن فقال :

– والله خالى جميل أبو جبل كان سيموت من الدهشة عندما قابل حسن فى قصر النيل.

– حسن أول ما شطح نطح.

– حسن أهبل وحرام عليكم.

– يا دين النبى قصر النيل؟

دخل حسن تسبقه هريسة وقد احمر وجهها وهى تضحك.

- سلاموا عليكوا، ازيك يابو عثمان، يا سيدى قاعد هنا واحنا هناك؟

أنا ابن عمك يا أخى؟ الله يسامحك يا مصر شوف قلة القيمة؟

قال حنكش : - اقعد يا حسن يا أخى.

عدل حنكش طرف الجوزة على فم حسن.

- مساء الخير.

- لأ السلاموا عليكم (وهبّ حسن واقفا).

- اشرب يا حسن (قالها محمد عثمان وأمسكه من جلبابه).

شرب حسن وشرب حسن وشرب حسن، وكان يشد الأنفاس ويكتم دخان الحشيش الأزرق حتى دخل فى دوامات التوهان، بدأ حبل حذره ينفك قليلا وكان حنكش يرقبه كالصقر، وحسن كلما أحس بالخدر فك حبل حذره بنفسه حتى وضعه بجواره.

قال حسيني : – والله مصر أم الدنيا .... حلوة يا أخي.

قال حسن : – انت تعرف مصر يا حسيني يا مغفل؟

قال حسيني : – أعرف أولياء الله الصالحين، الحسين، والسيدة، والرفاعي، والإمام.

قال حسن : – رُوُحْ روح مصر حاجة تانية خالص.

قال قراجة : – يا سلام ؟ إزاي يعني ؟

قال حسن : افهم يا قراجة يا عبيط مصر كبيرة وحلوة، بس لا تفهموا الحكاية.. وبكى حسن بحرارة، فقدم إليه محمد عثمان سنة الأفيون ومدّ له شكري بوصة الجوزة،.

قال حسن : – أنا رحت مصر مع محمد أخي بعد أن تحايلت عليّ الحاجة حفيظة أمي، تحايلت عليّ شهرين وأنا أقول: لأ يا محمد، فقالت الحاجة حفيظة: روح مع محمد يا حسن (كلام الحاجة أوامر)، فأنا قلت أروح أزور الأولياء وأصلي في الست.

قال حسيني : – وقابلت هناك خالك جميل أبو جبل في

قصر النيل.

قال حسن : - قصر ؟

ولا قصر ولا حاجة، وبعدين أنت شبه ابن الحمارة دائما يمشى قدامها ويوقعها، ويلعبكها فى المشى، وكيف دخلت فى الكلام؟

كتم شكرى ضحكة توازت مع ضحكة هريسة التى قالت :

- يعنى حسينى حمار؟

قال حنكش : - حمارة!!!

فانطلقت الضحكات مرة أخرى.

تنحنح حسن وقال : ضاع منى محمد فى مصر فذهبت إلى مقام الحسين والسيدة، وأنا ويلى ويلين أكمل الزيارة أو أدور على محمد؟ طبعا حاجة صعبة، ومحمد أخى من يومه وهو أهبل وعبيط وعقله قد حبّة الفول علشان كده علمناه دكتور فى مصر (تأمل حسن وقال):

سرحت فى الشارع من ناحية إلى ناحية جرن عربات وشروكه (شركات) وسرايات وكلها قزاز فى قزاز، وفيها

من خيرات الله وفيها النسوان لابسات هدومات قالعات ورا القزاز تغمز لك بالعين والحاجب وتقول لك خش، وعيال شبان واقفين ورا القزاز، وأنت تحسب بعقلك الصغير أنهن أموات ولكن حق حقاني، لو تأملت لضحكوا لك وغمزوا بالعين، نسوان جميلات أحسن من مرات على أبو صلاح ألف مرة، ولكن كلهن من غير جديلات، شعرهن قصير تدق فيه الحريقة جنيات ورا القزاز، ولو بعقلك الصغير فكرت تسرق أو تخبى أى شىء فالحريقة تدق فيك من السرايات والشروكة.

والشارع بالقزاز الأسود ما فيه حبّة رمل واحدة، ولو بصيت وطَقَّسْتَ تشوف منخورك وعينك وبوزك والعِمَّة وكافة كل شيء، فالقزاز رايق كعين الكتكوت، والنسوان حلوات ومهلبيات وقشطات وهن ماشيات يتمايلن كداهه كَداهُه، وكل فلقة تنزل والثانية تطلع ويبصون عليك- شايف؟ - بعيون فيهن الحرام، وتلمع وتسرن تخبطن إيدهن فى حاجاتك وتضحكن كالفرس الحرون.

وأنا مسحور بهن وأقول فى نفسى : آه يا حسن لو

معك جمل كنت حملتهن وسرت بهن، آه النسوان لابسات الهدوم الكشف واللحم يتفزر تفزيزاً من شقوقهن، وهن بيضات وجه لبن حليب، خامرات البدن بعرق عيش الخبيز، جسدهن مترد لنب خاتم، ساخنات كما ضرّة جاموسة حانّة للحلب.

مشقوقات الصدر والظهر وعلى الوركين، والصدر عليه منجات والظهر بطيخات وحاجات ، وكلهن يقلن فى سرهن: ياحسن ياحسن.

وأنا أقول : هش... ابعدن هناك.

خايف اعبطهن فى الشارع وآخدهن من أيدهن وأجرى،.

كيف تصوّر لو أنك صحيت من النوم لقيت واحدة منهن فوق فرشتك؟

كيف تصوّر يا صغير العقل؟

كيف تصوّر لو أخذتك واحدة منهن إلى سرايتها وقلعت هدومها كما ولدتها أمها بالليل، كيف تصوّر يا حسن؟

والله كنت أقلع هدومي، وأبص على الجسد ماجور العجين الخمران وأرقع بالصوت وأبكي بالدم وأقف وقفة العاصي أمام ربه وأقول : رحمتك يارب.

آه .....

النسوان ها دول لا أحد يلمسهن، ولا يأكلن إلاّ العسل واللبن مهلبية، ولا يفعلن مثل الناس يمكن يفعلنها هريسة (ضحك الجميع لكن حسن لم يأخذ باله واستمر) هن نسوان لا يمكن تنام معهن ولا تعوص هن... لا ... لا.. دول كالحلم... كالشوق كالوجع.... كالنداهة، كضاربات الكبة، هن الغواية، والغواية تحس بهن ولا تلمسهن، وهن ينادين يا حسن يا حسن.

وأنا ألف من بعيد وأدارى حالى، ولكن ما باليد حيلة، وعدلت حالى خوفاً من الفضائح وهن عارفات ويضحكن ويقلن حسن ولد يا حسن.

والعربات كمراح الغنم يَتَكَرْبَسْنَ فوق بعضهن تكربيس كِيشِنْ كيشن، ويسرحن جرى ورا بعض جُرُو جرو، وأنا واقف أبص وأتأمل، لحته واقف هناك.

ملك، ملك، والله العظيم ملك!!

يا سـلام عليـه واقف على رأسـه الطنجـيرة كـمشنة العيش، ولابس أبيض فى أبيض، وعلى كمه خطوط سكك سوداء وبيضاء، وفى خاشمه الصفارة، حين يصفر عليهن يتكربسن ورا بعضهن ما واحدة تقدر تفلت أو تعدى الخط أو تطلع على الرصفان، هو يعرف كل واحدة رايحة وين، ومين صـاحبها، واسـمه، وإذا واحدة شردت يأخذ اسم صاحبها ويعمل له حق عرب.

صفر لهن فتكربسن.

بص ناحيتى و شاور من غير كلام يعنى تعدى يا حاج حسن؟

شاورت له بيدى وقلت :

– الله يسهل مصالحك.. توكل على الله... ما بدى.

صـفـر لهن انطلقن كـمـراح غنم على ظهـره عـصـا الراعى، وهو مشغول بهن، وكان الله فى عونه.

قلت والله فى المرة الجـاية أعـدى.. لا أكـسف الرجل أبدا ولا أكسر بخاطره، صفر لهن وما بص ناحيتى!!!

قلت : ليش زعلان يا خيّ.

ورميت نفسى فى بحر الشارع ومشيت على الناحية الثانية ووقفت وقلت :

– كيف أرجع بيت على أبو صلاح.

شاورت لعربة وقلت له بالأمانة الصعبة ما تعرف دار على أبو صلاح.

قال لى : خلصنا العنوان.

– شبرا بيت على أبو صلاح.

سبنى وطار بالعربة لأن الملك صَـفَّـر .... قوانين قوانين، طار من قدامى وأنا أقول يا سيدة، يا حسين، يا رفاعى، أنا طنيب النبى لا تتركون حسن حبيبكم فى ها الحالة، كيف يا ناس الأولياء لا يريدون سماع حسن؟

محمد أخوى ضاع منى ، وأنا تائه شوية، كيف يا رفاعى تترك حسن حبيبك؟

كان الملك يصفر ويسكت ويصفر وأنا أسأل العربات وأسمع الشتمات والكلام الفارغ، وقلت ما فى رحمة خالص فى مصر؟

قلت الناس تسير وهو الذى يعرف، والله أسأل الملك، قلت أعدى أسأله وأرجع، زعقت : يا نور النبى ، يا حسين، يا أم هاشم، مدد لا تتركون حسن أخوكم، ورميت نفسى فى الشارع وسط مراح الغنم، وزعقت العربات، وكلبشت فى الأرض وسمعت الشتيم من كل الناس حتى الملك كان يشتم، قلت : لا عتاب تعبان، وفى وسط الواقعة كانت كالحمامة البيضا ترفرف من بعيد، يا نور النبى.

– حسن يا حسن.

– خالى جميل أبو جبل ؟

وجريت ناحية عربة خالى وكانت واقفة كالحمامة البيضا، فتح الباب فركبت ولما جاء الملك قال لخالى كلاماً فقال خالى له كلاما، فهو يعرف خالى، ومن فى مصر لا يعرف خالى جميل؟

سار بالعربة وقال لى : – كيفك يا حسن؟ ، وين رايح يا ولدى؟ ، مع مين هنا ؟ بكيت بحر دموع نبع من الصحرا الجفاف، كما حبات عقد انفرط هلت دموعى

وقلت :

- محمد بن حفيظة يا خال ضاع منى وأنا أدور عليه من الصباح ، ضاع الولد الخلبوص فى مصر، ضاع يا خال.

قال خالى وهو يضحك: - لا تحمل هما لمحمد يا حسن، على فين العزم؟

- بيت على أبو صلاح.

زاغ خالى بالعربة كما قرموط سمك، وقال : - انزل سلّم على الجماعة.

ووجدتنى أمام بيت على أبو صلاح قلت : - شاطر يا خال.

فمدّ يده فى جيبه ووضعها فى جيبى فقلت : عيب يا خال.

قال : - حسن.

قلت : - حاضر يا خال.

والله لا أنا ولا محمد بن حفيظة ولا الجن ولا حدن يعرف هذا الشىء وأنا أخذتهن ولفيتهن فى المنديل

ووضعتهن فى الصديرى، وبوست يد خالى جميل، وأنا عاينهن إلى اليوم فى مكان غويط لن أقول لكن عليه.

قال : – انزل يا حسن.

نزلت ودخلت البيت.

قال حنكش : – وبعدين يا حسن؟

– خلاص.

– لكن الفلوس ممكن واحد يأخذها يا حسن.

– مين قال فلوس ؟ أستاذ محمد؟

قال محمد عثمان : – لا والله يا حسن أنا لم أتكلم.

قال حسن : – مين ابن كلب مدّ يده فى زلعة الدقيق السوداء وأخذ الفلوس؟

هبّ حسن واقفا يحس بالمكر والخديعة ونحن لا نعرف موضوع الفلوس ولكن محمد عثمان قال : – سيجد اللفة كما هى، لكن يارب لا يفتح اللفة وإلاّ كانت مصيبة.

***

يلاحظ أن اللهجة التى يتكلم بها حسن عبد السلام هى لهجة موجودة إلى الآن فى السماعنة بالشرقية.

(١)(ب)

لما خرج حسن عبد السلام باحثا عن نقوده، نزل الصمت الأخرس على الجميع وكان صمتا ثقيلا حتى أنهم أرخوا له أكتافهم، وتخيل كل واحد منهم أنه السبب فى خوف حسن وفزعه وكشف سرّه.

الوحيد الذى لم يتأثر بذلك هو محمد عثمان الذى شرب باقى كوب الشاى وبصم طاقما جديدا من المعسل وقال :

- خير يا جماعة الخير؟

قال قراجة بألم: - حسن.

ردّ محمد عثمان : - عفريت شيطان لا تصدق أن حسن يقول الحقيقة، حتى لو كلامه صحيحا فهى مشكلته، يا عم ولَّعْ.

تنهدت هريسة وقامت ثم عادت فقال لها شكرى : -

خير يا هريسة؟

قالت : - خايفة من العفاريت.

- العفاريت ؟

وقف الكلام بين شكرى وهريسة كما وقف على مسافات متفاوتة من الجالسين.

- عفاريت؟ إنتى مجنونة؟

- اسكت يا أخى أصل أصل أنا شفتهم يوم أن مسكوا عمك عبد الفتاح من رقبته.

قال قراجة : - صحيح يا هريسة؟

أومأت برأسها ولم تتكلم والتصقت بشكرى.

قال حنكش : - طيب نقوم نروح وأنت خد مراتك وحوش عنها العفاريت فى الأودة.

قال حسينى : - العفريت الأحمر؟

لم تنطلق الضحكات كما هو معتاد فى هذه الحالة، وزادت كثافة الصمت فتسلّل صوت محمد عثمان فأراً يقرض السكون : - قولوا حكاية عبد الفتاح.

كمش كل واحد منهم داخل نفسه وتأكد من وجود

طاقيّته على رأسه ولباسه التحتانى فى وسطه ومداسه قرب يده، فتصلّب الكلام فى الحلوق وبدأت النار تخبو قليلا فى الشالية، فتوقفت الجوزة عن الدوران والتصقت هريسة بشكرى أكثر .

فمدّ حنكش يده مزيحا الهواء والصمت بعيدا وقال :

– صلوا على النبى.

بسم الله الرحمن الرحيم، افتكرنا الزبدة قبل اللبن الحليب.

– اللهم صلى عليك يا نبى.

– عليه أفضل الصلاة والسلام.

– الحكاية إن عمك عبد الفتاح أبو السيد كان يحب الجلوس مع عمك عبد الله أبو الحياة، ولأن عمك عبد الله رجل طيب، فعمك عبد الفتاح رجل طيب ولأن عمك عبد الله عنده كتب كثيرة بها كلام يحول التراب إلى ذهب، ويحـول المرأة إلى بنت، ويرجع العـجل فى بطن أمـه، ويصبح أخوك عند أبوك، فإن عمك عبد الفتاح بص على هذه الكتب و ..

قال قراجة : - وإذا كان يحول التراب ذهب، فلماذا هو فقير؟

قال حنكش : - قِلَّةُ العقل لها ناس مخصوصة، كيف تفهم ياقراجة أنت فى مثل هذه الأمور؟ يا قراجة أنت طينة زائدة بعد مسح ماجور الخلق فنترها الخالق فى الهواء، فأصبحت قراجة، ثم إن كل شىء له شروطه ومن هذه الشروط ألا يستفيد لنفسه ولا يضر الناس ولكن ينفعهم... فاهم؟

قال قراجة: - تتكلم بالنحوى وعامل علىَّ عالم؟ والكلام الحلو من عند الست الوالدة، منْ عندها كل الحكم والمواعظ؟، ياأخى الله يكحر روحه أبوك ويقلقل الطوبة من تحت رأسه تكلم من غير حكم الناس شبعانة.

قال شكرى : - من غير زعيق خلاص تمم الحكاية ياحنكش.

قال حنكش بعد أن أحس أنهم قطعوا عليه شهوة الكلام:

- أُفْ ... أخدت رجل عمك عبد الفتاح على بيت عمك

عبد الله والدخول إلى حجرة الشغل والدعبسة فى كتبه سواء كان عمك عبد الله موجودا أم لا .

وفى أحد الأيام كان عمك عبد الله خارج البيت وعمك عبد الفتاح قعد يلعب فى النار ويضع البخور بدون قصد ويقرأ فى تحضير الجان وبدأ يعيد ويزيد فى الكلام وإذا بالأرض تتزلزل حوله والدخان يملأ المكان وصوت يأتى له ويتجسد بالطول والعرض ويقول له : – شبيك لبيك عبدك وملك إيديك ، أوامرك؟

صرخ عمك عبد الفتاح من الرعب : – يا عم أنا مالى روح لحالك.

– شبيك لبيك عبدك وملك إيديك، أوامرك ؟

– الله يسهلك مع الـ سـ لامه خـ لا ص

– اصرفنى.

– صرفتك.

– اصرفنى كما أحضرتنى وإلاّ أحرقتك.

أغمى على عمك عبد الفتاح وانسحبت روحه، ولكن العناية الإلهية أرسلت عمك عبد الله أبو الحياة الذى

شخط فى العفريت وصرفه.

وبعد أن أفاق عمك عبد الفتاح قال له عمك عبد الله : يا أخى لا تلعب فى شىء لا تعرفه قال عمك عبد الفتاح وكأنه خرج من بئر : - حرّمت والله، العفريت روّح ؟

- رَوَّحْ خلاص.

- يظهر لى تانى بالليل؟

- لأ.. خلاص.

كان عمك عبد الله قد تعلم هذه الشغلانة من خالتك حنونة ولم يعلمها لأحد والكتب بها التحضير وليس بها الصرف.

من بعدها حرّم عمك عبد الفتاح أن يذهب إلى بيت عمك عبد الله كما حرّم عمك عبد الله أن يدخل أحدا إلى حجرة الكتب.

نظر حنكش إلى كنكة الشاى وأمسكها ونظر بداخلها وإلى الجوزة المتوقفة عن العمل.

فقالت له هريسة : - حاضر، يعنى حسيس زى باقى أهلك وصاحب كيف.

قال حنكش : – لأ حشيش مش حسيس.

ضحكوا ضحكات ميتة مثل مضاجعة فاشلة.

ووضع شكرى الكنكة على النار لعمل الشاى، فأكمل حنكش : –

من يومها وعمك عبد الفتاح يخاف من خياله، وفى بعض الأحيان فى النهار يكون سائرا فى الشارع فتنادى عليه فينتفض ثم ينظر فى كل اتجاه ويتأكد منك ويرد عليك إذا أراد.

قالت هريسة : – صحيح يا حنكش، مرة كان يسير قدامى فى نخل التربة وعلى رأسى قفة الدقيق، فمالت من على رأسى، فناديت عليه ليساعدنى فى عدل القفة، فانتفض وبصّ ناحية اليمين وناحية الشمال ثم إلى الخلف ولمحنى ولكنه كان قد اصطدم بنخلة من نخيل التربة فوقع على الأرض وأغمى عليه، فرقعت بالصوت الحيانى فتجمع الناس ورشوا عليه الماء وعدلوا القفة فوق رأسى.

قال عبده الصغير : – الحكاية عادية وفيه حكايات عن

عمك عبد الفتاح تشيب الجن، .

قال حنكش : - لا تكن كابن الحمارة دائما ينط قدامها ويلخبطها فى مشيتها،

أنا لم أقل حكايات بعد، أعوذ بالله من هذه المخاليق العكرة، والله قعدتك يا شكرى طين ولولا وجود الأستاذ محمد عثمان... لكن لابد من شوك جنب الورد، وحكمته كده.

ورد عليه عبده الصغير :

- احترم نفسك يا أعور العين وجع يخرم لك العين الثانية.

قال حنكش بهدوء :

- يا سيدى اخرمها يعنى عيسى أعز من ربه؟، اذا كان ضاع عين ونص أحزن على نص؟ يا سيدى اخرمها لكن بشرط.

- قل :

قال حنكش : - تعطينى الطرّاية بتعتك ليلة سلف.

قام عبده الصغير بالبلغة ليضرب حنكش ولكن حميد

الطبال زعق فيهم :

- يا ناس عيب، الأستاذ محمد معنا، وهريسة معنا، والبيت له احترامه وما معنى الطرّاية؟ تقصد زوجته مانجة؟ يعنى عبده لا يقوم بالواجب معها؟ عيب، عيب، صحيح مانجة جميلة وطرية وملبلبة مثل طرايات الكنب البلدى وصحيح أن صوتها عالى وخاصة إذا أكرمها الله وشد عبده حيله، وكأنها مركبة فى صوتها عصافير ونار تفح عليك كالحية، وتحس كأن عبده يطاهرها من شدّة الغنج، والله كل صلاتنا فى المسجد باطلة ولا تنفع ولا تشفع، وكلما سمعنا صوتها فى الصلاة كل واحد منا يخرج من المسجد وهو يحمل مانجة على سيخه الحديد أمامه، ويفعل مع امرأته على أنها مانجة، عيب ثم عيب كل الكلام فى حق الناس وفى عبده وأل منزله وهو صاحبنا ياحنكش.

قال عبده :

- يا سلام ... حكيم زمانك يا طبال الكلب يابن الكلب تتكلم على ستك مانجة ولحم أكتافك من خيرنا، اتق شرّ

من أحسنت إليه، عيب يا أخى اسأل مشنة داركم وجسد عيالك وامرأتك والآخر تتكلم عليها، أنا لن أمدّ يدى عليك لكن لابد أنها تضربك بالشبشب قدام الجامع.

قال حميد : - الله يلعن أبو شغلة الطبال علشان كل واحد يقول لك لحم أكتافك زفت، احمدوا الله أننى آخد حقى منكم ذرة وقمح وعيش، المفروض لى مرتب أول كل شهر، كفاية أننى لا أعايركم ولا أذلكم، روحوا البندر واسمعوا.

قال حامد البلاسى :

- والله انت غلطان يا حميد روح يا عم البندر توكل على الله، احنا عايزين الخير لك.

قال حنكش :

- خلاص يا حميد أنا أشغلك فى الإذاعة مع أبلة فضيلة، ياواطى يا طبال ، بطل كلام على الناس.

تأزم الموقف ودارت أكواب الشاى والجوزة فقام محمد عثمان للخروج من هذا الموضوع :

وبعدين عمك عبد الفتاح.

قال حنكش : - بسم الله الرحمن الرحيم، احنا كنا واقفين عند لما عمك عبد الفتاح خاف أن يذهب إلى بيت عمك عبد الله أبو الحياة، ولكن عمك عبد الفتاح كان إذا خرج من بيته وجد نفسه أمام بيت عمك عبد الله؟

وفى يوم دخل إلى حجرة الكتب بحجة أن يجد شيئا ليشدّ حيله على خالتك نفيسة، دخل وأشعل البخور وفتح الكتاب وأقفل الشباك وأخذ يكتب وأقفل فمه حتى لا يتكلم ونقل ما أراد وخرج ولكنه كان يحس أن أحدا معه فى الطريق ويضربه على قفاه أو يزغزغه وعند نخيل التربة سمع : - عبد الفتاح ابعد عن طريقى تكون بخير وأحسن لك.

اهتز عبد الفتاح كنخلة لسعها الهواء فلعبت رأسها وسقطت بجوارها، حبس عمك عبد الفتاح نفسه فى بيته أسبوعا، ولم يخرج ولم يكلم أحدا من الناس وكانت خالتك نفيسة تتعجب من أحوال عمك عبد الفتاح.

اطمأن عبد الفتاح واقتنع أن ما سمعه تخيلات، وخاصة أن نخل التربة مسكون بالعفاريت وأنهم كانوا

يلاعبونه وهو لا يستجيب لهم.

عاد عبد الفتاح إلى نشاطه فخرج وسهر خارج بيته في هذه الليلة مع عمك على السريع وإسماعيل بن العقر، والسيد كعبيل فقال له اسماعيل :

– صحيح يا عم عبد الفتاح انك تقدر تحضر الجن؟ قالوا إنك تخاف، الله أعلم.

سكت عمك عبد الفتاح فألحوا عليه بالسؤال فهزّ رأسه (لأ).

قال السيد كعبيل : – انت أخرس يا عبد الفتاح ؟ رجالة آخر زمن.

قال عبد الفتاح : – أنا حرمت خلاص، لكن معي ورقة التحضير وعاوز أشوف الرجالة.

قال إسماعيل : – هات يا عم.

أعطى عبد الفتاح الورقة لإسماعيل الذي نظر فيها وقال : – يعني الكلام مضبوط ؟

قال السيد كعبيل : – جرّب.

كان إسماعيل يستطيع أن يفك الخط ويتركه دون

رابط، فأخذ الورقة ووضع النار أمامه والبخور وأخذ يقرأ من الورقة وكانوا قد أحضروا بخورا من عند ست الناس، ملأ الدخان الحجرة وعبد الفتاح لابد كما الفأر، فقال السيد كعبيل:

– اقفلوا الشبابيك.

أقفلوا الشبابيك وكان الدخان كثيفا ولا يرى أحد منهم الآخر، وإذا بفارس يشق الحائط يلبس الدروع وعلى وجهه قناع ووقف أمام إسماعيل ، ثم أمسك أذن عبد الفتاح وقال له : – تانى يا عبد الفتاح، حرّم أحسن لك.

صعق عبد الفتاح وكان بعيدا عن الحياة وقريبا جدا من الموت فقال :

– أنا مالى يا بيه إسماعيل هو السبب أنا حرّمت، والله ربنا يخليك حرّمت من يومها.

كان عمك عبد الفتاح قد مات من الرعب بينما طار إلى خارج الدار كل من إسماعيل العقر والسيد كعبيل وعلى السريع تاركا كل منهم مداسه، وعندما عادوا وجدوا عمك عبد الفتاح مرمياً فى وسط الحجرة ووجهه مضروب

وأزرق من اللكمات، والنار قد أحرقت ملابسه وشعر رأسه وحواجبه وهو مغمى عليه وغارق فى بوله وخرائه.

قال قراجة : - يعنى يا حنكش حنونه أجدع من أبيه.

- ومن أبوك؟

- احترم نفسك يا حِنْ.

قالت نعيمة الضرس : - حنونة شيطانة ساحرة، تزوجت عشرة رجال، وكلهم ماتوا، ولها عدة كبيرة وهى لا تحب أن تفعل ذلك ولكن ساعة شهوتها لا تحس بمن فوقها، وأجمد رجل عاش معها سنة.

وفى ذات مرّة شفطت عمك على العتر ولم يكن زوجها فدخل فيها والتصق ولم يخرج إلا بعد ثلاثة أيام وقع منها كعود حطب ناشف فرمته خارج الدار وذهبت إلى الترعة لتستحم وعندما عادت كان الناس يجمعونه فى كيس قماش لدفنه.

من كان أجعص من على عترة؟ كان رجلا كالحمار وأطول ولكن يروح فين يا حبيب قلى مع حنونة، ألف رحمة ونور عليك يا على يا عترة.

وأنا شفتها وهي تستحم.

تخرج في أذان الفجر إلى ترعة النصرانية وتنزل من عند ترعة السبيل في مكان غويط وتخلع ملابسها وهي لا تلبس قميص أو دراعة أو لباس تحتاني، جلباب على اللحم صيفا وشتاء، ولها رائحة كرائحة النعناع، وكنت وأنا أحرس الخيارة التي زرعناها على الشط الثاني بجوار ترعة النصرانية بجوار السكة الحديد، وبصيت لقيتها على الشط وكنت أبص عليها من طاقة الخص، وكانت عارية تستعد لنزول الماء، جسدها أبيض كالحليب وليس به شعرة واحدة، وهي عديمة البطن مضمّرة كالسمك، ولها بزان جالسان على صدرها كل واحد بعيد عن الآخر كفحل الزمان، وبين أوراكها قبّة كأنها مؤخرة طفل صغير ومشقوقة ووردية اللون وعليها أشياء مدلاة كأنها لحمة رأس، وإذا نظرت إليها من أسفل وجدتها كشفة الجمل وتظهر الأشياء المدلاة على فتحتها لها شكل تاني، وهي مختلفة عنا خالص سبحان الخلاق.

نزلت حتى وصل الماء إلى صرتها فمدت يدها وغسلت

نفسها من أسفل ثم غطست في الماء وصعدت عدة مرات وكان شعرها يجرى على وش الماء من أول ترعة السبيل إلى قرب مرادة البرابرة، ثم وقفت في وسط المياه وظلت تضحك فيضحك لها الماء وكان يصل إلى سرتها ثم يصعد إلى أعلى وهى تبقبق من الأمام كأنها تتمضمض، ثم خرجت وجلست على الشط فاتحة ما بين ساقيها جهة الشمس وكان مفتوحا وله شفتان كبيرتان وشفتان صغيراتان وشيء مدلى كحاجة الطفل الصغير فوق هذه الشفايف، وكانت سعيدة به وتمسح عليه، ثم سرحت قليلا وقامت لبست الجلابية ولفت الشال على رأسها وسارت.

قال حنكش : - متعة وبعدها القبر - يالهوى يا خلق العالم دول تبع الحمير.

قالت نعيمة الضرس : - احنا رحمة على الرجال، وحتى يتمر هذا المعروف فيهم .

قال قراجة : - والله كلام تهاويل وهى امرأة عادية ولو أمسكتها ستصرخ ككلبة.

قالت نعيمة : - والله لو دراعك.

قــال حنكش : - يعنى يحق لهــا أن تضـــحك على العفريت وعلى أهله.

قال محمد عثمان :

- ضحكت على العفريت ؟

قال شكرى :

- يا سلام، حكاية لها العجب.

قـالت هريســة : - صلوا على النبى، نتـعـشى الأول وبعدين خالة شلبية تحكى الحكاية .

قال شكرى لهريسة : - بلاش حكاية بعدين.

لم ترد عليـه ولكنهـا لكزته فى مـقـعـدته برجلهـا وهى ذاهبة لإحضـار العشاء وكانت تكتم ضحكتها وعيونها تلمع فلحق بها.

وفى الحجرة الداخلية كانت هريسة تجرى من مطاردة شكرى وصوتها يتراوح بين الضحك واللوم وشكرى يحمل عنها الأطباق ويقبّلها كلما كانت مشغولة اليدين.

قال حنكش من خارج الحجرة :

- يا سيدى الصبر ، نتعشى ونمشى وبعدين السهرة

معك يا ملط .

أطل شكرى حاملا صنية العشاء وخلفه هريسة وأخرج لسانه لحنكش وقال :

- العشا يا أجاويد ، ليلتنا لبن إن شاء الله .

وامتدت الأيدى.

وامتد الخيال إلى رأس شلبية ليخمن الحكاية .

هل هى التى سمعوها قبل ذلك ؟

(١)(ج)

شلبية حنا صامتة كالقبر ، وعندما دخلت كان حسن عبد السلام قد خرج، فأخذت تبحث عن مكان ثم جلست بعيدا عن هريسة مستندة بظهرها على الجدار ناظرة إلى البعيد كأنما تتأمل شيئا ما .

كانت تسحب أنفاس الجوزة كلما مرّت بها وتشرب الشاى دون أن تغير جلستها، ولا تعلق على الكلام أو الحكايات وتسحب النفس الأزرق وتكتم مما جعلها لا تنتبه للأصوات التى تطلب منها أن تحكى الحكاية.

وضعت هريسة العشاء للرجال وعشاء لها هى وشلبية ونعيمة وباقى النسوة، ثم شرب الجميع الشاى لزوم حبس اللقمة.

قال حنكش : – مساء الخير .

– مساء النور .

– حكاية حنونة والعفريت يا خالة شلبية.

- كل واحد بيحصل نصيبة .

مد الأستاذ محمد عثمان يده وغمز شلبية بسنة الأفيون فقال حنكش :

- علشان خاطر الأستاذ محمد .

قالت : - يسلم خاطر صاحب الواجب .

استدارت إلى هريسة ففهمت وأخذتها معها إلى الحجرة الداخلية ثم عادت وجلست .

قال شكرى : - يا سلام يا هريسة ، ضرورى السبع كلمات .

فوكزته هريسة فى جنبه : - اسكت

شدت خالتك شلبية نفسا شديدا من الجوزة فأشعلت الحجر ودفعت كمية كبيرة من الدخان عليه فأطفأته وأكملت دفق الدخان من فمها وأنفها ثم قالت :

- حنونة لا نعرف لها أحداً من عائلتها ولكنها منسبة وأصيلة، وهى سكنت فى دار أم سعيد، وكانت أم سعيد بها لطف ، يقال إن الأودة التى بنتها بعيدا عن دارها كانت تجلس فيها عارية وتعزّم على نفسها حتى جنّت

وسكنت الأفران المهجورة والعامرة وهى تخرج لمن له طلب لتقول له ما تريد وسط النار وتعود .

فلما احترقت سكنت حنونة فى دارها، ولا نعرف كيف جاءت أم سعيد أو حنونة، ولكن العم حفنى يقول حنونة يهودية من بنى صريط كانت قريبة زوجة توفيق النّساج الأولى وأنها كانت خادمتها ولم يكن أحد يراها أو يسمع عنها إلى أن ماتت زوجة توفيق وتزوج عائشة فخرجت حنونة، ويقال إن الشرط الوحيد لزواج عائشة هو خروج حنونة من داره، وسكنت الجبانة لفترة طويلة ثم اختفت لفترة طويلة ثم ظهرت فى بيت أم سعيد .

– الشاى يا خالة شلبية .... امسكى البوصة .... أيوه شدّى .

شدت خالتك شلبية ورشفت الشاى وتداخلت أنفاس الحشيش مع طعم الشاى ففتح فى دماغ شلبية نهرا من الحكايات وبئرا من الوجع، وسلطنها على الآخر وسخن الطاسة فارتفع سقف الحذر وفكت تكة الخوف فانفضح ستر الحكاية فقالت :

– تزوجت حنونة رجال ورجال عشرة أو أكثر الله أعلم، وهى لا تنام إلا اذا كان داخلها شهوة رجل، وتدهن جسدها باللبن الرائب ومنى الرجال وتنام عارية وتأكل عسل النحل المخلوط بطلع النخل والبيض النيى ودم الحمام، وتأكل حليل الثور والمخاصى المشوية، وكل أسبوع تذهب إلى البلاد البعيدة لتشرب دم حيوان البحر ، وتعود بمرارة ذئب لتدهن نفسها من أسفلها بها وتنام فتتهيج، وإذا تهيّجت لا تستطيع رفع يدها عن نفسها، فصرت أنا التى أدهنها كل ليلة ماعدا ليلة مرارة الذئب.

سكتت خالتك شلبية شوية ثم قالت بعد أن تنهدت :

جسد سبحان الخلاق العظيم.

شعر سبحان الخلاق العظيم.

أما ما قالته نعيمة الضرس عن أشيائها فهو صحيح، وفى إحدى الليالى وأنا فى بيتها وكنا فى الشتاء وهى تنام فى حجرة وأنا فى حجرة (أوامرها الشديدة) كانت حنونة نائمة فسمعت صوتاً كأنه صوت نائم يشخر، فقلت : ربما حنونة رأسها معوجة وهى تنام بدون مخدة.

دخلت وكان الشباك مفتوحا والقمر فوقها تمأما وهى عارية بلبوص ونائمة على الأرض على ظهرها وأشيائها مفتوحة حتى آخرها ويخرج منها صوت الشخير، وحنونة مستسلمة كأن فوقها رجل وتتلذّذ .

خرجت على أطراف أصابعى وبعد حوالى ساعة كانت حنونة واقفة فوق رأسى وأنا نائمة :

– شلبية .. لا تنامى عندى مرّة أخرى.

وفهمت أنها أحست بى.

وفى يوم بعد زواجها الخامس، كنت أزور ابنتى فى أبو يسين وخرجت من عندها فى أذان المغرب، والمسافة بسيطة بين السكاكرة وأبو يسين، وقلت أصل السكاكرة قبل آذان العشاء فأخذنى التواه ولف بى، وأفقت لأجد نفسى فى الأحراز ونحن قبل الفجر بقليل، عرفت الطريق وقلت فى سرى أخذ نجيل للماعز.

كان القمر فى بهائه وتمامه والليل يخلع هدومه ليبين جسد النهار فدخلت إلى حقل الذرة وقلت أنقى رجلة وملوخية وحشائش للماعز فسمعت كلاما فى الترعة،

نظرت كانت حنونة تسبح وتعوم فاركة شعرها خلفها أحزان قبائل، يبدأ وينتهى فى الماء من أول ترعة النصرانية حتى ترعة السبيل، يعنى إذا كان شعرها بدايته عند موردة البرابرة فإن آخره يكون عند ترعة السبيل، كانت تغنى بلغة غريبة والقمر يبص عليها ويضحك، والماء يكركر وهى تزغزغ الماء بجسدها، وكان منظرها جميلا فعلا، وجسدها وشعرها فى الماء آيات، وأثناء عودتها فى سباحتها وقفت وصرخت بكلام غير مفهوم، فخرج من تحت الماء شىء طويل طويل كان رأسه عند أطراف شجر الكافور والترعة مليئة بجسمه وكله مغطى بالشعر وصرخت: لماذا وقفت فى طريقى ؟

– أحبك يا حنونة.

– أنا لا أعرفك.

– أنا ساكن هذه الترعة وكلما جئت للاستحمام أتفرج عليك حتى وقعت فى هواكى ولا أقدر على فراقك أو البعد عنك.

– وماذا ستعطينى ؟

- كل كنوزى بين يديك.

وضرب الماء بقبضته ولم أكن أرى شيئاً ولكن أنواراً صفراء وحمراء كانت تشع من وسط الماء .

قالت حنونة بتعفف :

- كل هذا جميل ولكن اعطنى الأمان.

- أعطيتك الأمان على شرط أن أتفرج عليك.

- أسبح قليلا ثم أفكر وآخذك معى لبيتى لتتفرج علىّ فإن أعجبتك كان.

- أوامرك ؟

- أجلس على الشطّ .

- وزوجك يا حنونة ؟

- قبل أذان الظهر يكون مات.

- كيف ؟

- لا تتدخل فى شؤونى.

- حاضر .

جلس العفريت على الشط وظلت حنونة تسبح ثم قالت له :

- تعال .

- احملنى على كتفك وهيا إلى البيت.

فرح الجنى وأمال رقبته ففتحت نفسها وألصق أشياءها على رقبته ووضعت كل ساق على كتف وقالت له:

- سر متمهلا ترجرج قليلا فى مشيك.

مشى الجنى فرحا يتراقص وهى تحتضن رأسه وتتألم من وحشية لذتها والجنى يحس بألم الحرمان ويكاد يصرخ من عنف حرمانه فتلعب له فى شعر رأسه، وأنا كنت أسير على الشط بعيدا عنهم ولكنى جريت وسبقتهم وجلس وسط طابية الحطب التى أمام بيتها ودفست نفسى، حضرت حنونة راكبة الجنى وقد سال العرق على ركبتيه ونخ كالجمل أمام الباب فنزلت وملابسها فى يدها واليد الأخرى ممسكة بشعر الجنى.

- انتظر لحظة.

وضعت ملابسها تحت إبطها وفتحت الباب ودخلت وقالت له :

- أنا أخاف منك، اعطنى الأمان وكلمة سرّك وألا

تفعل بى شيئا إلاّ إذا أردت همس فى أذنها فلبست ملابسها ودخلت وأقفلت الباب وكان الفجر على وشك الطلوع، ثم فتحت الباب وأخذت تداعبه وهى تنظر ناحية المسجد ثم قالت له ادخل ، وقبل أن يخطو إلى داخل البيت انطلق صوت الشيخ السيد أبو النت ففر الجنى ودخلت وأقفلت على نفسها الباب كانت حنونة قد حكت لى أيام صداقتنا أن الجنى إذا ضاجع رجلا أو امرأة فإنه يكتب على أشيائها أوامره فلا تكون إلا له ويأتيها فى أى وقت يريد وفى أى مكان. أمام الناس، والناس لا تراه ولكن الناس ترى ألم وتلوى الإنسى وقد يخلع ملابسه ويتألم أمام الناس وكل منهم يرى الآخر والناس لا ترى إلا الإنسى لهذا كنت أخاف على حنونة. خرجت من طابية الحطب ونفضت ملابسى، وفتحت حنونة الباب ونادت علىّ.

– شلبية.

ذهبت إليها وكلى خوف فى خوف، فمدت يدها إلى بالحشيش والرجلة.

- تعالى بعد صلاة الظهر.

أخذت منها الحشيش وكنت لم أجمع عودا واحدا ورجعت إلى دارى.

بعد الظهر ذهبت إليها وكان عمك عثمان النجار موجود عندها فى البيت، وهو يدق لها أوتادا فى الحائط والأرض، ويدق لها فى الأرض والحائط مسامير برؤوس مدورة ومفزعة، وعندها كومة من الجنازير والقيود الكبيرة والكثيرة.

وبعد أن سار عثمان ، قالت لى :

- أريد عشرين زوج حمام وتيس غير مخصى حالا، وأعطتنى فلوسا كثيرة فى أذان العصر عدت إليها بالمطلوب.

ذبحت التيس وأفرغت دمه فى طشت كبير ودهنت الجدران بالدم وكذلك المسامير والأوتاد والأرض وقالت : جهزى الحمام للأكل.

بعد صلاة العشاء استعدت وطلبت مساعدتها وهى تدهن نفسها بالدم وحليل التيس والمخاصى وكذلك

شعرها وكنت أدهنها بريشة حمام ذكر بحيث لا ألمسها، ثم وقفت عارية وقالت :

– مع السلامة ... لا تخافى علىّ .

* * *

وفى الصباح لم يجد الناس حنونة ولا أنا وجدتها ولا أعرف عنها شيئا .

بعد حوالى أسبوع وقفت حنونة أمام البيت ومعها عثمان النجار واجتمع خلق كثير أمام الباب والبعض يدخل ويتعجب ويخرج صامتا أو ضاربا كفا بكف.

دخلت فوجدت حمارا كبيرا مربوطاً فى الأوتاد والحلقات وملفوفاً بالجنازير والقيود وقد قطع إحليله وخصيتيه وهو ينزف ويبكى بالدموع وكل فترة تصب حنونة الزيت المغلى على جرحه وتقول له : حرّمت.

– يقول خالص آخر مرة .

– أعطنى اسمك كاملا وطلب حضورك وانصرافك.

فيبكى وحنونة تكرر، وعرفت أن هذا من عمل عثمان النجار .

طلبت حنونة من الناس إخلاء البيت، وبعد حوالى ساعة ارتج المكان وخلعت ضلفة الشباك وطار منها شىء أسود له رائحة كريهة ودخان، وبعد أن هدأت الرائحة دخلت إلى البيت وجدت حنونة جالسة فى ركن الحجرة عارية تبكى وترتجف، فأخذتها فى حضنى وألبستها ملابسها وقلت لها .

– احكى لى .

قالت : – كنت أخاف أن أذهب إليه فطلبت منه الحضور فأجلسه فى هذا الركن وأخلع ملابسى وأفرّجه علىَ نفسى وعندما أحسن أنه سيجن ألعب له فى شعر رأسه حتى يهدأ، وفى أحد الأيام هاج علىّ فقلت له :

– نحن لم نتفق على هذا اجلس فى هذا الركن وسأربطك حتى لا تؤذينى ثم أخلع ملابسى وأفعل معك كل ما تريد، فوافق، فربطته فى هذا الركن وجعلت أقترب منه وأفرّجه، وأثناء ذلك سألته عن اسمه كاملا وحضوره وانصرافه فلم يتكلم، فأظهرت غضبى وعند الفجر تحول إلى حمار ففككت وثاقه وتركته يرحل.

كل كنت اطمئنه يا شلبية وأحاذر أن يلمسنى أو الماء يلمس جسدى حتى لا يزول الدم لأنه الحاجز الذى بينى وبينه، وأكلت معه الحمام فصار أقرب إلى الآدمى، وفى الليلة التى اختفيت بعدها كان الحمام قد انتهى وهو هائج لا يريد أن أربطه فأخذت أحايله وألعب له فى إحليله حتى وافق فقلت له:

– أنت قوى وإذا أخذتنى فى حضنك سأموت، فوافق وربطته فى الركن وأخذت أداعبه فإذا بإحليله يصبح شيئا ضخما ومهولا تمنتيه فى نفسى ولكنى خفت أن يشرمنى، فزدت فى ربطه بالجنازير فى الأوتاد وقلت له : أنت قوى وأنا ضعيفة يا أخى.

وكنت كلما نظرت إلى إحليله أضعف وأقترب منه وأكاد، لهذا أمسكت السكين وقطعته، آه والله ما يحدث لى هو ذنب عطية زوجى.

قلت لها : الذى مات فى الغربة؟

– كنت أعرف أنه سيموت ولن يعود.

– يا سلام.

- كنت أحبه وأنام على رجله وأحكى له عن بلاد واق الواق وعن بيض طائر صغير يجعل الرجل شديداً حتى آخر العمر، وأنا لا أحب من أحد أن يقاطعنى فى الكلام، فنط بسلامته وقال :

- بيض أبيض به نقطة بنية؟ والطائر يكون عشه فى وسط الرمال؟

قلت له : - أنت تعرفه.

قال : - نعم.

قلت : - اذهب إلى هناك وخذ البيض واكسر أول بيضة وادلقها على الرمال ثم اشرب باقى البيض وهات لى معك واحدة سليمة.

قلت لها : - وبعدين ؟

قالت : - هذا الطائر ينقر عدوه فى عينه فيعميه ثم يزعق فوق رأسه فتخرج على زعقته الذئاب وتفترس الأعمى الوحيد هذا.

لم يكذب الخبر وسار إلى هناك وكان بودّى أن أقول له بلاش، ولكن كلما أتذكر مقاطعته لى فى الكلام أقول فى

نفسى يستاهل.

قلت لها : - وبعدين؟

صرخت فىّ : مات مات.

قلت لها : - الجنى ؟

هدأت وقالت : - آه الجنى، أنا وقفت فى الحكاية عند...

قلت لها عندما أمسكت السكين وقطعته.

قالت : - فصرخ من الألم وتحوّل إلى هيئة مرعبة، فجاء عمك عثمان النجار على صراخه فهو نفسه ثقيل إلى الجن والعفاريت من أجل هذا تحول الجنى إلى حالته الأولى عندما دخل عثمان النجار فقال له : من أعمالكم .

وغلى الزيت وصبّه على الجرح ووضع تحته إناء ليجمع فيه دمه المتساقط حتى لا يأتى إلينا من خلال نقطة تسقط على الأرض أو الحائط ، ثم قال لى :

- عليك بمعرفة اسمه كاملا واسم حضوره وانصرافه حتى تتحكمى فيه فيخاف منك، تجمع الناس وهو لا يريد أن يقول شيئا، وأمرتكم بالخروج وكنت أخاف أن يعود

لحالته المرعبة، ولما دخلت الحجرة منكم جعلت كلماتى حلوة وصرت أداعبه وهو يبكى».

قلت له : - سأقدّ قلبك بالسكين إذا لم تخبرنى باسمك وانصرافك وحضورك .

فصمت وكان يحس بوجود عثمان النجار فقال عثمان:

- أخرجى قلبه وكلى كبده.

بكى الجنى وباح باسمه وانصرافه وحضوره، فقلت انصرافه مع (الكافرون) فتحوّل إلى شىء ذليل مهان، ثم إلى شرس، ففكه عثمان من قيوده تاركا قيد ساقيه فخرج خالعا الشباك فى فراره لاعتراض السلسلة لحديد الشباك.

قلت لها : - وما غيابك طوال هذه المدة ؟

لم ترد علىّ، وظلت سبعة أيام طريحة الفراش ومريضة وأنا أخدمها ولكن لا أكلمها، وتزوجت بعد فترة بجمل المحامل بعد أسبوع من الزواج وهذه كانت أطول مدة لرجل معها، فذهبت لعزائها.

فقالت باكية : - مات جمل المحامل العون المارد

الجبار وسرّه السفلى فوق إرادتى فهبلنى معه فانفتحت عليه مصا واحتواء فمات يا خالة شلبية وأنا أحبه.

فعرفت أنها معزورة فى قوتها.

قال محمد عثمان : بعد كل هذه الصداقة يكون الخصام ؟

– لله فى خلقه شؤون .

قال حنكش : – يعنى ما فعلته مع الجنى لم تحكى لكم عليه.

قالت شلبية : – عندها إحليله وخصيتاه، وقالت كلاماً عن هذا الموضوع فنفرت منها وكان هذا سبب الخصام لأننى أخذت أدحلبها فى الكلام حتى أحضرت الكيس فوجدناه مليئا بالدود فاتهمتنى أن هذا من فعلى، وقامت تعضنى وتضربنى ثم بكت وهى تقول :

– حرمتينى من متعتى ولذّتى الوحيدة.

فلم أكلمها أبداً إلا يوم عزائى فى جمل المحامل، وتصبحون على خير.

(١)(د)

قامت شلبية لتدخل مع هريسة إلى الحجرة الداخلية ثم تخرج إلى خارج دار شكرى الملط لحق بها محمد عثمان وهو يخرج من جيبه نقودا كثيرة ثم اختصرها وأعطى شلبية فقبلت كفه ومضت فى طريقها، وعند عودته كان حنكش قد لمح بإشارات سريعة مع الجالسين ملاحظاته ورأيه فيما حدث فقالت هريسة :

– المهم أنه حصل... الشعرة من جلد الخنزير.

ما حدث كان قد كتب فى سماء النفوس وفى عرض الحجرة عبارات كثيرة تفسيرها يقطع حبال الاتصال مع الجالسين والغائبين، وإن كانت حبال الاتصال لا ترى ولكن ترى وتحس بداياتها عند الاهتزاز أو القطع.

قال شكرى : – كلام لا يدخل العقل، ثم ما حكاية هريسة والدخول إلى الحجرة الداخلية والسبع كلمات ثم

بعد الحكاية تتوبود هريسة وشلبية وكأننى لست رجل البيت؟. يعنى مثلا كانت تستلم كتاب الحكايات من الأودة الداخلية ثم بعد الحكايات تعود به إلى مكانه؟ كله من هريسة بنت العفاريت، والأغرب أن بينهما سيم واتفاق،.

قالت هريسة : - خليك فى حالك يا شكرى الناس أعذار.

قال شكرى : - أعذار؟ طيب علىَّ الطلاق.

قاطعته هريسة : - هس، من طلاق ولا عتاق وكلام فى سركم خالتك شلبية لا تستطيع أن تحكى أو تتكلم فى السيرة وحول وسطها أى رباط أو تكة، فدخلت أولا وسلتته وبعدين أخذته وهى خارجة ولبسته وسارت.

قال قراجة : اللباس التحتانى ؟

قالت هريسة : من غير تفسير يا عاقل.

قال حسينى : - شلبية لها لباس تحتانى ؟ علشان ايه يعنى؟ دى شلبية وخلاص.

قال حميد الطبال : يوضع سرّه فى أضعف خلقه.

قال شكرى : - إلاّ السر التحتانى، ولو وضعه فى

أضعف خلقه كانت باظت.

قال حنكش : يمكن علشان يهندسها كل واحد يكون معه حتة.

قال قراجة : - ملعون أبو من اخترع اللباس والهدوم، النسوان تلبس والرجالة تقلع، واذا قلت لواحدة اقلعى يابت تقولك اسلته أنت أنا مالى واذا طنشتها تسلته هى؟ فما لزومه؟

ضجت الجلسة بالضحك ووقف الأستاذ محمد وقال : تصبحوا على خير يا جماعة الخير.

وقفت هريسة على الباب.

- من غير يمين لازم تتعشى كمان مرة، علشان الورد ينسقى العليق، علشانك ياكل المقاطيع عندنا، علشان تكون زكاة مال شكرى.

ضجت القاعة بالضحك وقال حنكش : - يا صبر أيوب، أموال شكرى؟

يا هريسة الفار يطلع من داركم يسب الملال من الجوع، وينكتب له عمر جديد إذا طلع من أسركم، أموال

شكرى الملط ؟

قالت هريسة فى وسط ضحك الجميع : - عيالك شبه الفيران يا شكرى من أكل الفئران ومفيش فار واحد عندكم من المال السايب والخير الكتير، اكشف هدوم عيالك تلاقى لهم ديول، وإنت كمان لك ديل، اكشف هدومك ياحنكش.

- من قدام؟

ضحكوا فاحمر وجه هريسة ودخلت تجهز العشاء الثانى.

قال حميد : والله شلبية فكرتنى بأم سعيد.

قالت نعيمة الضرس : - كل جن يزعق من الفرن يقولوا أم سعيد؟ أم سعيد حكاية طويلة ولا أحد يعرفها كلها.

قال حميد : - لا حكاية الفرن وأم سعيد حكاية صحيحة وحدثت مع حسينى أبو هميلة.

قال حسينى : - ياناس أنا قلبى متعلق على شعرة، والسيرة تضربنى فى قلبى فأموت كفاية نبوية أختى ماتت بسببها.

دخلت هريسة بالطعام.

- صلوا على النبى .... لقمة بالموجود.... باسم الله

امتدت الأيدى تخطف الطعام وتبلع ولم يكن للمضغ نصيب كبير فى الطعام، وكانت أطباق العسل والجبن والبيض ما توقعه حنكش مع اللبن والقشدة أما طبق السلمون فقد جعل شكرى ينظر إلى هريسة بامتنان، وعندما انتبه شكرى وجده نظيفا هو وطبق الحلاوة.

قالت هريسة : - عشا على القد يا حنكش فأنت لا تأكل إلا المحمر والمشمر من الفئران.

قال شكرى بدلال : - يابت فيه احترام للأكل عيب.

ولكزها فى صدرها فضحكت وقالت :

- كلنا نعرف بعض والأستاذ محمد من العرب آه لكن أنتم أصحابه من زمان، أو يمكن مصر نسّته السكاكرة، وإن كانت السكاكرة كالجرب لا تطلع من الجلد حتى بعد طلوع الروح .

قال محمد عثمان : - والله لك وحشة يا أحمد، وكلامك عن السكاكرة التى تصيب المخلوق كالبلهارسيا وتسكن

بجوار القلب فى كبده ولا ينفع معها أى علاج.

قال حميد : - السكاكرة عسل، والهوى هوايا أقول على كل ما فيها وأفضح وأجرّس.

قالت هريسة : - جاك قلْ وتعب السرَ يا طبال يانتن يا خباص والله كلامك كله كذب.

قال حنكش : - أيوه فيه كذب فى الكلام.

قالت هريسة : - فالج يا أعور.

قال حامد البلاسى : - يا سلام لابد أن نعرف الكلام الكذب من الحق.

قالت هريسة : - كلاب سعرانة عايزين الطبال يرمى أى سيرة وتنزلوا فيها نهش.

قال عبده الصغير : يا ناس دعوا الخلق للخالق وكل واحد مسئول عن أفعاله، وبلاش سيرة خلق الله أنا ساكت من الصبح سميع خير لكن لابد من التنبيه.

قال حنكش : العصابة ظهرت برئاسة هريسة.

قالت هريسة : - اسكت الكلام عليك.

قال شكرى لزوجته هريسة : علىَّ الطلاق أقوم أرقعك

بوسـة زعـلانة من حنكش ؟ حنكش لا فى العـيـر ولا فى النفير.

قال حنكش : - صلاة النبى على أهلك يا ملط.

قال محمد عثمان : عشا دايم، نأكل فى المسرات.

قال شكرى : يا أخى أكمل عشاك.

رد عبده : - عيش حاف ؟ البركة فى الغنم، مكان فيه الغنم كلهم ويبقى فيه أكل.

قـال حنكش : - والله يا عـبـده أنت تيـس .... تاهل التريقة على عقلك، عيب يا عبده. ضحكوا جميعا ورفعت هريسـة الطعام واشـتعلت النيـران وبصم مـحـمد عثـمان طاقـمـا جـديدا من المعـسل والشـاى اكـتـمل سـواه على النيران فغمز محمد عثمان الأحباء بسنة الكيف.

غمز مـحـمد عثمان بالعين لحنكش فظل يقف بالجوزة طويلا أمام حسينى أبو هميلة.

- ولع شدّ قوى.

وضع حنكش سنة الأفـيـون بين أصـابع حـسـينى أى هميلة وناوله كوب الشاى.

بعد فترة منتظرة قال حسينى : – صلوا على النبى.

– ألفين صلاة عليك يا نبى.

– الفاتحة لروح نبوية وأخى حسنى، وأمواتنا وأموات المسلمين.

كتم البعض ضحكه وغرق البعض فى أحزانه، وتحركت الشفاة بالفاتحة والترحمات، وكانت الشفاة ترص الحروف فتصير كلمات والكلمات فتصير لها القداسة التى ترسمها وشما محفورا فوق القلوب.

قال حسينى : – وأنا صغير كنت أحب طلوع النخل ولعب النحلة والطوق وكنت أجدع طالع نخل فى البلد، وكنت أدور وألف فى شوارع البلد الطوق أمامى والنحلة فى جيبى أناوش العيال وأنا أتمايل وأتراقص بالطوق وسط النسوان وأجرى ولا تمسكنى واحدة منهن، وبمرور الأيام كبرت وكانت خالتك أم سعيد قد بنت هذه الحجرة مثل الشيخ المقطوع ندره وركبت لها بابا وشباكا ولم تركب فوقها العرش فظلت حيطاناً عالية بلا سقف.

نخل البلح العامرى نضج ولونه الأحمر المصفرّ بلون

عسل النحل يلعلع فوق النخل ويتدلى شهوة جائع والبعض منه زادت حلاوته وسواه فصار عجوة على شماريخه فنادت عليّ خالتك زكية أم طراف :

– حسيني، اطلع النخلة العامرى هات لى عبّ بلح مستوى.

– لا يا ستى عمك الحاج أبو بدوى خلقه ضيق وزربون وكفّه ثقيلة ونظره ضعيف، وأى ضربة منه ممكن تموتنى، ينفعنى البلح، تنفعينى؟

– لا تخف يا حبيبى، لن يكلمك أحد إذا عرف أن البلح لى.

– خذى بلحك منهم.

– أنا بتوّحم يا حسينى ، طيب لك خمسه صاغ.

– أموت علشان خاطرك؟

– بعد الشر على حسينى حبيبى.

ضحكت على عقلى فلم أحس بنفسى إلاّ وأنا فوق النخلة متحزما بالقيطان تاركا معها الطوق والعصا، وجمعت أحلى بلح وأكلت ورميت لها بالنوى حتى إذا

أمسكنى أحد من أصحاب النخل أكون أكلت بلحاً بدلا من الضرب والإهانة، وهى تحت النخلة تنادى وتوحوح علىّ وأنا لا أسمع كلامها، فربما لو رميت لها البلح تأكله وتجرى على دارهم وتتركنى فى الهوا، ظلت تنادى علىّ وترفع سعر البلح من خمسة قروش حتى صار جنيها كاملا وأنا عارف المسألة كلام فى كلام.

فى وسط هذه المحايلة انطلق المدفع، أقوى من مدافع قناطر التسعة التى بالزقازيق، التى تضرب فى السحور والفطور فى رمضان، وفى أعياد الحكومة وفسحة كبار الزوار، قعدت زكية أم طراف تنادى :

– ارمى طورة ياوله.

وإذا بصوتها ينقطع وينطلق المدفع.

– يابن الكلب موتك حضر، ملعون أبوك وأبو أبوك، يا عالم يا جعانة يا أولاد الكلب، النخلة بلحها طرى وأنا مليش أسنان، بت يا زكية ابن مين فوق النخلة؟

– الصبر يا حاج ضاع حجك وصلاتك.

– انطقى يا بنت الكلب بلا كلام فارغ.

- حسينى أبو هميلة.

- ولو ابن الخديوى، أمه سعدية عمران؟

كنت سـأموت من الخـوف ولكن تذكـرت أن أولاده فى الغـيط وأنه لن يسـتطيع أن يطلـع النخلة بعـد أن هدّ الله حيله وقلّل بصره من زمن، ولو راح ناحية العرب لوجدهم مشغولين بلعب السيجة وباقى البلد فى الغيطان، فتكون السكاكـرة واسـعـة للعـرب لتـذكـر أيام عـزّهم بالملاعق الذهبية، لكن ماذا لو جاء أحد من أولاده على غفلة؟

قلت فى نفـسى : - يا ود يا حـسـينى كل أحلى بلح واشـبع قـبل أن تموت من الضـرب، وبعـدين انزل إلى أن يصبح بينك وبين الأرض ربع النخلة نط فوقـه فيـقع على الأرض وتجرى أنت.

قعد عمك أبو بدوى تحت النخلة ومعه شومة أطول منه، وكانت ذكية تتحايل عليه فطردها وكسر خاطرها ككلبة هجرتها الكلاب ولم ترتح من الحرقان.

وأنا آكل البلح وأرمى عليهم بالنوى وأفكر وأنتظر.

نزلت إلى منتصف النخلة فوجـدتها عـارية ملط زلط

كيوم ولدتنا أمنا.

– من ؟

– كانت الحجرة بلا سقف وهى واقفة فى عزّ الظهر عارية والشمس تنقح فيها، وجسدها مدهون بسمن وشعرها محلول فوق جسدها أسود فاحم وطويل، الضهر أحمر والشمس لا ترحم، انتفضت وكنت ساقع من طولى وهى واقفة كالألف لاشية عليها مثل كازورينة دار عمك توفيق سرحة وعدلة كالمئذنة، ظللت أتفرج عليها وهى تدور على مهلها من اليمين إلى الشمال وعندما صار ظهرها لى فردت ذراعيها حتى آخرهما ووضعت يدها اليسرى على رأسها واليمنى كانت أمامها مختفية ثم ركعت وهى تدلى يديها أمامها وسجدت ومؤخرتها ناحيتى والشمس تضرب فيها ثم انتفضت وظلت تدور فى الحجرة وربما كانت تصرخ أو تقول كلاماً من غير صوت وشعرها مفرود فى الهواء، وأنا أوراكى تؤلمنى وأرجلى سرى فيهم الخدر وأبو بدوى راكز تحت النخلة، وزكية اختفت ولا أثر للطوق والنحلة، ولكن ما صبّرنى على ما أنا فيه ما أراه

أمامي وكانت هذه أول مرة أرى فيها واحدة عارية ملط خالص.

قال قراجة : - صندوق الدنيا.

ظلت تدور وتدور وإذا بالشيخ سيد يؤذن لصلاة العصر فجلست في وسط الحجرة مكتومة على نفسها، وأنا حضنت النخلة ولم أعد قادرا على التحمل وصممت على النزول علقة تفوت ولا أحد يموت.

- راجع لك يابن الكلب ونزلت أول نزلة وإذا بأبي بدوي يقوم من مكانه ويشتم.

ثم مشى ناحية الجامع، وأنا تركت نفسي أنزل هبد وأنجــرد على النخلة التي سلخت جلدي ولحم بطني وأوراكي ووقعت على الأرض، وأخذت أسند نفسي حتى بيت عمك توفيق وزقيت باب الجنينة ودخلت، فأخذني العايدي الجنايني وحملني وكان البلح يتسرسب من عبي ووضعني تحت شجرة التمر هندي وصبّ الماء على رجلّي فصرخت فرفع رجليا على السور وقال :

- افرد طولك يابن الكلب يا دنيء النفس، بلح؟

كنت سأموت من التعب فقلت : - أموت يا ناس.

- أحسن كلب ومات.

قول بعد مدة بقيت عال وأخذت الطوق من زكية وقالت النحلة ضاعت ولكن ما شغل بالى من ساعتها أم سعيد، ولم ترح عن بالى وكنت أطلع النخل فى غير أوان البلح وأبص ولكن بعد مدة أصبح للحجرة سقف؟

مع الأيام راح الموضوع عن بالى، وفى ليلة كنت أمص القصب فى دكان السيد الخفير وعدت آخر الليل ولا تعرف ما الذى أخذنى ناحية حجرة أم سعيد؟

وأثناء سيرى بجوارها تذكرت فانتبهت فسمعت أصوات تزوم كالديابة وعواء قلت أبص، بصيت من بين شقوق الشباك وكان النور ضعيفا فى الحجرة، فرأيت.

سكت حسينى عن الكلام وغرق فى بحر بعيد ونحن ننتظر الحكاية ولكنه ظل صامتا.

فقالت هريسة : - حسينى وحدّ ربك.

قال حسينى وهو يهرش فى قفاه : - أبدا خلاص.

قال محمد عثمان : - أكمل الحكاية يا أخى.

تلفت حسينى حواليه ثم قال :

- والله خايف من الكلام وعدم التصديق والتريقة، ويفتكر كل واحد أننى أهجص عليه (ثم بكى وأكمل) وحق موت أخويا وأختى نبوية كل كلمة صحيحة.

وأكمل بكاءه ثم قال : -

راحة وبعدين أقول .

(١) (هـ)

احتار حسينى أبو هميلة كيف يمسك طرف الخيط من ناحية التصديق فقال بعد أن تنهد:

- هل كلامى مصدق عندكم يا جماعة؟

أنا أصدق نفسى وفى ساعات أكذب نفسى، أقول أنا مجنون، لا أصدق حتى لو كان فى الحلم.

ربما يكون النور القليل هو السبب؟

ربما يكون الظلام الكثير هو السبب ؟

ربما يكون خوفى هو السبب؟

ربما يكون البخور برائحته ودخانه هو السبب ؟

ربما ما رأيته هو السبب؟ أو لأننى رأيتها بملابسها السوداء؟

الله أعلم يا خلق.

كانت أم سعيد تلبس الملابس السوداء وتضع على الأرض مخدتين وشاليتين من النار، وعلى النار بخور

يتصاعد دخانا، وتزداد كثافة الدخان والنور يختنق والظلام يعم، كانت أم سعيد برأسين اثنين ووجهين اثنين من الأمام والخلف، وكانت تضع البخور على النار وتصرخ في كل ناحية وتتكلم للغير ظاهرين.

بدأ الدخان يتشكل ويأخذ هيئات رجال وهيئات نساء وأمسكت هذه الهيئات بأم سعيد تخلع عنها جلبابها الأسود وهي تصرخ وهم حولها حتى صارت عارية، ثم أخذوا يمسحون على جسدها بأيديهم فتترك أيديهم نقوشا غريبة على جسدها كالوشم وكل يد لها وشم خاص بها يتكرر بمقدار الملامسة.

أم سعيد وسط الدائرة تصرخ والدائرة تقترب حتى اختفت وسطهم وأنا أكاد أدخل رأسي من شق الشباك، وصارت أوجه أم سعيد الكثيرة ظاهرة تماما وهم يبتعدون عنها، والأصوات تعلوا نشازا مكتوما ودقات الزار وصوت الطبل المكتوم بالألم ولغة غير مفهومة ولكن بعض الكلمات حفظتها وحفظت أشياء كثيرة دون أن أعرف معناها، وكان صوت لهاثها وعذابها يعلو ويمتد

ويشكل طبقة كثيفة كالضباب عند السقف وأخذت تنزل ببطء حتى عم الظلام فجاهدت أن أرى شيئا ولكن الظلام ضرب كل شيء.

كان جسمي يتصبب بالعرق وينزّمن الخوف وجع عدم الفهم، مت من الخوف وجريت في شارع داير الناحية وخرجت من جهة المزارع ولكن كان كل شيء غير واضح فقلت :

– الله يرحمك يا أم سعيد.

عدت إلى دارنا وأنا مرعوب، وجافاني النوم كالعشاق.

في الصباح وجدتني أمام باب بيت أم سعيد.

وكانت واقفة أمام الباب بشحمها ولحمها وبجلبابها الأسمر وجمالها يزحم الشارع، نظرت إليّ بنصف عين وابتسامة تشدني وتجرجرني إليها كالنداهة.

قلت في سرى الكلام الذي لا أعرف معناه وكنت قد حفظته بالليل فقالت :

– ولد يا حسيني لمّ لسانك وخاف على أهلك.

سرت في طريق تخايلني صور أم سعيد التي كانت

عارية ملط وكذلك التى كانت ستموت ليلة أمس ولا أعرف من هى أم سعيد؟، وكيف عرفت أننى رأيت وسمعت؟

هل هى تقصد ما رأيته من فوق النخلة أم ما رأيته من شق الشباك؟

وكنت كل حين ومين أبص على شباك أم سعيد فلا أرى شيئا.

وسافر حسين أخى إلى الجيش ، وكانت أم سعيد لا تدخل بيت أحد من الناس ولا تخرج بالنهار إلا نادراً.

ولكن فى يوم رأيتها تخرج نهارا جهارا وتدخل إلى حجرتها، وكانت الحكايات تتزايد كل يوم عن أم سعيد أوقفت نخلة كانت ستسقط فوق كفيف أثناء سيره، ثم تركتها تسقط بعد مروره، وكيف منعت الحرامية من الدخول للسكاكرة؟

ويقال إن سبب موتها حزنها على على الكبير بعد موته منها.

ويقال إن على دخل عليها وهى نائمة فوجدها عارية فلم يتمالك نفسه أمام هذا الجسد الجميل وبرك فوقها

وحاول أن يضاجعها وهى فى غيبوبة فلم يتمكن، وكان كلما حاول الدخول بين ساقيها وجد شيئا يمنعه وأحس كأن فوقها رجلاً يضاجعها وهى تتلوى تحته، استغرب على الكبير من هذا الأمر وارتخى لحاله، وظل ينتظر عاريا حتى تنتهى من حالتها وبعد ذلك أحست به وهو يضاجعها فلم تمنعه واستجابت له وأكملت الشوط وعندما انحنى عليها يقبلها وأنزل ساقيها إلى جوارها قالت له :

– لن تقدر علىّ يا على... قدرك أكبر منك.

فقال على : – نامى ساكته يا بنت الكلب، شوفى أنا باعمل فيكى إيه؟

وأعاد الدور رافعا عراقيبها على أكتافه، وظل على يعمل بكل همّته وكلما أراد أن يقذف مسحت على ظهره فامتنع ماؤه عن النزول، ظل على يعمل ويستريح ولا يخلعه أبدا حتى استجابت دون إرادتها فقذف ماء كثيفا وهى تلف كفوف ساقيها على بعضهم وتتلوى وتأخذه فى حضنها وتنام فوقه ثم تعتدل له وكان هو قد أغرقها وأغرق الفرشة، وأحس أنه استراح فقال لها : تمتعى

بمائى واستحمّى.

فـقـالت له : - لأ يا على ... ليس مـاء يا على هذا خراءك وأنت لا تحس.

ذهل على وقام ليرى فوجد أن كل ما قالته صحيحا وزاد على قولها عروق الدم التى تتخلّل كل هذا؟

خجل على من نفسه ونام مرهقا ولكنها جهزت له الطشت وصبّت عليه الماء واستحم وقالت :

- قلت لك يا على لن تقدر علىّ... ولكنك جدع ورجل بصحيح.

عادت الثقة قطة تتقافز بين ضلوع على فأمسكها فخلعت ملابسها واستحمت معه. بعد يوم أخذته من يده وطرقت بيت عمك عثمان النجار وأخذوا معهم السيد الخفير، ودخلوا على عمك البيومى فكتب الكتاب فى آذان الفجر.

عاد على ونام حتى عصر اليوم التالى ثم قام من النوم وكانت قد جهزت الحمام والمخاصى فأكل وخلع هدومه فدهنته بروح الأفيون فقام عليها فقالت له :

– يا على يا حبيبى ارحم نفسك... أنا لا أمسك نفسى عند شهوتى وأنت ضعيف يا على أنت من الطين، نارى تحرقك، ومائى يذيبك.

ضحك على وقال لها : – ما حدث فى المرة السابقة لأننى شربت سمن سايح على الريق.

– يا على يا حبيبى أنا أحبك ولا أريد لك الأذى، افعل وتدلع كما تشاء معى فأنت زوجى ولكن افعل كل ما تشاء وأنا نائمة، وعندما أصحو اتركنى ولا تسأل فىّ.

كان على قد خلع ملابسه ملط وأمسك بها من وسطها جاعلا أفخاذها خارج ذراعيه وسوّتها إلى أعلى حاشرا فيها بهجته قائلا : هيلا هوب.

تأوهت بشدة : – انت حر يا على.

ظل على معها وهى تلاعبه وتشدّ عليه وهو دايخ السبع دوخات حتى آذان الفجر، فدفعه على مع آخر نفس هيلا هوب وكان يحس أنه فى آخر النفق فى مزنق شديد فلفت ساقيها عليه وقالت :

– يا ابن الكلب أنا بريئة من دمك.

ثم لفت نفسها حواليه وابتلعت على وهى تبكى وتلهث وكانت اللذات (كما قالت) تأتى لها من تحت أبطيها ومن بين نهديها ومن كفوف يديها وساقيها خلاف النمل الذى يسرى فى سوّتها وحلمتى ثدييها وأوراكها فأخذت تشدّ وعلى يتشعبط فى حبل الحياة ويقول بصوت يكاد يسمع هو كل عزمه وآخر ما سمع منه : - أحبك.

وعندما أفاقت من نشوتها فتحت ساقيها لما تذكرت ما حدث، كان على الكبير ملتصقا كورقة شجر جافة، حاولت أن تخلعه من عليها فلم تستطع وكان كلوزة بلغة خاطها الإسكافى بذمة ووجدت أنه ملتصق أكثر من اللازم فشدته فتكسّر بين يديها كفراشة أبى دقيق، جمعته فى كيس وتركت ما هو داخلها ثم دفنت ما جمعت فى المقابر، ثم ما هو داخلها فدهنت به نفسها لأنه تحول إلى مرهم وبكت على على الكبير وحزنت وقالت بعد أسبوع من موت على الكبير : - يا ناس أنا حذّرت ونصحت وتزوّجته أخيرا ومات، زواجى بعد أسبوع. تذكر الناس لحظتها حنونة وعلى العترة وكلام حفنى أنها الروح السابعة

لحنونة تسكن جسد أم سعيد لأنها درجة من الروح لم تستطع الانتظار حتى تأتى فى دورها.

قصّت حكايتها بالتفصيل على الناس فانتشر خبرها وشك الرجال فى رجولتهم وأبت الحمير أن تدلى أشياءها خارجها.

وكنت صغيرا وأختى نبوية وأمى يخافون من سيرتها، وكانوا يتكلمون عنها طوال النهار ثم يقولون الناس بتقول احنا مالنا، ثم يتذكرون حسنى الذى فى الجيش وأتذكر أنا كلامها لى وتحذيرها فأخاف ولا أقول لأمى.

هاجت البلدة كلها عليها وتساءل الناس : كيف حوت السكاكرة واحدة مثل أم سعيد ؟

قرروا مهاجمتها فوقفت أمام الباب وقالت : - قلت لكم كل شىء يا بلد ومن يحب أن يجربنى فأنا مستعدة وأنا بريئة من دمه.

عرف العم حفنى بما يحدث ففزع وجرى إلى هناك ولكن كان كل شىء تم.

قال محمد عثمان : - ما هو الذى تم؟

أكمل حسينى أبو هميلة : - قال الجمع الذى أمام بيت أم سعيد اتركى البلد حالا دخلت إلى حجرتها وغابت فأرادوا أن يكسروا الباب ووصل العم حفنى فى نفس اللحظة وقبل أن كانت النيران ترتفع من حجرة أم سعيد وصوت ضحكات حنونة يعلو.

ظلت النيرات سبعة أيام ثم وجدنا رماداً وشاهد الناس أم سعيد تسير فى شوارع السكاكرة فى اليوم التالى ولكن لم يجرؤ أحد من البلدة أن يتكلم فى هذا الموضوع وسكنت حنونة دار أم سعيد وخلط الناس فى الحكايات بين حنونة وأم سعيد لأنها روحها كما قال حفنى، حاول الناس ألف مرة هدم حجرة أم سعيد ولكنها لم تهدم لأسباب كثيرة وبلا أسباب.

أعوذ بالله يا ناس من أم سعيد.

سكت حسينى أبو هميلة فناوله حنكش بوصة الجوزة فمصَّ ونفخ الدخان بشدة فغطى رؤوس الجالسين، امتدت يد شكرى له بكوب الشاى وقال له شكرى : اشرب.

انتظر الجميع أن يستكمل حسينى الحكاية ولكنه ظل

ساهما ولا ينظر إليهم.

قال محمد عثمان : - وبعدين؟

رد سعيد : - خلاص.

قال حنكش : والله إنك عيّل وخواف، عايز محايلة؟

لم يرد حسينى فقالت له هريسة : - صل على النبى يا حسينى، بلاش كلام يا جماعة، نعم .

قال حسينى : - عليه أفضل الصلاة والسلام.

فى يوم من ذات الأيام كانت خالتك عزيزة الخبازة تخبز عند بيت عمك توفيق فصرخت وجريت من أمام الفرن: قائلة للست الكبيرة :

- يا ستى أم سعيد فى الشروقة.

ردت الست الكبيرة : - لا حول ولا قوة إلا بالله.

وجالست الست الكبيرة أمام الفرن وأخذت تقرأ ثم سمعوا صراخا من الفرن فقالت الست الكبيرة : - لا يمكن تسكن الفرن (إلاّ إذا كانت).

فقاطعتها عزيزة الخبازة : - والله أم سعيد (إلا إذا كانت).

هذا ما حكته لنا عزيزة الخبازة.

أما أخى حسنى فقد تأخر فى الجيش وكان قلب أمى يلعب فى صدرها كالقرموط من الخوف وكلما جاءت سيرة حسنى تقول : - خير اللهم اجعله خير، يا أولاد أنا بلخبط آخر لخبطة فى الأحلام اليومين دول.

قالت نبوية أختى : - والله العظيم حسنى فى شدّة، ثم بكت بحرقة.

وعندما جهّزنا للخبيز كانت نبوية لا تريد أن تخبز ولكن أمى قالت لها علشان خاطر حسنى ، جلست نبوية أمام الفرن تخبز وأمى تقرّص العجين وأنا ألعب حولهما وكان قد مضى على غياب حسنى حتى آخر مرة سبعة شهور.

قالت نبوية ضاحكة : - الفرن مبروك لا أم سعيد ولا غيره.

وإذا بصوت يصرخ من الفرن ورأس أم سعيد تطلع لنا من الفرن بالصراخ:

- أخوك العزيز مات.

اختفت رأس أم سعيد مع صرخة نبوية : - يا ساتر يارب.

عاد الصوت مرة أخرى : - أخوك العزيز مات.

- أم سعيد فى الفرن يا ناس.

وجرت نبوية تاركة الفرن صارخة بعد أن قالت هذا.

كانت أمى قد فعلتها على نفسها فلم تستطع القيام من مكانها، وأنا جريت من الخوف، ونبوية شقت جلبابها ووقعت على الأرض لا تحط منطق، وأحرقت الأرغفة التى فى الفرن، وتجمع الناس وجاء عمك عثمان النجار وقال كلاما ورش الماء ، وأكملت نعيمة وحميدة الخبيز والتدين.

بعد أسبوع جاء لنا مندوب المركز ومعه عساكر وضابط وخطاب أصفر اللون وقالوا :

- هاتوا الختم فأخذوه ودمغوا أوراقا ثم قالوا البقية فى حياتكم ، حسنى استشهد.

قال الأستاذ محمد : - البقية فى حياتك يا حسينى.

قال حميد الطبال : - خير يا أستاذ الكلام حصل من عشر سنوات.

قال حنكش العزاء واجب، وأول ما عرف

قال حسينى : - الأمر لله.

ولكن نبوية لم تسلم من أم سعيد، ظلت تحلم بها حتى بعد زواجها وكنا نخاف على نبوية وخاصة أن أمى قالت :

- نبوية عرشها خفيف.

وكانت نبوية تجلس أمام البيت صامتة، ولا تحاول أن تسير من أمام الفرن ولم تعجن أو تخبز من يومها سواء كان هذا فى بيت زوجها أو فى بيتنا.

قالت عواطف المحسّسة: - كنا نقول البنت جسمها فاير وعايزة العريس، ولكن تزوجت رجلاً كالفلق مثل ذكر النخل ولا خلف ولا تلف.

صرخت أمى : بنتى بها تعب من أم سعيد ولها خدام نايمين فى بطن نبوية يأكلون عيالها، بنتى يا عواطف لا تذهب إلى المركز ولا تقول للمأمور ضربنى يا بيه فى الحتة المحسّسة ، بنتى يا عواطف لا تكشف لباسها للمأمور ليحسّس عليه وتصبح زبونة ويضرب زوجها كلما سألها عن أى شىء.

ردت عواطف على أمي بشراسة : - كل واحد يلزم أدبه، وأوريكي المأمور بصحيح.

قالت أمي بانكسار : - طبعا لك ظهر هناك.

علق حنكش على كلام سعيد: - يعني اللي له حتة محسّسه ما ينضربشي على قلبه ضجت الجلسة بالضحك فقال حسيني :

بعدها مات في بطن نبوية ابنها الثاني والأول طرح حزنت نبوية وماتت بعد ابنها ، يعني أم سعيد أخذت مننا أربعة حسني ونبوية وولديها.

وفي كثير من الأحيان كنت أقول أنا السبب، يمكن علشان تفرجت عليها من فوق النخلة ومن شق الشباك؟

قال حنكش : قدر ومكتوب ولازم منه.

قال محمد عثمان : - لا تشغل بالك دع الأمر لصاحب الأمر.

قال حسيني : - السكاكرة خربت قدام أم سعيد ؟ واختارت نبوية وحسني والعيال؟

أنا قدامها شيء غريب.

قالت هريسة : اشرب الشاى واستغفر.

طلع النهار والكلام رايح جاى وحسينى صامت فقال عبده :

- السهرة عندى.

سحب كل منهم مداسه خارجا من دار شكرى بينما نظر شكرى إلى هريسة فضحكت .

وقال حنكش : - يا عبده بكره انت حتموت علشان منسهرشى عندك.

قال شكرى : - مع السلامة.

وأقفل الباب واستدار إلى هريسة ولكنها قد سبقته إلى الحجرة الداخلية.

***

(٢)

جلس محمد عثمان يتأمل رحلة أيامه، وتصحو فى داخله ذكرياته التى تتنفس الآن بين خطواته وأمام عينيه.

ثلاثون عاما .... رحلة عمر من بداية الوعى وقبلها أعوام وبعدها أعوام تتداخل كلها تساوى مليون عام.

عدت إلى القرية مرات قلائل من يومين إلى أسبوع، بمناسبات وبغير مناسبات ، ولا تستطيع أن تقطع من أيامك أياما للراحة، تلك هى الحقيقة.

أيام العمل تعنى الدولارات، وأيام الراحة تعنى الاستنزاف من دمك حتى تصير (باشا) بلا عمل، ولكن الجميع يعرفون أنك مليونيراً والستر من الله.

الناس أطيب من الطيبة فى وجهها الأول وأخبث من الخبث فى وجهها الأخير، وأنت رحلتك صعبة من قبل أن تولد لكأنما الأيام تقف لك بالمرصاد.

عائلتى كلها من العرب، يتصل حبل الكلام فى المساء

على الرمـــال بين الكبـــار لتنسج شـــبكة تصب بنا من الجزيرة العربيـة والهجـرات المتواليـة حتى تصل بنا إلى صحراء من الناس لا أول لها ولا آخر ، وكنت أنا الصغير أسمع فأحس أننى لست من هؤلاء الفلاحين وكان جدنا إسماعيل الذبيح بن إبراهيم ولهذا سميت الأرض التى تم استقرار الجدود عليها وهى أرض صحراوية (السماعنة) ونحن الوحيدون الذين نسكنها، وكانت (أشكر) هى القرية التى تفصل بين العرب والفلاحين، ولهذا فهى هجين وسميت بهذا الاسم لأنهم يشكرون نعمة الله أن بعض الرجال من العرب فى نزواتهم تزوجوا من فلاحات أشكر، وهو يتركها فى (أشكر) ويذهب إليها فى أى وقت يشاء ولكن لا تدخل السماعنة. وكان جدى توفيق النساج الذى جاء إلى السكاكرة ليعمل بالنسيج ومات هنا عاشقا للسكاكـرة ونحن جـئنا إلى الشكاكـرة بعـد أن صـارت السماعنة مجموعة من الفقراء الذين يمسكون أعتاب الماضى، وكان أبى هو الوحيد الذى خرج على إجماع العرب وعمل نجارا وعاش فى السكاكرة قبلهم، وهو غريب

الأطوار وغير مفهوم، وهو صامت تماما لدرجة أننى أحس أنه ليس أبى ولكنه صاحبى وهو يفاجئك بالحقيقة عارية ويصمت وعندما تلح عليه تعرف أنه يعرف كل شيء بالتفصيل ، ويقول لك ما لا يعرفه أحد إلا أنت.

وأنا لا أحب السكاكرة ولا أكرهها ولكنها تلاعبنى وأنا لا تخيل علىّ هذه الملاعيب. نحن لا نحب النوم داخل الحجرات ولابد أن نرى النجوم، ولا نلبس ملابس داخلية ونعشق النساء ، ولا نحب العمل فى الزراعة أو الصناعة ولكن فى التجارة تسعة أعشار الرزق، ولا نصحو من النوم إلا قبل الغروب، والليل لنا.

بعد الثانوية العامة جريت إلى مصر وسكنت مع عمى لاستكمال تعليمى وجرتنى السياسة إلى السياحة والنساء والشراب والأدب والشعر والأدباء ومقهى ريش وإيزافتش، ثم شاهدت معظم أدباء مصر ولكن جاء تعيينى فى أبى المطامير.

وكانت لهجتى البدوية قد ساعدتنى فى العمل بالسياحة ولأن السكاكرة سجادة كبيرة بها نقوش ملونة

بكل الألوان والأجناس فهى تسعنا وغيرنا داخلها ولكن بقانونها فتحس أنها بذرة الكون أو مختصره.

طبعا لا أحد منا كان يعرف أبا المطامير التى كانت أمى تنطقها أبو الطراطير، قلت لإبراهيم عبد العاطى أسود الكلب الذى عيّن معى.

– أين أبو المطامير ؟

– يا أخى لا تحمل هما، أخونا السيد عواجة يشتغل هناك فى الزراعة، سنكون ضيوفه إلى أن يحلها ربنا.

ونحن العرب لا نحمل هما أن نكون ضيوفا عند أحد أو يكون أحد ضيفنا، فالبساط أحمدى، والمضيفة يأتى لها الطعام من كل البيوت، والرجال يلعبون السيجة ويرددون عنتر والزناتى والهلالى وليلى ويشربون الحشيش والنساء تسمع من بعيد وتمصمص الشفاه، وقد يتصادف وجود شاعر مثل عمى توفيق فتتزلزل الأرض زلزالها وتصبح النساء قصائد، والنساء يسمعن حكايات العشق والغرام فتشلح كل واحدة ثوبها وتهفهف على نفسها وحالها من شدة الحر.

ولم أر حـرا أو بردا فى أبى المطامـيـر ، أيام الله لا يرجعها يغور الغلا وكيّاله، كان المرتب أيامها خمسة عشر جنيها مصريا بينما يوم العمل فى السياحة بعشرة جنيه فى الأعمـال البسـيطة، ويصل إلى خـمسين جنيـهـا فى المرافقة، ولكن أمى أوصتنى بالتمرغ فى تراب الميرى، ولما قلت لها التمرغ للحمير والبهائم قالت : كن حمارا فى هذا الزمان تكن سيده ورئيسه.

والحـال لم يعـجـبى سـأجـرجـر الميـرى إلى شـوارع القاهرة وأمرّغه فى التراب، وأعمل فى السياحة وأعمل فى الحكومة ولا أذهب إلى العمل وأترك راتبى لرئيسى فيظل معاش الميرى معى والسلام.

قلنا من الأوفر أن نأخذ بيتـا من بابه ولا يدخل علينا غريب ولكل واحد حجرة خاصة .

قال : من الأول لانسوان ولا خمر.

قلت : نسوان هنا؟ نسوان أشوفهم.

قـال : لأ الشـرط عند الحـرث يريح فى الجـرن عند القسمة.

قلت له : المسألة بالنسبة لى لن تصل إلى الجرن وكلها أيام قلائل وأنتقل إلى مصر.

قال مصر: إذا زنقك المزاج اخطف رجلك على مصر.

وكنت قد استلمت العمل فلم أرد عليه.

وكنا مازلنا بشقة السيد عواجة فلم أستطع النوم لأننى أحب أنام ملط، ونحن ننام على سرير واحد كل واحد على جانبه.

ذهبنا للبيت الذى سنسكنه، وسرنا خارج البلدة فى الطريق الزراعى.

الحقول كلام الله على الأرض، وجمله كتابة بالنباتات، واستعاراته وكناياته ألوان وألوان، والماء إيقاع الكلام وروح الجمل، والمواشى والجمادات نقاط كبيرة وفواصل وعلامات تواصل بين أبواب الكلام.

الأشجار هوامش وشروح وتلخيص وإيجاز لتفاصيل كثيرة كل على حسب كمية أوراقه، وأزهاره درة المعنى.

والبيوت قصائد مكثفة كتبها التاريخ.

* * *

البيت قديم ولا يسكنه أحد، واسع الحجرات، الصالة واسعة أيضا، دورة المياه بلدى مريحة، السقف بالعروق واللوح والسلم نقالى، واسع ومهجور، ولكن تحس بحياة داخله كأنه ملىء بالناس.

البيت بعيد جدا عن باقى القرية، والناس ينظرون إلينا بحذر.

وأول يوم لنا فى البيت كان اليوم الرابع لنا فى أبى المطامير.

قال السيد عواجة : - أنا نازل البلد أشترى طلبات.

قلت له : - سجائر وشاى وجبنة رومى وزيتون.

قال : - السجاير مصرية والجبنة بيضاء.

قال إبراهيم : - هات الملكة والملك (فول وطعمية).

- حاضر .

خرج السيد عواجة والمغرب نام فى حضن أمه والعشاء ربما سافرت فأحضر إبراهيم الكوتشينة.

وقال : - تلعب من غير فلوس.

- كونكان، واحد وثلاثون ، ثمانية مجنونة.

- لأ الكومى قشّة.

- تفضل.

بدأ اللعب بحذر ثم دارت الكوتشينة فقلت : - يا سلام لو دور شاى.

سمعت طرقات على باب الحجرة التى نحن بها وعندما نظرت ناحية الباب وجدت يدا ممدودة بصنية الشاى والأكواب وبخار الشاى يملأ المكان.

قلت : - إبراهيم... شاى

- العب يا أخى.

- شاى يا إبراهيم ، السيد رجع بسرعة.

- الباب مقفول يا أخى أنت بتحلم.

- الشاى على الباب.

نظر إبراهيم ورأى فصرخ : - الحقنى يابا حفنى، عدّة الشاى فى الركن يا محمد كانت اليد مازالت ممدودة وأنا وإبراهيم كتلة واحدة من الثلج والخوف.

يد الصنية على الأرض وكان إبراهيم يرشح بالخوف بينما فهمت الأمر أن أحد الأهالى يحاول تخويفنا فأخذت

الصنية وشربت الشاى.

قال إبراهيم الذى لم يشرب الشاى : - أنا محصور.

- اذهب إلى الكنيف.

- تعال معى.

كان الكنيف بعيدا عن الحجرة فقمت معه وأخذت لمبة الجاز وفتحت الباب وإبراهيم يمسك بملابسى ولم أجد شيئا فقلت متشجعا ومشجعا : - يا أخى الدنيا أمان لم يرد إبراهيم ودخل الكنيف وترك بابه مفتوحا واللمبة أمام الكنيف وقام إبراهيم تاركا ملابسه الداخلية فى الكنيف وأخذ يغسل نفسه كثيراً بينما بولت على الجدار خارج الكنيف.

خرج إبراهيم من الكنيف رافعا ملابسه عن الأرض فقلت له :

- يمكن نلاقى أحد فى البيت أو مكان دخوله، وإذا لم تكن ...

كان إبراهيم يشدنى من ملابسى وهو يتلو (السميع العليم الذى له ملك السموات والأرض.. ثم زغط وأشار

بيده وتداخلت موجات الكلام ثم التأتأت فلم يسكت ولم أفهم ما يريد، كانت مغاليق الأبواب مغلقة والحجرات خالية فى هذه اللحظة أدركت لماذا ترك إبراهيم ملابسه الداخلية فى الكنيف، أخذتنى رعدة خفيفة ولكنى تماسكت وقلت بعد رجوعنا إلى الحجرة : – دور كومى يا خل؟

لم يرد إبراهيم ولم يصد وأخذ يبحلق فى مكان ما فنظرت إلى مكان نظره فلم أجد صنية الشاى، عندها لم أتمالك نفسى ولم يعد لدينا مجال للمراوغة فصرخت :

– يا سكان هذا البيت نحن غلابة والله العظيم، سنترك البيت فى الصباح ولكم الشكر اتركونا الليلة وخلاص، اتركونا فى حالنا إذا كنتم لا تريدون منا شيئاً وإذا كنتم لا تحبون وجودنا فقولوا لنا.

دوّت رياح قوية أطفأت لمبة الجاز ففعلها إبراهيم ثانية، والرياح المجنونة قلبت كل شىء رأسا على عقب واهتزت الجدران وظهر الصوت واضحا، وكان صوت امرأة .

– نحن لا نحتاج إلى أحد نحن خدام هذا المكان. عقابنا صارم، أنتم فقط المسموح لهم بالتواجد هنا.

إذا أردتم حبنا كان.

الاتصال بنا عن طريقك يا محمد.

قـال إبراهيم : – صـوت الـسـيـد عـواجـة بن الكلب الملعون.

قال الصوت : – السيد فى الطريق إليكم.

أنارت لمبـة الجـاز وهدأت الرياح وكنت أنا وإبراهيم ملتصقان ورائحة إبراهيم.. سمعنا طرقا على الباب وكان إبراهيم يبكى ، ولم يتحرك منا أحد.

أخيرا فتح باب الحجرة ودخل السيد عواجة فصرخنا:

– يا لهوى ى ى ى ى يالهوى يابا.

– يا أولاد الكلب ... خبطت أربع مرات على الباب.

لم نرد عليه فوضع مـا مـعـه وتلفت وقـال : – رائحـة زفت.

هنا تحرك إبراهيم ونظر لى فـأخذت اللمبـة وخرجنا والسيد يتبعنا وبعد عودتنا إلى الحجرة حكينا ما حدث بالتفصيل الممل للسيد ولكنه لم يصدق.

قلنا له : – جرّب.

لم يرد علينا وفتح اللفائف التى معه وأكلنا وبعد الأكل قلت : – والله دور شاى عظيم يظبط المزاج.

وإذا باليد تمتد حاملة صنية الشاى.

صرخ إبراهيم وهو يضرب السيد عواجة : – صدق يا روح أمك؟

كان السيد عواجة ممسكا بالقلة فوقعت منه ووضعت اليد الصنية على الأرض وأقفلت الباب، لم يتحرك أحد منا وتأكدنا للمرة الثانية، فقلت فى نفسى :

– ما يحدث مادى وحقيقى كالقلة وإبراهيم وكل شىء، لابد من التعامل مع الواقع .

قمت من مكانى وأخذت الصينية وقلت : شكرا وصببت الشاى.

شربنا الشاى ودخل كل منا كيفما اتفق تحت اللحاف وفى الصباح كان كل شىء فى البيت مرتبا ومغسولا حتى ملابس إبراهيم، أخذت حقيبتى وعدت إلى القاهرة عازما على ضرب الميرى وأصحابه بالحذاء.

هذه أول إجازة أقضيها فى السكاكرة بهذا الطول،

أعود إلى العلاقات القديمة وأصدقاء الكتّاب وحفظ القرآن والسهر فى الموالد .

الليلة الماضية فتحت أمامى طرقا كثيرة ولكن الفلاحين كما هم عالم عبيطة على طيبة ولكن دائما خبثاء، ونحن العرب أصل الكرم والجود.

تغيّرت السكاكرة والناس كثيرا، وأنا أيضا تغيّرت ، ولكن بقيت جذور متشعّبة فى داخلنا، جذور تقف على حدود التصديق والوهم والكذب وعدم التصديق، تتشعّب وتتماسك وتنبت فروعا قوية بأوراق كثيفة تصبح حكايات ونقع فيها فتلامسنا وتشتبك معنا ويصبح اشتباكها دليلا على حدوثها، مثلا من يستطيع تكذيب أى حكاية مما سمعناه ليلة أمس؟ وإذا كنت فى القاهرة قد عرفت (ديكارت) و(ماركس) و(انجلز) و(سيد قطب) و(النسفى) و(ابن جرير الطبرى) و(ابن حجر العسقلانى) و(القاشانى) و(أبا معشر الفلكى) و(سليم حسن) و.....

فقد عرفت (عنترة والمتنبى وابن الرومى والهلالى والزناتى وفن الواو والمربع والنساء النساء النساء وعائشة

الخياطة والعم حفنى) واستمرت القاهرة تلقى إلينا بمجلات شعر آداب والكاتب والهلال وعرفنا فاتح المدرس والسجينى ومختار ونجيب محفوظ وديستوفسكى وتولستوى وفكنر وابن ميادة وهيمونجواى وسحيم عبد بنى الحسحاس ويحيى حقى وبيكاسو والشيخ محمد رفعت وناظم الغزالى وجويس وجيمس فريزر وجمال حمدان والطبيب ابن سينا ومظفر النواب وكل أبناء اليسار ورأينا أفعال اليمين وعرفت فى الخارج مؤلفات ميشال فوكو وجريدا وإيهاب حسن وألتورباليرو، وامتلأت بجراحات الانقسامات والحل ونكسة ٦٧ وغزو بيروت وشاركت في تحرير مجلة السفير وتعلمت تدخين الحشيش ودهان الزيت وعرفت معنى امرأة فواحشية، وسهولة إطلاق الرصاص والحياة كما ينبغى كل هذا فى جملة واحدة بلا فواصل بينها.

ومن بعد ومن قبل وبكل جوارحى ما حدث لمصر طوال حياتها وحسبى الله ونعم الوكيل. ومن قبل السجون والمعتقلات وعذابات التصنيف والشائعات والكلمات كالإبر

فى العمل فتنتقل من عمل إلى عمل وما أن تستقر فى العمل إلا ويظهر لك ابن كلب ينبش فى ماضيك، لم أسافر أبدا للعمل عند فرد معين ولم أعش على ذمة كفيل ولكن عند حكومة أو فى السياحة وأحفظ تاريخ مصر وأعرف قصة كل حجر، ودخلت لعبة الميتافيزكس والعلاج بها والأعشاب والشفاء عن طريق التخاطر وتحولت إلى أثير أعيش ملايين اللحظات فى وقت واحد وأعبر ملايين السنين وأتوقف كيفما أشاء.

وفى يوم يصبح معى آلاف الدولارات ولا أجد وقتا لصرفها، وفى أيام يضربنى الفقر حتى لا أجد الفول والطعمية وأنا لا أحبهما.

عرفت أجمل الجميلات وصادقتهن وعاشرتهن بالمعروف والغير معروف وهجرتهن ، وعرفت الشغالات من كل جنس ونوع ولون وملة وعرفت بنات الناس ، والوحيدة التى كنت أتمنى الزواج منها وكانت تعمل معى فى شركة سياحة ومن عائلة متوسطة وقاومتنى بشدة حتى عندما تقدمت لها لم توافق وقالت لى أنا لا يمكن أن أتزوج واحد

أبدا مثلك وتركت الشركة لى رغم علمى بحاجتها للعمل، وعجبت من فقر أهلها وعنطزتها ، ولكنها شرختنى ومضت وأفقدتنى الثقة فى نفسى.

وعجبت من أمر السكاكرة تتغير فمن السطح لكن يبقى قانونها يحكمها ولا نعرفه، وأنت فيها كالحلم وهى كالحلم، وأهلها كالحلم ولكنك قد تمسك الحلم بيديك لأنك قد تلامسه، وهى تحكمك بمجرد وصولك تنسى كل شىء خارجها وتحس أنها كل العالم وزيادة، تجرى قانونها عليك ولا تملك الفكاك مثلا تخطط لزيارتك أن تزور أختك أو أقربائك ولكن تمر الإجازة وأنت مع هؤلاء الحرافيش، شىء يجنن وأنا لا أحبها ولكن هذا هو حالى معها.

والحقيقة أنا أريد أن ألبس الملابس البدوية وأتكلم اللهجة البدوية وأسكن فى الخيام وأشعل النار وأكرم الضيف وآلاف النساء حولى والخراف الضأن تشوى على النار كما أشوى على نار الحياة.

الحقيقة والحقيقة فقط أن السكاكرة تعاننندنـ...ى...

(٢)

اجتمعت الصحبة فى بيت عبده الصغير، وجسلوا فوق سطح البيت حيث بنى سورا بمقدار طوفين من الطين المخلوط بالتبن وفرش فى ركن منه الحصيرة ووضع المساند والمخدات حتى يأخذ الجميع راحتهم على الآخر، وجهزت الجماعة القلل بالماء الساقع والنعناع ورمت الليمون البنزهير فى الصينية بجوار القلل، وجهزت قوالح الذرة والكبريت وغلافة ذرة جافة لزوم النار، كذلك الشالية والجوزة وعدّة الشاى والمعسل وأسياخ التسليك ، نظر عبده إلى كل هذا وفرح ووقف ينتظر والقلق يأكله.

– لا ينقصنا أى شىء إلا الصلاة على النبى.

ذهب ناحية السلم ونادى.

– يا مسعدة يا منجة يا روحى.

– نعمين.

– أنعم الله عليك وعلى أهلك، الليلة عندى، ولا أحب أن

تكون هريسة أحسن منك أو أنا أقل من شكرى.

جاء صوتها من تحت.

– فشر .

– الحمد لله.

– حط فى بطنك بطيخة صيفى، ستكون أجدع رجل فى السبع مدريات.

– الله يشرّفك يا مسعدة، وأنا سأجعلك مبسوطة آخر انبساط يا عقلى.

– كفاية رضاك علىّ.

تناول عبده عود حطب جاف وهرش به الأفكار التى تأتى إليه وتعجّب من حاله، وكيف ظل هو وشكرى وكل أصحابهم بلا أرض ويعملون بالأجرة عند الناس، ولكن ربك سترها ولم يفضحنا أبدا.

وتذكر أن هذه الأرض من عرقه فى أراضى خلق الله من عزيق وزراعة ورى وتسميد، وبيع الخضار والفاكهة، وكيف أن الرزق يحب الحركة والخفية وأنه لم يترك فرصة تبص برأسها إلا وقبض عليها وأرغمها على أن تكون له

ومسعدة شريكته فى كل شىء ولم تزعل من ضيق المعاش حتى صارت أحلى من المانجو.

وفى الليل مسعدة حاجة تانية خالص وأعطته كبشة عيال، طوال اليوم العيال فى الشارع أو عند أمها، وهى طيبة وبنت حلال لولا خرابيشها فى الظهر وهى مزنوقة تحتى.

تأمل حكمة ربنا فى النساء وكيف يتحول الكلام الجميل الهادئ فى أول الشغل إلى صراخ وخرابيش وحركة لا تهدأ فى كل اتجاه... سبحان الله، الله هو القادر ، النسوان صعبين يا عم الله يقدرنا عليهم.

حمدا لله كثيرا وتذكر كيف فتح الله عليه فبنى هذه الدار فأطلقت مسعدة زوج حمام له ولها ولكل عيل وعيلة من العيال وربت الفراخ والبط والأوز والماعز والحال عال العال، كفنا الله شر غضبها.

– مسعدة.

صعدت إلى سطح الدار قائلة : – نعمين يا روحى.

– ثمن الفدان جاهز.

- بدري قوى يا عبده.... احنا على أول البر.

حلم عبده أن يكون صاحب أرض فدان واحد يا ناس وقال فى نفسه.

- إذا جـاءك الموت ياولد يصـبح للأولاد أرض وبيت وتموت وأنت مرتاح البال حتى لا يشتغل عيلك عند الناس تملى أو بالأجرة أو خادم عند أى كلب، وحتى لا يرى أحد منهم ما رأيناه، ولا يحمل على كتفه فأسه كل يوم وينتقل من مكان إلى مكان أو عـامل تراحـيل، والله العظيم كنا نعمل بأكلنا..

يا سلام على الدنيا.

عاندنى الحظ فتطوعت فى الجيش وقلت السلام عليكم يا مدارس، فقالوا فى الجيش أنت قصير، واسمى عبده الصغير، وإذا الدلع زاد يقولون لى يانص.

زمان ذهبت للكتّاب وكان عمنا أحمد وحنكش وطلعت وحـمـدى والزملوط، وبعـد أن حـفظت (عمّ، وتبـارك، وقدسمع)، وزرعت أرض سيدنا وشلت على الحمير.

وفى سـورة النور جـاء على بالى سـؤال ولما سـألت

سيدنا أخذت من الضرب ما أخذه حمار فى مطلع ، غير شتيمة أهلى والجيران ، والحكاية بسيطة سألت سيدنا :

– يا سيدنا إذا الواحد رجع من الغيط ووجد واحد كابس فوق مراته أو أخته أو أى حريم، يتركه يكمل مزاجه ويجرى فى الشارع يدور على أربعة شهود يشهدون عليه؟ والله كان خلص مزاجه وقام وجرى.

ثم هل معقول يا سيدنا إن فيه امرأة تعترف وتقول أنا عملت ؟

والله تكون مقوم النطع من فوقها وتتذلل لك أن تسترها وبعد دقيقة تلعن أبوك وتقول لك أنت حمار وتضربها بالنبوت وتحلف على المصحف أنها لا تعرف هذا الشخص.

وعندما تضربها بالنبوت وتحس بالموت تقول لك : حصل والله غصب ، المكتوب ، ربنا مسامح ، فتقول لها شرع الله الطلاق فتقول : يا رجل يا أهبل أنا لم أقل لك شىء كنت واخداك على قد عقلك ، أنا قلت هذا الكلام لأنك عايز كده.

وعندما تزنقها فى الكلام تقول لك، خلاص زمن وعدّى، أنت حبيبى، إذا كان حصل عرفنا الصح من الغلط .

أين الكلام الصحيح من الغلط يا سيدنا ؟

صرخ سيدنا :

– عظيم يا عبده يابن الرفضى، أصبحت فقيهاً ومفتياً وعالماً ومفسراً، لعنة الله على أهلك فردا فردا وجيرانك والشارع والبلدة التى تحويك كلما هز الكلب الأسود ذيله، وهات يا ضرب.

وعندما كنت أصادف فى الشارع كلبا أسود، كنت أحس أن هناك ثقباً فى السماء تنزل منه اللعنات على الناس بسببى وتغطى رؤوسهم كبرط الجلة وهم سائرون فى أمان الله. عندها يا سيدى تركت الكتّاب نهائيا واللوح والقلم البسط وحملت الفأس إلى أراضى الناس ومع ذلك ظل هذا السؤال إلى اليوم يعذبنى، وعملت فى كل الأعمال وتأخر زواجى سنوات بسبب هذا السؤال، وإذا حدث هذا لا قدر الله سواء معى أو مع غيرى سأقتلها وأقتله ولها ألف حلال، البنى آدم لحم ودم وأعصاب وإحساس.

ولو أني زعلان قوى من أحمد لأن السكن فى مصر أثر عليه فيوم أن سألته فى هذا الموضوع قال بالنحوى :

– يا عبده كل امرأة خائنة معها رجل خائن، وأن ما بينك وبين زوجتك ورقة واتفاق فإذا فعلتها هى أو فعلتها أنت فكل منكم يذهب إلى حاله.

– بالراحة يا أستاذ ؟

– يا عبده إذا أنت فعلتها وامرأتك ضبطتك هل تقتلك؟

– يا أستاذ أنا رجل وهى امرأة، وأنا حر.

– يا سيدى المرأة التى ستكون معك إذا ضبطها زوجها يقتلك ويقتلها صح ؟

– يقتلها نعم تستاهل لكن يقتلنى؟ وهل فعلت شيئاً بدون رضاها؟

– ما تريده لنفسك عامل به الناس ثم لماذا تترك الأمور حتى تصل إلى هذا الحد، الرجل يحسّ بزوجته يا عبده.

– يمكن شك.

– بدون دليل ؟ موت من الشك.

انتبه عبده من أفكاره على صوت مسعدة.

- سرحان يا عقلى.

نظر عبده فوجد مسعده أمامه فقالت له :

- الناس تحت.

كان هذا ما دار فى دماغ عبده متماوجا وهو ينتظر الرفاق.

قفز عبده السلم فى قفزات سريعة وهو ينادى.

- أهلا وسهلا.

خرج إليهم فوجد حنكش وحسينى وحميد وحامد فسأل.

- أين الأستاذ محمد ؟

- ذهب شكرى إليه .

اجتمعت الصحبة بعد العشاء ودارت الجوزة والمعسل وقال محمد عثمان:

- والله البلد تغيّرت، ولا أعرف الشباب الجديد، والناس تعرفنى من سيرتى، وفى أحيان كثيرة أقابل جيلى والوحيد الذى لم أقابله من مدة هو أحمد.

قال حنكش : – سبحان العاطى الوهاب، سبحان العاطى بدون مناسبة ، جرانين وإذاعة وكتب وتلفزيون وشقق وبيوت وأراضى وفلوس بالكوم.

قال حامد البلاسى : – يا أخى صاحبك وصاحبنا بلاش الغل، ثم إنه سجن وشرّد وتحمل هو وأولاده العذاب كله راح عندكم فى الهوا.

قال حنكش : – إذا كان راح عِنْدَنَا فى الهوا فَعِنْدَهُ أصبح فلوسا ، بالكلام والسجن والتعب صالح الحكومة وهبر أبو أم الحكومة.

قال حميد : – هبر؟ سافر مع أولاده يبقى هبر؟ والله مسافر مضطر علشان مصاريف الأولاد، كل الحكاية إن قارش ملحة حنكش من زمان وعيب الأستاذ أحمد أنه يقول للأعور أنت حنكش فى عينه.

ضحكوا واستغرقوا فى الضحك ولكن حنكش استأنف الكلام :

– اتركوا الطابق مستور، الحطان تدارى الناس.

قال محمد عثمان : – رأيته من شهور وأعطيته

العنوان ولم يحضر؟

قال حنكش : - يا عم غاطس فى شارع الهرم الفلوس بالكوم ويعوض النضال والسجن مضى زمن الكلام وجاء زمن الفعل الأسود، ثم إذا كان سافر فخير البحر الأبيض يشرب ماء النيل من مليون سنة لا النيل تعب ولا البحر شبع، والفلوس زى العسل.

قال قراجة : - ملعون أبوك أعور ابن كلب .

دخلت مسعدة بطبق البلح المغسول وقالت : تفضلوا .

قال محمد عثمان : - افهم الموضوع.

قال حنكش : - أنا سألته وقال بعضمة لسانه أنا ساكن فى شارع الهرم، وافهم أنت الباقى.

قال محمد عثمان : شارع الهرم ممتد من ميدان الجيزة حتى أول طريق الفيوم، كثير جدا من الناس تسكنه فما هى مشكلة أن يسكنه أحمد؟

قال حنكش : - الحق علىّ أنا أقول ما قاله.

قال حميد : - يمكن حنكش يقصد موضوع مشكلة بيته.

انتفضت مسعدة .

- أنا ساكتـه من الصبح لكن كل شيء له آخر، ولما يصل الكلام لأسيادك لازم تحترم نفسك، والله العظيم ما عندى إلا الشبشب، أحمد خيره عليكم من فلوس لعلاج لسلف لجاملات وهدوم المدارس لأولادكم فاكر يا حنكش؟ إن الله حليم ستار.

قال حميد : - بالراحة المصارين فى البطن تتخانق، ويمكن صحيح طلق مراته.

قالت مسعدة : - طلق فى بطنك يا طبال ياوسخ، يالمّام اللقم يا دون، عيب عليك اسأل ولادك عن هدومهم.

ثم نظرت إلى زوجها - كل الكلام قدامك وساكت ياعبده؟

- أنا عايز أشوف بطن كل واحد وما فيها.

قال حسينى أبو هميلة: - هذه هى المرة العشرين التى يتكلم حنكش فيها هذا الكلام وبعد هذا الكلام ذهبت إليه فى الزقازيق وكان ينقل عفشاً إلى مصر فى شقة هناك لأولاده بالجامعة، وكانت زوجته فى البيت وسألتها عن

الزعل فقالت : أبدا الناس كلامهم كثير وأنا سافرت ورجعت قالوا أحمد تزوج، وأنا قررت الحفاظ على أحمد وبيتى حتى النهاية وأحمد مسافر معى يوم الجمعة، وذهبت إليهم وودعتهم فى المطار.

قالت مسعدة : - رد على الكلب أعور العين والقلب.

قال حنكش : لَمِّى لسانك يا مسعدة.

قال عبده : - حنكش لا يعرف العيبة وقال لى امبارح قدام الموجودين أن أَتْرُكَكْ له ليلة سلف ينام معك.

انتفضت مسعدة : - يا نهار أبوك طين ؟ وداخل بيتى، اطلع برّه يا كلب.

ولم يستطع أحد منع الشباشب والبلغ التى نزلت على رأس حنكش وجرّته مسعدة حتى السلم ورمته ثم أخرجته من الدار ولم يكن يرد ولم يتحرك أحد منهم للدفاع عنه .

قالت مسعدة بعد عودتها من طرد حنكش : - قُطِعَ بمية سمك زفرة.

قال قراجة : - صلوا على النبى.

العالم الجبانة جبانة، حنكش هذا ولد خلبوص من

يومه وهو لا يعرف العيبة ولسانه مفلوت، ويمكن أن يتكلم على نفسه، وهو الذى فضح هنية امرأته وقال للناس على حكاية الأرانب.

قالت مسعدة : – والله لو كان زوجى كنت ضربته طلقة واسترحت منه، يا أخى عيب الكلام على الأستاذ أحمد، كل الكلام علشان تأخرت عليهم الهدايا.

قال محمد عثمان : – والله عيب خالص خاصة أن ولا واحد له جميلة على الأستاذ أحمد، وفى أيام سجنه تحملت زوجته كل الحمل ولم يساعدها أحد حتى أنا، ظروف، صلوا بينا على النبى وغيّروا الكلام.

قال قراجة : – حنكش لا يساوى ولا يستاهل ، يا ناس هنية كانت تسمع ما يحدث بينها وبين حنكش من الناس على الترعة ولا تعرف إلى أن سمعته بنفسها، وهو الذى حكى للناس حكاية الأرانب، لأن هنية هى أحسن واحدة فى المركز تربى فراخ وبط وأرانب فإنها تخرج بعد صلاة العشاء وتأخذ معها القطف والمشنة وتذهب إلى المصرف الميرى لتأخذ عدس الماء فى ضوء القمر وتترك

المقطف على البر وتصطاد العدس من على وجه الماء وتصفيه ثم تجمعه فى المقطف إلى أن يمتلئ، فهو يومه بيومين ويجعل الفراخ والبط تسمن وتكبر بسم الله ما شاء الله، وكان يطلع لهنية مع العدس سمك فى المشنة فتأخذه للعيال وتفرح وكان رزقها واسع.

وفى أحد الأيام بعد أن امتلأ المقطف حتى آخره رأت ست الناس وهى تستحم ورأت شلبية وهى تستلم سمك عائشة الخياطة، وعادت عن طريق الجبانة وعند نخلة خالتك نفيسة خافت فأخذت تقرأ (قل هو أحد، والكرسى) ولكنها وجدت أرانب كثيرة تجرى فى نخل التربة فى ضوء القمر وتسير على مهلها وتتكعبل فى رجليها، وضعت المقطف على الأرض وزحفت على يديها ورجليها وأمسكت زوج أرانب من أذنيهم، ووضعتهم فى حجرها واستمرت تمسك الأرانب وتضعها فى حجرها حتى قرب الفجر، فوضعت المقطف على رأسها والأرانب فى حجرها وطارت إلى الدار تنادى على حنكش والعيال، فتحوا لها الباب ودخلت وأخذوا منها المقطف ثم فتحت حجرها ليأخذوا

الأرانب فوجدوا فيه ترابا.

تعجبت هنية وقالت : - لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

قال حنكش خير يا هنية :

حكت له الحكاية من طقطق إلى السلام عليكم: وقالت له إنها نسيت المشنة عند الجبانة.

قال لها : - أرانب؟ الأرانب عفاريت يا بنت العدل.

ياست يا كاملة المعاني، يابنت الوسخة علىّ كذا بالتلاتة، كان واحد بيحبلك فى الجبانة إذا لم تحضرى المشنة تكونى طالق... ناقص أنا فقر علشان تضيع المشنة والمصفى لن تباتى فى الدار إلا بالمصفى.

أخذها الرعب ولم تستطع القيام من قعدتها ولكن يمين الطلاق جعلها تجرى، وعندما لاح لها نخيل التربة قالت :

- سيدى يا إبراهيم يا عسكرى سيدى البرهتى عم الحاج سيد يا بدوى يا حسين علشان خاطر النبى يا أولياء الله الصالحين، المصفى وبلاش فضايح والطلاق والعيال الرحمة يارب، والمشنة والنبى

وكانت تقدم رجلا وتقدم أخرى وتتأخر مشوارا من الخوف ، حتى وصلت إلى نخيل التربة فوجدت الماء يغرق الأرض والقمر يلمع، رفعت جلبابها إلى أعلى وغاصت فى الأرض والماء ولكن الماء ارتفع حتى أبطيها وكانت تحس ببرودة الماء وأخذت تبحث عن المشنة حتى آذان الفجر فلم تجد المشنة فجلست تحت نخل التربة وأخذها النوم فنامت، أفاقت فى الصباح لتجد عمك فتحى أبو الحاج يصرخ فيها لأن هدومها كانت مرفوعة وهى نائمة والمشنة والمصفى تحت رأسها ، رد عليها فتحى أبو الحاج هدمتها عليها وزعق فيها : - بت يا هنية.

قامت مفزوعة ولم تجد ماء ولا يحزنون فبكت وحكت له الحكاية من أول ما حدثت.

قال : - أنت زوجة حنكش؟ والله فردة بلغة ولقيت أختها، يا بنت الهبلة العفاريت ضحكت عليك ، والرجل الحمش سابك تطلعى من الدار بالليل؟

بكت كثيرا وعادت إلى الدار ومعها المشنة والمصفى ولم تنجب بعدها وظلت تعملها على نفسها وهى نائمة

كالعيال الصغار، وكان حنكش يقول للناس إن زوجته عاشقة وإن عشيقها فرتك العدّة فهى تعملها وهى نائمة وفضحها فى البلدة كلها حتى عمل لها عمك عبد الله أبو الحياة ورقة أوقفت تدفق الماء منها وهى نائمة، وكان حنكش يسميها بحر النيل الكبير ويفرج الناس على فرشها المبلولة منها.

قال حسينى : - المهم أن هذا الجبان تركها تذهب عند الجبانة قبل الفجر وحدها ولم يذهب معها ونام حتى الصباح وعندما عادت أخذ يحلف بالطلاق أنها كانت مع عشيقها وهى تبكى ولا ترد.

قالت مسعدة : - شخص جبان، من يومها وهى تجرى من الأرانب وتخاف منها ولا تربيها أبدا.

قال محمد عثمان : - حكاية الأرانب صحيحة ؟

قال حسينى: - طبعا، ولا يقطعها إلا وجود البنى آدم، فلما بنى عبد الغنى بجوار الجبانة قل ظهورهم.

قال حميد : - البنى آدم عفريت وهو العفريت الحقيقى.

قال شكرى : – العفاريت حقيقى واسأل عمك إسماعيل العكروت .

قال حامد البلاسى : – الرجل أصبح لا يطيق هدمته من اسم العكروت حتى أنه حج حتى ينسى كل واحد اسم العكروت ولكن يوم رجوعه من الحجاز قال له سيد الطبال والد حميد : – حمدا لله على سلامتك يا عكروت.

قال الحاج إسماعيل : – ملعون أبوك طبال بصحيح.

قال سيد الطبال : – عيب يا حاج ، أول غلط عليك وأنت راجع أبيض من الذنوب كيوم ولدتك أمك سنية من فرجها.

لم يرد عليه ولكن بقى اسمه الحاج إسماعيل العكروت.

قال عبده الصغير : – كأنك يا أبو زيد ما غزيت، وما حكاية أبيض كيوم ولدته سنية من.. يعنى بلبوص؟

قال حسينى : – خالى من الذنوب وكلها مغفورة.

قال عبده : – يا سلام حتى سرقة الخيارة، وعواطف المحسّسة؟

قال قراجة : – والله الخطيب فى المسجد قال هذا الكلام.

قال حميد : - الناس بتوع الحجاز على كيفهم لأن الحج عندهم ببلاش، يعنى طيران على الحرم وهب راجع أخر حلاوة.

قال محمد عثمان : - الله يغفر الذنوب التى فى حق الإنسان لنفسه أو لله ولكن حق الغير لا يمكن إلا إذا أخذه الغير علشان من الضرورى قبل الحج أن يرجع كل واحد الحقوق لأصحابها والاعتراف والتوبة والتسامح أساس كل شيء.

قالت مسعدة : - الكلام يوزن الميزان نفسه، لو كل واحد حمله على ظهره كان زمانها خربت والناس أكلت بعضها، أعوذ بالله.

قال عبده : - يا ست مسعدة الميزان معدول لكن ميزان بطننا عاوز عشاكم يعدله يا ست الكل، ومانجة السبع مديريات.

قامت مسعدة وهى سعيدة وتطير من الفرحة ونزلت السلم، ولم يكن أحد يعلم ولا حتى زوجها بما أعدت للعشاء، وصعدت إلى سطح الدار وعلى رأسها صنية

العشاء، وتركت الأولاد فى وسط البيت.

وضعت صنية فوق المسند بعد أن أنامته على الأرض، وكشفت عن الفطير المشلتت، الجبن القديم والأبيض وعسل النحل والعسل الأسود، ونزلت لتعشى العيال.

قال محمد عثمان : - الله يرضى عليكم.

قالوا : - بالهنا والشفا.

كانت الأيدى تلف وتقطع المشلتت وتغمسه فى الأطباق وتدفعه إلى البلعوم مباشرة، حتى أنهم لم يحسوا بها عندما عادت لهم لتأخذ الجوزة وعدّة الشاى لتغسلهم.

قال عبده : نسينا عشا حنكش.

قالت مسعدة : وصل بيته، وأنا لا يفوتونى واجب.

قال عبده : طول عمرك أصيلة يا منجة ويزيد أصلك أكثر بدور شاى معتبر.

سبحت الخيالات بعد كلمة منجة وتذكر كل منهم ما كان وصوتها العالى يدخل إليهم فى المسجد فيبطل الصلاة، وتذكروا كلام حميد الطبال من أن الرجال والشباب ضاعت قوتهم تحت شباك عبده.

قال قراجة : – الله يلعنك يا حميد.

قال حميد : – لا حول ولا قوة إلا بالله، مخك لسع يا قراجة علشان الصنف زيت من المحجر ببلبيس وأنت عرشك خفيف، وخاصة أن شرب البوظة ضربت دماغك.

لم يرد عليه قراجة ولكنه قال مغيّرا الموضوع : – تذكرت عمك رمضان العكروت والسيد الوسخ جوز سمية ورمضان راكبه وهو يعمل له ولا أجدع ست.

قال محمد عثمان : – السيد الوسخ؟

قال شكرى : – أنت لا تعرفه، شيء كالحلفاء أو ذيل القط أو البراز مرمى فى الشارع تندب فيه ساقك فى ليلة مظلمة ويعوص أى إنسان مهما كان نظيفا، أشياء كالبق وهى حكمة الله فى خلقه، لا كلام ولا إعادة ولا إفادة ولكن قدر الله وما شاء فعل، جَرَبْ وحلّ بالبلد.

هذا الجرب جاء إلينا من البندر من عند حلقة السمك منبع الزفارة وكان والده تيس يشترى الانقاض ويتاجر فيها اسمه إبراهيم الأسود وتزوج من ست بياعة كرشة ولها سمعة كالقطران، ولكن وجد له بيتاً ووجدته لها

واحداً يضمنها فى المركز.

لفت الأيام فصار صاحب عمارة وتحتها محل الكرشة، وظلت تفهم فى حشو المنبار وترقيصه حتى وهى عجوز لهذا جاء أولادها كل واحد بشكل.

وكلما قال له الناس ذلك، قال لهم البطن قلاّبة.

قال عبده : – كلام مضبوط فقلبها على ظهرها شكل وعلى بطنها شكل وحسب قدرة القالب.

قال شكرى : – تربى السيد وسط هذه الزريبة وفى المدرسة استلمه العيال وأضاعوا رجولته وكان لا يدافع عن نفسه، كنت أيامها أعمل فى شادر الخشب عندهم ولكن لما كبر عَرَفَتْهُ سنية النجدى زوجة أحمد بياع الكشرى وكان يصرف عليها وتزوج ولم يستغنِ عنها وتزوج من ست محترمة بفلوسه وعنده بنتان والكلاب تخلف وأصبح من راكبى السيارات وتخصص فى فضح أى سيدة محترمة بالحق والباطل ويحكى عنها للناس كذبا أو حقا، ويتعمد أن يصل الكلام إلى زوجها فتطلق وهكذا تخصص فى خراب البيوت، ولا نعرف ما الذى

حدفه على بلادنا واشترى عشرة أفدنة باعها بعد الضرب الشديد من شباب البلدة ولم يبق إلا فداناً واحداً.

قال محمد عثمان : - لا يمكن أن تمتد النجاسة من حلقة السمك إلى طهارة الحقول.

قال شكرى : - اشترى الأرض أيام العمدة القديم الذى كان يبيع كل شىء ولوث كل البيوت بالكلام أو الله أعلم.

قالت منجة : - الله هو المنتقم الجبار.

أذن الفجر فرفعوا الأيدى بالدعاء أن يطهر الله أرضهم من النجاسة وأكملوا الدعاء بالتأمين عليه ولكن قراجة قال :

- الدعاء مجاب إن شاء الله ولكن لابد من الفعل.

قاموا لصلاة الفجر ولكن منجة أمسكت عبده من جلبابه قبل أن يغادر الدار فقال :

- أصلى الفجر وأرجع لك قوام.

- أنا قلبى غير مستريح من حكاية السيد لأنه صاحبك من زمان وأنت ساكت من الصبح على الحكاية،

لابد أن تحلف على المصحف أنه لا علاقة لك به.

قال عبده : - عيب يا منجة أنت هبلة.

حاول أن يتملص منها ولكنها صرخت : -

النار داقة فى جسمى يا عبده، احلف على المصحف سيب الصلاة واحلف الأول، وقل بعد الحلفان الله على ما أقول شهيد.

وإذا لم تحلف لن تلمسنى أبدا.

- لن أحلف يا منجة.

- طلقنى يا عبده.

يالهوى أنا جوزى بتاع السيد الوسخ، حرام عليك عيالك، ناقص تبعنى قدامه يا عبده.

- يا ستى عيب لازم ييجى قدامك ويقول لم يحصل أبدا.

- لو قال يبقى حصل.

ظلت منجة تبكى وتصرخ حتى ارتفعت الشمس وعبده ضاعت منه الكلمات وضاعت عليه الليلة الجميلة التى قضاها مع أصحابه.

وبقى كل منهم مصمم على رأيه.

(٤)

سار محمد عثمان من محطة القطار إلى السكاكرة فى يوم الأربعاء واشترى الجرائد والمجلات من القطار وأحيان كثيرة كان يستسمح عمى صالح معاون المحطة أن يحضرهم له من ههيا كل صباح، وعمى صالح رجل جميل وطيب وخدوم وشهم وقليل الكلام.

كنت يومها مع الأستاذ محمد.

عمى صالح يعرفنا واحداً واحداً، ويسأل عن نتائج الامتحان فى المدارس والجامعات وسبقنا فى الفهم والحكمة ليس بحكم السن، وكان يحفظ مقالات محمد حسنين هيكل.

(بصراحة) من أول قراءة ولفت نظرنا لها، وكان يشرح لنا كيف يعكس هيكل الطبيعة على جو الحديث وشخصية المتحدث وعمى صالح قال لنا :

– بسبب مقالات هيكل الأدبية سيرتفع أسلوب

الصحافة إلى مستوى الأدب بينما سيتراجع كتّاب رواية وقصة إلى الدرجة الثالثة .

وأكمل - المازنى وهب الصحافة قوة البيان وسلاسة التعبير، والرافعي والعقاد وطه حسين أدبوها وتعدّدت على أيديهم معانى الكلمة الواحدة، والبساطة والتبسيط من واجبات الصحافة التى فرضتها علينا نسبة الأمية الزائدة، وكان النديم وبيرم نبض الشعب وإحسان وبهاء ساسة الشعب بعد التابعى وأباظة، ولكن هيكل جعل المقالة الصحفية قصة قصيرة واللقاءات رواية وأضاف التحليل النفسى للشخصية من خلال رسم ملامح المكان، وطبعا أنا عن نفسى لم أفهم ولا كلمة واحدة من هذا الكلام ولكن كنت أحس أنه صحيح، وفاجأنا عمى صالح بالحصول على الإعدادية والثانوية نظام الثلاث سنوات بمجموع يضمن له دخول الجنة وليست الجامعة فقط ، ولكنه اختفى كثيرا وعاد قليل الكلام كثير الابتسام.

قال محمد عثمان لى فى طريق العودة.

- صالح دفع من دمه ثمن استخدامه لعقله.

– يعنى أيه ؟

– تعرف إبراهيم أفندى أبو الورد؟

– طبعا ، الرجل الناشف كالدريس والساكن بيت عبده الفراش ، وترك المحطة والبلد.

– من زمان؟

– بعد عمى صالح بفترة.

– هو السبب فيما حدث لعمى صالح.

– يا سـلام .... كـتب فـيـه الشكاوى أم دبّر للرجل ملعوبا؟

– عـمك صـالح هذا رجل إذا لم ير الشىء بعـينه أو يلمسه بيده أو يذوقه بلسانه أو يشمه بأنفه فلا يصدقه أبدا، وكـان دائمـا يهـزأ منا عندمـا نحكى له عن العفاريت وبعد ما عاد كان يمسك كل أعمال المحطة من المحولجى وقاطع التذاكر إلى القندلجى والمعاون وذلك لأن ناظر المحطة زكى أفندى نسيب رئيس الحركة بالزقازيق، ويقدر إذا زكى أفندى غضب على واحد سلط عليه رئيس الحركة عمى صالح راجع لا ينطق فقام بكل العمل من

سكات حتى ورديات الليل كان يقوم بها.

وفى يوم زرته فى الصباح فى المحطة لأخذ الجرائد فوجدته زائغ النظرات أحمر العينين وقال رأيت عز الدين.

بعد أن مرّ قطار الحادية والنصف بالليل ٦٢٤ المنصورة رأيت شخصا يسير على شريط القطار كما القطار فناديته.

أنت يا جدع.... أنت يا بنى آدم... سير بعيد عن السكة يا أخى.

ولكن عندما اقتربت منه وجدته قطاراً له وجه عز الدين ويسير على القضبان.

قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ودخلت المحطة وأقفلت الباب من الداخل علىّ وإذا بالطوب والحجارة على الباب كالمطر قول تشجعت وفتحت الزجاج ونظرت من خلفه لم أجد شيئا وعندما دخلت عاد الرجم ومرة أخرى كأننى إبليس والحجاج كل البشرية، فتحت الباب وقلت هيه موته وله اتنين؟

ولم أجد أى شىء، واستدرت لأقفل الباب كان عز

الدين جالسا على المكتب... أفقت على لسعة البرد بعد أذان الفجر وباب الحجرة مفتوح على الآخر والشبابيك يضربها الهواء.

هذا ما قاله عمى صالح لما ذهبت إليه فى الصباح لأخذ الجرائد منه.

قلت له : - يبقى عمك صالح اتهبل.

- لأ فيه شىء أخطر من كل ذلك.

قلت : - مدام اتهبل لأ، يبقى اتجن يعنى أو مات.

- صح مات لأنه أعطى الكثير وعندما وقع لم يجد من يقف معه، وصار عمك صالح دليلاً على فاعلية وحركة الكوادر ولكن لم يسأل عنه أى كلب... فمات على المستوى المعنوى.

- وردت فيه الروح تانى؟

دخل علينا عمك عبد الحميد بعد أن أخذنا الجرائد ومشينا معا حوالى ربع الطريق وتركت محمد عثمان يكمل الطريق مع عبد الحميد.

قال عبد الحميد : - نووت يا باشا.... أهلا.

قال محمد عثمان : والله ابن حلال كان فى بالى أمر عليك.

قال عبد الحميد : - مرّ على عدوك قطار سكة حديد حمولته حديد فى حديد وماشى على مهله، يا سيدى عليه العوض كل واحد لبس بنطلونا وقميصا عمل أفندى ونسينا، يا أخى خليك زى أحمد، البلد باظت، إلبس جلابيه علشان نعرف نكلمك ، يا ترى أخبار أحمد عند.

- أحمد سافر، والبلد نصفها لابس بنطلونات.

- يا سلام خليك من النصف الثانى على فين العزم؟

- البيت.

- تعالى معى نشرب الشاى، تفضل معنا يا أستاذ.

قلت : - شكرا أنا بالإذن.... السلام عليكم.

وسرت فى طريقى تاركا الأستاذ محمد عثمان وعبد الحميد، ولكن محمد عثمان حكى لى كل ما حدث بعد ذلك فقال :

- دخلنا الحوش فنادى عبد الحميد يا زينب الأستاذ محمد عثمان.

جاءت زينب وهى بنت ناس وأصول.

– يا تلتميت مرحبا يا أبو عثمان، زارنا النبى، أهلا وسهلا.

لم يتكلم محمد عثمان لأن عبد الحميد زعق فيها فى وسط الكلام الفطار يا زينب فرشت الحصيرة ووضعت المساند وأشعلت النيران فى الشالية وأحضرت عدّة الشاى.

قال عبد الحميد : – الفطار يا زينب.... محمد أفندى على ريقه.

– من عينى.

طبعا محمد لم يتكلم أو يعترض لأن المسألة على هواه.

أحضرت زينب مشنة العيش طرى وملدن وطبق القشدة انغرست به قطعة جبن أبيض، وطبق بيض مسلوق غارق فى السمن البلدى السايح ومحمر بالقوى، وطبق عسل نحل بالشمع، وطبق جبن قديم.

كل هذا لم يعجب عبد الحميد فزعق: – سمنة سايحة يا زينب ، نشربها.

قال محمد عثمان مرعوبا : – فى عرضك يا عم عبد الحميد... معدتى.

لم يسمع وكرر النداء: – سمنة سايحة يا زينب.

– اسمعنى الله يخليك.

– اسكت السمنة تروق الدم، وتشد العصب، وتسرى وتمرى فى العضم وتخليك مثل الحصان حديد فى حديد يعنى المدعوق شديد ممكن تدبه فى الحيط تفلقه، افهم ياسدنا الأفندى.

دخلت زينب بكل يد كوز من الصفيح وممتلئ حتى آخره بالسمن السايح دافىء.

جلس عبد الحميد على قرافيصه وتناول السمن.

– بسم الله الرحمن الرحيم، مطرح ما يسرى يمرى، ووضع الكوز على فمه ولم ينزله إلا فارغا ثم حمد الله وبدأ فى تناول إفطاره دون أن ينظر إلى محمد عثمان أو يكلمه وبعد انتهائه من طعامه نظر إلى كوز محمد عثمان الذى لم يمس وتناوله وشربه قائلا :

– أنت حرّ يا أستاذ .

دخلت زينب ورفعت الطعام وتركتهم يشربون الشاى وقالت قبل خروجها :

– بالإذن استلف ماجور العجين نعمل مشلتت للأستاذ.

انتفض عبد الحميد : – ماجور سلف يا زينب.

نظرت إليه ولم ترد فنظر إلى ولده الصغير الذى يلعب فى الحوش وزعق فيه:

– ملعون أبو خالك.

كان عبد الحميد لا يستطيع أن يشتم زينب مباشرة فيشتم الأولاد بجدهم وخالهم لتصل الشتائم إليها فتضحك وتقول : – من بقك سكر، ربنا يخليك وتشتم.

ولكن إذا غضبت لا تتكلم وتترك البيت فيجن عبد الحميد ويصبح من الصعب السيطرة عليه، ولا يحب أن يخضع لها، وإن كان خاضعا فى الحقيقة.

وهى ست الستات العاقلة التى تحملت عصبيته ودبّرت أمره حتى صار من أغنياء السكاكرة، ثم هى التى أقفلت عليه الباب يوم معركة السكاكرة وشرشيمة لأنه لو خرج

إليهم فمن يمكنه السيطرة عليه وهو لا يعرف أنه قوى.

فعندما أقفلت الباب عليه لم يجد شيئا يخرج فيه غضبه إلاّ ماجور العجين فضربه برأسه ضربة واحدة فهشّمه وحلف يمينا بالطلاق، أنه لن يدخل بيته ماجور عجين إطلاقا.

قال محمد عثمان : لى عتاب عليك من عشمى، فى موضوع الوسخ.

تنهد عبد الحميد وقال : - أنا الموت أرحم لى من العيش فى السكاكرة، أموت يعنى بالحسرة؟ قلت أضربه بالبلغة حتى يموت وأخصيه وأعلقه على صهريج المية .

قالوا لى : - كلب لا توسخ يدك به.

قلت على الملأ : - من غير يمين إذا قابلنى سأقتله، وأنا أعرف أن حنكش ينقل له الكلام فصار لا يقابلنى أبدا ولا ينزل البلد، إلى أن كان يوم توريد القطن وكنت عائدا من الغيط وتحتى كيسين قطن فوجدته أمامى فرميت نفسى بالقطن فوقه ونزلت به الترعة وكنت أصرخ: أجلك انتهى يا لوطى.

تدخل الناس وكانت الأكياس قد أصابها بلل، وخرجنا من الترعة وهو يبكي وأنا أضربه بالبلغة على رأسه الصلعة.

- لا تدخل البلد يا وسخ يا كلب يابن الكلب وليست لك أرض عندنا.

خلصوه من بين يدى وهو يقول حاضر يا عم عبد الحميد.

ولكن بالليل جاءنى مرسال أنه سيحرض علىّ ضابط المركز (اشرب الشاى يا أستاذ محمد قدمنا كلام كثير).

لم أكذب الخبر وفى الصباح كنت عند الضابط .

- صباح الخير.

- نعم - صباح النور.

- أنا عبد الحميد من السكاكرة، وأنا ضربت الوسخ صاحبك وسأقتل أى وسخ مثله، وإذا وقف أى مخلوق فى طريقى سأقتله، ولن أسكت وإذا حَمَتْهُ النيابة أو المحكمة فستكون أوسخ وستقف السكاكرة لتأخذ حقها بيدها، وإذا كنت سعادتك جديد فاسأل عنا.

إذا كان كل شيء قابل للبيع عندكم فبيعوا نساءكم أولا علنا فى السوق، لأن حمايته بيع شرف فبيعوا علنا حتى يسقط برقع الحياء ثم ارموا بلاكم علينا واحموا الوسخ وأمثاله علشان تعميرة حشيش أو فلوس، المهم وصل كلامي؟

سلام عليكم .

– انت يا بنى آدم، اقف مكانك، أقـــدر أحطك فى الحبس، ولكن انت رجل شهم وأنا ليست عندى فكرة عن هذا الموضوع.

– أنا بلغت الرسالة أنا قتيل الوسخ حتى لو طلب الحماية فى المسجد فأنا قتيله وخرجت من عنده طلق نار أجرى لأبحث عن هذا الوسخ، واشتريت شومة برأس حديد من سوق السبت ووقفت أمام دار حنكش فخرج حنكش فقلت له : – بارك لى ، اشتريت شومة لقتل ابن بياعة الكرشة، ومن يشحنه سأقتله يا سلام لو بطنه قزاز كنا رأينا أولاد من يشحنه؟

قال حنكش بخوف : – ولماذا تتعرض له وحدك؟

قلت لحنكش : لأن نصف البلد أفنديات والباقى سايق علىّ الفقهنة ويقول لى عليك بأربعة شهود، والنيابة عايزة الدليل، وأنت الدليل يا حنكش؟

– كفاية يا عم عبد الحميد اقتله أو أنت حرّ ولكن لا تلسن علىّ بكلام.

قال محمد عثمان قلت له : – انتهت الحكاية بعرض أرضه للبيع، كما فهمت.

قال عبد الحميد : – انتهت؟ لسه ماشى على رجليه، تنتهى الحكاية بنهايته، وأنا جمعت كل المعلومات وعرفت مكان بيته وأولاده وذهبت إلى زوجته فى الشغل وهى تعرف كل شىء وطلبت الطلاق بعد أن قلت لها إذا كان أهلك ومرتبك وأرضك لا تكفى لأن تعيشى محترمة فى بيت محترم مع رجل ، رجل يا ست محترم فأنا مستعد أصرف عليكم.

قالت : أنا فى حزن وطالبة من الله حله، وسلمت أمرى لله.

ولم أترك الموضوع عند هذا الحد ولكن ذهبت إلى

زوجة بائع الكشرى فحكت لى أن زوجها له علاقة حرام مع الوسخ وقد ضبطتهم، فقلت لها وأنت لك علاقة معه فبكت واتفقت معها، المهم ربك يعدلها ، اقفل على هذا الموضوع واستعد للمشلتت.

كان محمد عثمان قد حكى لى كل هذه الحكايات بعد صلاة العصر لأننى كنت تركته مع عبد الحميد، وهو يعرف أن الجن نفسه لا يستطيع إرجاع عمك عبد الحميد عن قراره. ولم يستنجد بأحد إلا يوم أن مرض جمال ابنه ودخل عليه فوجده نائما، وجسم الولد حرارة يوم الخبيز، وكان يعرف أنه مريض ولكن يكتفى بسؤال أمه ويعتبر سؤاله على ولده دلعاً، ولكن لما قالت له إنه تعبان قوى ودخل عليه فوجد حرارته عالية وقف فى وسط البلد وصرخ : – جمال عيان يا بلد.

ابنى ح يموت منى يا ناس.

ثم دخل عليه وأخذ ينادى : يا جمال أنا أبوك رد علىّ.

جاء عمك حفنى وست الناس جاءت وشلبية وعملوا اللازم ولكنه فى الصباح أخذه إلى دكتور المديرية وعمل له اللازم.

وعمك عبد الحميد له حكايات كثيرة فأيام أن كان جمال فى المدرسة، دخل عليه فوجده يذاكر فقال له : - الأخبار؟

- ابنك سبع البر فى المذاكرة.

وكان جمال يلعب طوال النهار حتى إذا لمح أباه جرى إلى البيت وذاكر، ولكن جاءت الأخبار لعمك عبد الحميد أن جمال يشرب السجائر فغضب جدا رغم أنه كان لا يمانع أن يشرب جمال الجوزة فى وجوده.

ودخل عليه فى يوم من الأيام فوجد أمامه علبة حمراء فأمسكها وفتحها فوجدها خالية فسأله عنها فقال له : - حبوب مذاكرة.

أخذها عمك عبد الحميد إلى المركز وفى البندر قال له الصيدلى إنها سجائر أجنبية فاشترى علبة وصرخ : - جمال مات يشرب السجائر؟

وعاد فوجد جمال يذاكر فأخرج له العلبة فارتعب ولكن عمك عبد الحميد قال له :

- سجاير يا جمال اشرب ولكن حافظ على صدرك،

من يومها لم يشرب جمال الدخان بكل أنواعه واستقام فى الدراسة.

وعمك عبد الحميد يكره الرجل الذى يبكى رغم أنه بكى بالدموع داخل بيته يوم وفاة الشيخ السيد أبو النّت، ولكن موضوع الوسخ بالنسبة له مسألة حياة أو موت، وطبعا الوسخ لا يقدر أن يفعل هذا مع امرأة متنورة ولكن يصطاد الغلابة أو يتكلم عليها ويبعت الكلام إلى أهلها أو زوجها ويخرب البيت.

قال محمد عثمان : - هذا جرب يجب الخلاص منه، وما رأى أحمد؟

قال أحمد : - هذا يحتاج إلى حل جماعى وليس حلا فرديا والمشكلة مشكلة مجتمع مشكلة السكاكرة، لا رأى ولا كلمة تنفع ولكن ممكن شراء الأرض منه وعمل عليه مدرسة أو مستشفى، شىء جماعى باسم السكاكرة.

ولكن عمك عبد الحميد قال : - ولا أحمد ولا الشيخ أحمد ولا أحمد الجديد، أنا مفوض من السكاكرة فى إنهاء هذه المشكلة.

ولا يغسل العار إلا الدم.

وعندما عرضنا عليه أن نشترى الأرض بفلوس البلد ويرحل هو، كان سيجن وقال : - المشكلة تبعى يا ناس، وبالاختصار سأقتله بالذوق سأقتله بالعافية سأقتله واستطاع إبعاد حنكش وعبده الصغير وكل واحد من طريق الوسخ وتفرغ له، ولكنه اختفى وعبد الحميد يبحث عنه.

(٥)(أ)

ع البحر بطيخ مشقق

أحمر ولبّه يزينه

أنا بغنى لبياعينه

وله بغنى لأكالينه

أنا بغنى للحليوة

زارعه وتسلم لى يمينه

آه ما زال الغناء الحلو يسرى خافتا فى جنبات بيوتك الطينية، وأنا أحببتك لا أعرف كيف ولا لماذا ولا متى؟؟

جئتك وأنا الصغير، لغتى غير لغة أهلك، أعرف أن لى عما كان يسكن هنا ويعشقك، أعرف أن مكان بيت عمى تلّة وعليها زهر وأعشاب وأسمع عنه الحكايات الكثيرة(*).

جئنا كلنا من السماعنة ولا أحد قال لنا لماذا هذا المكان، ليس معنى أن عمى توفيق النسّاج كان يسكن هنا

(*) راجع رواية العم حفنى ورواية كلام الماء كلام النار .

أن يكون هذا ملزما لنا بالحضور إلى هنا.

وكان ممكنا أن يكون سببا قويا لعدم الحضور، وخاصة أنه مات مجنونا واشترى رجل من المحلة النول وعدّة الشغل، وماتت بموته صناعة النسيج فى عائلتنا(*).

اشتروا الأرض بنصف المال الذى معنا وتم إنفاق الباقى بالتمام والكمال على الأفيون والحشيش لكبار العائلة والكل يعرف ولكن لابد من التساؤل عن مصير المال وأين ذهب؟ وكنت أنا الصغير لا أعرف كيف أسير فى شوارعك، فكل أولادك يلعبون (أول كعكو) وأنا لا أعرف إلا السيجة والشطرنج لعبة أهلى، والشطرنج عندنا به مكان للجمل والكلب، كل أولادك يحكون عن العفاريت وأنا لا أعرف إلا أبا زيد الهلالى والزناتى وعنترة وليلى والمجنون وكنت كلما ذهبت إلى بيت عمى قال لى :

أجئت تطلب ناراً

فأقول :

أبى القلب إلا حبها عـامرية   لها كنيـة عمرو وليس لها عمرو

تكاد يدى تندى إذا ما لمستها   وينبت فى أطرافها الورق الخضر

فيقول : تنشدنى من شعر المجنون.

فأقول : هو القلب يا عماه.

فيقول : – لن تدخل بيتى ولن ترى ابنة عمك.

فأقول :

فقد حبسوها محبس البدن أبتغى   بها الريح أقوام تساحت مالها

خليلىّ هــــل من حيلة تعلمانهــا   يدانى لنا تكليم ليلى احتيالها

فيقول عمى : لا حيلة لك ولا لأهلك ولا لأصحابك، ماذا تريد؟

ويأخذنى فى حضنه فأقول نسيت والله يا عم ما أريد من حنانك ، ثم أتذكر فأقول :

– أبى يريدك أن تحضر ومعك كلاب السيجة.

فيقول : – قل لأبيك إن عمى ليس فى الدار.

فأقول : – حاضر يا عم.

وأذهب إلى أبى فأقول له إن عمى خليل يقول لك إنه ليس فى الدار، فقلت له عندما تحضر تعال إلى أبى ومعك كلاب السيجة.

فيقول أبى : – آه من عمك خليل دائما يلف ويدور ولا

يجلس فى بيته أبدا.

ولهذا عندما جئت إليك يا سكاكرة كان كل شىء واضح ومخفى فى نفس اللحظة، كل العلاقات مفضوحة.

وأصبحت بالتعليم من الأفنديات الذين لا يعجبون عبد الحميد، أصبحت أقلب القاف همزة ربما كان هذا فى لغة حمير فى الزمن القديم.

وما إن أجد نفسى وحيدا بالسكاكرة إلا وترفرف روحى على السماعنة أجدها طائرة ومجنحة على الرمال، وتعود إلىّ لهجتى البدوية عندما أسمع أى بدوى ينطق بها، سواء كان هذا فى الأردن أو فى ألمانيا أو فى باريس أو فى لندن، وغلبت وغلب حمارى من أن يفهم الناس أن لندن شىء وباقى المقاطعات الإنجليزية شىء آخر المهم. رغم كل هذا إلا أن هذا الغناء المنبعث والذى ينزّ من حيطان السكاكرة قوى وجميل وسارى إلى الدم وهو شعور مثير، هذا الغناء جعلنى أسير السكاكرة، وملك علىّ نفسى. وعائشة الخياطة التى لا تشيب ولا تهرم أبدا والتى لا يمر عليها الزمن لكأن العالم يمر من تحت عينيها

فقط وهى تختار لحظة التدخل والفعل، هى قادرة أن تطلق غناءها فتجعله يفقس ويبيض فى صدرى، ويدق فى رأسى مع دق القطار أو وقع خطواته فى القاهرة والسكاكرة أو فى بلاد الله خلق الله.

فى القاهرة ذقت الأمرين والمائة مر، وعرفت أحمد بين السكاكرة والقاهرة واختلفنا واتفقنا ونلتقى بالصدفة ونختلف دائما ولكن له دائما فى القلب مكان.

عرفت النساء من كل جنس ولون ولكن تبقى هذه الليلة الغريبة محفورة فى الذاكرة... تلك الليلة الغريبة التى لم أجد فيها مكانا للمبيت يأوينى فى سوادها، وكانت أم سيد قد وضعت قفلا كبيرا على باب حجرتى فى أبى قتاتة بالجيزة وطالبتنى بالزواج العرفى، وكنت قد زهقت من دفع الإيجار كل أسبوع من عافيتى وهى امرأة ثقيلة وصعبة، فتركت لها البيت وكنت أخرج من عملى لأعمل (بارمان) فى مقهى ريش لتكون لى صداقات مع أمل دنقل وبهاء طاهر ويحى الطاهر، والدسوقى فهمى صاحب كافكا وترجم له أمريكا، وكذلك صلاح والى وعبده جبير

وسليمان فياض وعدلى رزق الله وسعيد الكفراوى وعفيفى مطر وثروت فخرى ومحود بقشيش ومحمد جاد وكثيرين..

وكنت أعود آخر الليل وأم سيد نائمة فتضبطنى بالنهار وتقوم الخناقة ورضاها معروف ، ولكن فى الحجرات الباقية من الشقة، فلم أذهب إلى المقهى وظللت أهيم على وجهى فى الشوارع حتى شارع الهرم، وأخذت طريقا عموديا على الشارع باتجاه الحقول، وكانت هناك عمارات جديدة قائمة، وأخرى تقوم والغناء يخترق كل حى وجماد ونبات.

ضمينى وأنا أضمك

ليل الشتاء طويل

ضمينى وأنا أضمك بير السلم ضلام

بين السلم ضلام

آه تلوث الغناء بالشهوة الرخيصة، هكذا كان يقول أحمد وكنت أقول له إن الشهوة فى الإنسان ليست أكثر رقيا منها فى الحيوان ولكنها هى هى ، قد تكون أقوى هنا أو هناك ولكن الغريزة والشهوة واحدة.

جلست وسط الحقول أسمع الغناء وأقارنه بما أسمعه في السكاكـرة حـتى آذان المغـرب، آذان المغـرب في السكاكرة دائما موعد العرس في الأيام العادية عرس الكوانين وزفة الدخان في السمـاء ليوارى دخول الليل ليفرد عباءته الثقيلة على البلاد. أو عرس العرائس حيث سـيـر الغناء في الكون، واخـتـلاط الأصـوات بالغناء والشجن.

– واقعة في بيت نوار

يا محرمة دم غزال يا

– السمسم هلّ من الصندوق

انزل يا عازب روح السوق

– التور هدّ المصطبة

– شرفتى دارك يا غزالى بعد ما كانت ضلامى

شرفتى دار أمك وأبوكى

شرفتى دار خالك وعمك

شرفتى دارك يا غزالى

أين السكاكرة مما أسمعه؟

البنت التى تغنى على السقالة ليست جميلة أما التى خلفها فقاتلة، بنت صعبة خالص

صبرت حتى سكت الغناء وبدأ الضحك وأخذوا يغسلون أيديهم ويرشون بعضهم بالماء. ثم جاءت عربة نقل وركبوا فيها واختفوا ، وخلا المكان من جنس مخلوق فقلت فرصة ألف سيرا قليلا لا أبعد عن المنطقة ثم أبيت فى هذه العمارة/ والصباح رباح / خرجت من الحقول وسرت ناحية العمارة وكان يجلس هناك أمامه النار مشتعلة، أعطيته السلام فأخذه ورده بأحسن منه وعزم علىّ بالشاى، فجلست إلى جواره ولم يتكلم معى وظل يدخل كنكة الشاى فى النار ويخرجها على مهل، وبعد قليل كانت الأضواء قد خفتت وجلس الليل وتربع فوق الحقول وفرش جلبابه الأسود، وكانت أنوار قليلة كعيون القطط البعيدة وروائح طرية تهب علينا من حين إلى آخر محملة بأنفاس الحقول، وجدتها واقفة أمامى هى التى كانت خلف المغنية ونظرت إلىّ ووضعت طبق الفول وقرطاس الطعمية وكيس طرشى أمامنا، ثم وضعت الخبز

والبصل الأخضر وألقت مساء الخير ثم دخلت إلى العمارة وصعدت إلى الدور الثانى ونظرت من أعلى ولم أستطع تمييزها فى فوضى المساء، وعادت ومعها قلة الماء، فنادى الرجل:

- سمية.

- نعم يابا.

- الأكل.

- حاضر.

جلست وفتحت الأوراق الملفوفة وقالوا:

- بسم الله.

ورمى الرجل رغيفا ناحيتى فرمت سمية رغيفين.

وأكلت كما لم آكل من قبل وحمدت الله وسمية ترمقنى من تحت لتحت وتتلاقى أعيننا فترتد سريعا.

فرغنا من شرب الشاى فقال:

- الأستاذ دستور من مصر؟

- من الشرقية.

- بلديات، لكن الجماعة من الفيوم وبنتى أخذتها معى

والأولاد بالفيوم يزرعون اللب وعباد الشمس، قلت له لكن بعد إذنك المفروض بنتك هناك.

قال : فيه مشاكل بينها وبين زوجها وناوى يطلقها فأخذتها بعيدا عن المشاكل.

قلت : والله يا حاج الناس مشاكل أنا ساكن هنا فى الجيزة ولى صاحب جاء يزورنى فأعطيته المفتاح لأننى أرجع من الشغل متأخرا فأخذ المفتاح وسافر، وكلما ذهبت إلى صديق للمبيت عنده أجده مسافراً أو عنده ضيوف فبعد إذنك أبيت فى العمارة فى أى مكان للصبح.

– يا مرحب ولكن المكان.

– يا حاج المحتاج يركب الصعب.

كانت سمية قد جهزت الفرشة فى الدور الثالث فتركتهم ونمت.

وبعد حوالى ساعتين جاءت سمية.

– أستاذ.... أستاذ الراجل صاحب العمارة جاء وأخذ أبى معه لاستلام الأسمنت، سيعود بعد ساعتين.

أخذ الكلام بينى وبينها يروح ويجىء وكانت عيناها

بحرين من الحنان وأنا أغرق فمددت يدى وأمسكتها وجذبتها ناحيتى، فارتعشت.

- الله يعمر بيتك أنا قلبى رفرف لما شفتك فابعد عنى، أنا تعبانة قوى وكان رمان صدرها يرتعد ويهتز فقلت لها:

- إنت خوّافة وجبانة.

ثم شددتها على وحاولت أن أمد يدى تحت ملابسها فقاومتنى وقامت واقفة، قمت وأخذتها فى حضنى ونمت بها فإذا بها تأكلنى أكلاً فأكملنا الشوط إلى نهايته بعد أن أمسكت، ولم تقاوم وبكت من السعادة وقبلتنى فى كل جسمى وفى عينى فعرفت أننا إلى فراق.

فى الصباح أيقظنى الرجل وقال العمال على وصول، والحمد لله لم يرك أحد.

- السلام عليكم سأزوركم إن شاء الله قريبا ولن أنسى هذا الجميل.

- الأفضل أن تنسى ولا تأتى لنا أبدا، فقلبى غير مستريح لك.

فسرت عاريا يرن فى باطنى صوت ينشد:

إن الذين غــدوا بلبك غادروا وشــلا بعينك لايزال معينا
غيّضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

....

سرت حتى قابلت أحمد فى ميدان الجيزة فحكيت له الحكاية من طقطق لسلام عليكم وكان هذا فى الربيع على ما أذكر.

– المطلوب ؟

– لا أعرف.

– تعود إلى عملك بسرعة، وأن تغير ما تفعله بحياتك هذه ليست حياة، يا أخى أنت من النقيض إلى النقيض ؟

من الكرم حتى السفه حتى الاستجداء ، من خطيب الجمعة الذى يهز جدران المساجد من بكاء الناس ولحية طولها مترا إلى اتحاد الطلاب إلى عضوية أساسية فى تنظيمات يسارية، ثم إلى تروتسكى فبوهيمى، كل شىء عندك مثل كل شىء وكل شىء قابل للبيع وبدون ثمن؟

– كل كلامك صحيح ولكن أليست الحياة هكذا.

– أنت ابن الحياة ولكن بدون منهج ينظمك فتعتقد

وتفهم وتحلّل.

– يا أستاذ أحمد أنا لست قطار سكة حديد، أنا فنان، أنا الذى منذ نعومة أظفارى كنت أرتجل الشعر، وأقيم معارض الرسم وأحكى الحكايات العادية فأضحك أصحابها على أنفسهم، أنا قليل الحظ وأنا المحظوظ، أنا قدرى يسيرنى إلى ما يحدث ولا يمكننى الفكاك منه – ...

كان ينظر إلىّ بهدوء شديد ثم أخذنى إلى حجرته فى بين السرايات ٣٨ ش نصار وخلعت ملابسى وغسلتها بالحمام ولبست ملابس أحمد.

وأنا أنشر الغسيل شاهدت سيدة وبناتها فضحكت لهن فضحكن فنادى علىّ أحمد وكان قد أحضر سمكا وخبزا وجلسنا للغذاء، وشربنا الشاى ثم قال :

– أريد يا محمد أن نتفق ولو على شىء واحد، المسألة ليست شريط السكة الحديد كما تقول ولكن التفكير والتنظيم والتحليل.

– بعد إذنك أنا الحياة يا أستاذ.

أنا أعمل فى الصحة نهارا وفى مقهى ريش ليلا،

تركت كل هذا حتى لا أعود إلى أم سيد عشمى فى الله كبير ما طلبت منه شيئا إلا استجاب لى على الفور وأنا عايز شغل.

– بركاتك يا شيخ محمد.

دق جرس الباب ودخل أحد أصدقاء أحمد وبعد الشاى والسجاير قمت لأحضر الغسيل وتركتهما .

– هل تسافر إلى اليمن.

قلت : أى مكان صحرا إن كان أو بستان.

– لنا صديق يمنى عنده فندق سيعمل خلال شهر فجهز أوراقك فورا .

عدت من الشرفة بملابسى المنشورة وبدأت فى كيها، وغادرنا صديق أحمد فقلت له لم يمهلنى الله بعد دعائى دقائق ما رأيك.

– ألف مبروك.

حمدت الله كثيرا وقلت لا تحوجنى إلا إليك، وذهبت إلى الشغل.

قالوا : الريس جمال بتاع البوستة يسأل عنك، قلت فى

نفسى خطاب رفت أو على أحسن الأحوال إنذار.

- صباح الحلاوة.

- صباح النور يا ريس جمال.

- صباح الحلاوة، إبرز أولا.

- يا سيدى قول يا صبح.

- يا صبح هات يا عم.

أعطيته الفلوس فأعطانى خطابا به شيك بقيمة فرق المرتب وتأملته جيدا ادفعوا / لأمر / محمد عثمان.

مبلغ وقدره مائة وتسعون جنيها مصريا وثلاثمائة وثمانون مليما لا غير.

أعطيت أم سيد حسابها وأحمد تركت له ما أعطانى فى ظرف جواب تحت الباب وأم سيد غسلت الهدمات كلها وكوتهم فأكرمتها إلى أن وقع بنا السرير، وذهبت بأوراقى كاملة شاملة وسلمتها على الميعاد لصديق أحمد.

وسافرت إلى اليمن.

أيام تمر بنا وتلعب بنا كما تشاء.

(٥) (ب)

أيام تعب ونصب ولا نعرف أى شىء فى أى شىء ولا نستطيع أن نعرف عنى ما يحدث ؟

ولماذا يحدث ؟

وما الذى يمكن أن يحدث غدا؟

لا تستطيع أن تخطط لنفسك أبدا!!

من يصدق ؟

بعد ربع مليون دولار حصيلة عملى فى اليمن والأردن والنمسا، ثم مرض يصرف كل هذه النقود وصديق يسرق عربتى وشقتى وباقى مدخراتى، بعد أن هددنى بعائلته فأعود بعشرة آلاف جنيه مصرى تطير فى الهواء ثم أعود مرة أخرى إلى فنادق السياحة.

دائما يسرقنى الصغير والكبير، من يأتى إلىَّ يتعلم ويكبر ويصبح صاحب بيت وعربة وزوجة وأنا، أنا من امبابة إلى بولاق الدكرور إلى الوراق إلى أبو قتاتة إلى نصر الدين إلى بين السرايات إلى المنيرة، ومن العمرانية

إلى كراسة إلى عزبة الوالدة بجوار المعصرة حلوان ومن زينهم والجيارة إلى جاردن سيتى والزمالك إلى شبرا الخيمة والمحطة والبلد وشارع شهاب ومدينة نصر إلى....

عندما تأتى النقود تأتى الصحة ويأتى الأصدقاء ويغيب أحمد، ولا يظهر أحمد أو أذهب إليه إلاّ فى حالة إفلاسى.

أنا محمد بيه وكل واحد من أقربائى يده فى جيبى ، وأنا أحبهم ولكن لا أذكر مرة واحدة أن يدى كانت فى جيب أحد منهم ، ويعتبرون أننى البيه الساكن فى مصر بجوار الحكومة القادر على قضاء مصالحهم بالمحاورة والمداورة فالحكومة شديدة وتحب مصلحتها، وما تعلم الناس إلا للضحك عليها واتقاء شرها.

....

لا النوم يأتى ولا أنا قادر على السهر الممتد وأحس أن هناك مصائب كثيرة تسعى إلىّ وجسمى يرتعش ومقهور وتعبان على الآخر وأريد أن أصرخ رب عجّل بقضائى، ولا تجعلنى أنتظر أكثر من هذا.

أدفن نفسى فى حكايات السكاكرة، ولكن يدخل إليك

ابن الكلب متسللاً فتصبح وحيدا أنت فقط فيفترسك وينشرك، قاسي وابن كلب ذلك العراء فتجرى إلى الناس والحكايات لتلتحف بهم من عراء نفسك.

حنكش وشكرى والجد والعم حفنى، وأبى عثمان النجار، وست الناس حنونة شلبية عائشة الخياطة حسينى أبو هميلة سعيد المتوكل عبده الصغير آلاف الحكايات والشوارع والأزقة والبيوت فالسكاكرة تغير أزقتها وشوارعها وبيوتها بالليل وتطبع فى ذاكرة أهلها وتريد وتمحو وعندها بدأ الحياة.

ناس لا علاقة لها بأى شىء مثل ناس هم كل شىء ولكن السكاكرة كل واحد فيها له مكان، وحتى الذين لا تعرفهم وليس بينك وبينهم إلا «شكر الله سعيكم» فى المآتم و«ألف مبروك» فى الأفراح، وأهلا وسهلا ومع السلامة فى حالات السفر.

وأنا تضربنى الغربة وتأخذنى فأنسى كل الناس إلا نفسى، وكلما زنقتنى الغربة فى ركن أو فى صحراء الليل أهرب بإرسال النقود إلى أمى وأختى، وهم أمى وأختى بدون فلوس يعيشون الحياة ويبتسمون ويبكون فى المآتم

وبفلوس قليلة هم نفس النوعية وأرسلت لهم خمسة وعشرين ألفا من الدولارات فى عام فرجعت لأجدهم مدينين.

وأرسلت لهم فى العام التالى ألف دولار فاشتروا قيراط أرض، فلم أرسل لهم أى نقود إلا إذا زنقنى الحنين واستضعفتنى الغربة، ولا أسأل عما تم بها.

فلا عتاب ولا لوم لماذا ؟

لأننى فى أول سفرياتى وكنت أطمع فى بناء بيت ففتح الله علىّ فأرسلت إليهم ما يكفى لبناء السكاكرة ولما عدت وجدت البيت القديم أكثر قدما ونصفه غير معروش وكنا حين اشتريناه كان كاملا.

وعندما حاولت أن أسأل عن مصير النقود قالوا لى :

- أنت يا ولد تعايرنا بما أرسلته إلينا لماذا لم نعايرك بما صرفناه عليك طول العمر يكفى أننا جئنا بك إلى الدنيا.

كان بودى أن أصرخ عاقبتينى وعاقبتنى الدنيا والناس.

ولكنى أخذت الطريق من قصيره وسَكَتُّ.

(٥)(جـ)

من أنا بالضبط ؟

* أنا الطالب الصغير بالسماعنة المبهور بعنترة وقيس وليلى والسيجة ونقلات الحصان وأخاف كش ملك وهجوم الأفيال.

* أنا الطالب بالإعدادى بمدرسة ههيا والذى تمر من أمام عيونه حكايات الجن والعفاريت وأكاد ألمسها ولكن حكايات وأشعار القدماء محفورة فى الذاكرة.

* أنا أول مدرسة إمبابة الثانوية فى اللغة العربية والإنشاء.

* أنا الذى يعيش وقته وينسى كل شيء.

* أنا قارئ مكتبة إمبابة وما حولها ليلا ونهارا، وعرفتنى مكتبات القاهرة والجيزة.

* أنا الذى يسعى لصداقتى معظم الأدباء والمثقفون وأشباه الفنانين.

* أنا عاشق العطور أرشها على جسدى ولا أشم رائحتها ولا أميّزها لعيب فى أنفى.

* أنا قتيل النساء وصريع الغوانى ولم أسع طوال حياتى لمعرفة امرأة ولكن يدخلن فى قدمى رغم أنفى ولم يمر شهر دون واحدة جديدة.

* أنا من تصل لحيته حتى منتصف صدره ويُبْكى أى مسجد يصعد على منبره وتتمايل جدران المسجد من البكاء والعويل.

* أنا المسئول عن تحريك طلبة الجامعة بالفلوس أو بالإقناع.

* أنا الماركسى الذى وزّع الانتفاضة والفلاح والشرارة، وعرف الأحزاب السرية والعلنية وأنا حَكَمْ الحُجَّة فى انقسام شكرى مصطفى.

* أنا الغارق فى النساء والخمر ولا أقرأ الجرائد.

* أنا الذى أرتجل الشعر فيسرق منى أمل دنقل (خصومة قلبى مع الله) لتصبح درة شعره ويسرق منى صلاح والى (لم يبق لى وطن سواك) ليسرقها منه كل

الأنطاع بعد ذلك. والطامة الكبرى فى سرقة يحيى الطاهر عبد الله (حكايات للأمير حتى ينام) لأن الطفل عندنا اسمه الأمير فنحكى له الحكايات، ولكن هل أى صعيدى يتفتق ذهنه عن تسمية ولده معاطى أو عبد الجابر باسم الأمير، الأمر لله.

* ....

على مقهى ريش كلهم أصدقائى لأنى أدفع حساب معظمهم آخر الليل، ولا آخذ بقشيشا من أحد إلا الأجانب وملك يعرف كل شىء هناك البعض لم تمتد الصداقة بيننا مثل عفيفى مطر وبهاء طاهر فالتعامل من بعيد، والبعض كنت أود التعرف عليه مثل إدوار الخراط وسامى خشبة ولكن لا أعرف أين هم، وأعرف الغيطانى والقعيد وجار النبى والمنسى ومبروك، ولكن الذى لم تمتد الصداقة بيننا هو نجيب محفوظ ربما لأن ثقل السمع على المقهى يجنّبه مشاكل كثيرة، وإن كان لا يخطئ أبداً فى الحساب.

* كنت صديقا للأبنودى أيام كان يسكن التحرير، وزكى عمر، ومحمد نوح، ولكن الأيام ألقت بنا إلى الموت

والزمالك والسادات والجنون.

* أنا الذى يتحدث الإنجليزية كلهجتى البدوية وأبدع فيها ، وكم أمضيت من الوقت الجميل مع لويس عوض لأقرأ أمامه الشعر الإنجليزى وأكلمه عن الفرق بين لهجة لندن ودبلن، والمقاطعات الجنوبية.

* أنا مبدع الخط العربى بأشكاله والأجنبى بأنواعه ورسائلى تحف تعلق فى بيوت العشيقات.

* أنا كنج الإنجليزية والفرنسية ووزير فى الأسبانية والألمانية.

* أنا أعرف تاريخ كل حجرة فى مصر القديمة والوسيطة والحديثة، قبطية أو إسلامية أو رومانية.

* أنا أيضا -والشهادة لله- لا أعرف شيئا عن السكاكرة أو السماعنة إلا ما يضاف إلى بالوعة ذاكرتى.

* أنا لم أذهب إلى الجزيرة العربية أبدا وأخاف أن أذهب إليها فلا أعود أو أكرهها وأصبح بلا وطن حلم برمال ونوق ونساء.

- ....

أنا تعبت من الحبوب المهدّئة والحشيش والأفيون وللحق لابد من أن يترك الإنسان كل العادات الرذيلة وأنا ناوى ولكن بعد هذه المرة.

لا أستطيع القيام من مكانى ولا أعرف شيئا عن أبى أو أمى أو أخوتى ولا أعرف أين ذهبوا ولا أعرف ما الذى جاء بى إلى هنا؟

أحس بحذر شديد ونفسى أنام أو أقوم أمشى فى الشارع، أخاف أن أموت وحيدا، وأريد قبل هذا من الناس أن تبصرنى بعيوبى، أنا أفعل معهم كل طيب وجميل وأبعد نفسى عن عيوبهم وأنا والله طيب جدا ماذا أفعل؟

فإذا جهلت من امرئ أعراقه   وقديمه فانظر إلى ما يصنع

آه ياربى أنت الوحيد القادر على حل كل مشكل والعفو عن كل ذنب لا شىء أعظم من جرمى سوى أملى

لحسن عفوك عن ذنبى وعن ذللى

فإن يكن ذا وذا فى القدر قد عظما

فأنت أعظم من جرمى ومن أملى.

(٦)

لما تغيب محمد عثمان أكثر من أسبوع، ذهب إليه أصحابه فلم يرد على دق على الباب أو نداء عليه فظنوا أنه سافر، وإن كنت أحس أنه موجود بيننا.

وبعد صلاة العشاء وأنا خارج من المسجد اشتبه علىّ الأمر، إذ لمحت شبحا يشبه محمد عثمان بجوار حائط مهدوم بزقاق حميدة.

– أستاذ محمد .

التفت إلىّ الشبح وجاء ناحيتى بينما فرت من جوار الحائط المهدم واحدة فى غبشة المساء، وظلام الزقاق المقفل، وجاء إلى باب الزقاق وظهر فى فانوس الجامع تحت النور .

– أهلا.

– سافرت؟ ما هذه الغيبة الطويلة؟

– أبدا زعلان.

- مننا؟

- من الدنيا.

- تفك تعبك في زقاق حميدة مكان المارد؟

- صحيح كان فيه مارد.

قال حنكش وهو يدخل علينا في مسيرتنا.

- مساء الخير.

- أهلا ياحنكش، والله كلام الناس كثير في هذا الموضوع، ويقولون ظهر لمنجة، صحيح يا حنكش أن المارد ظهر لمنجة مكان النخلة في الزقاق؟

- دع الملك للمالك، لا أتكلم في أعراض الناس.

- سبحان مغيّر الأحوال بدون مناسبة يا حنكش.

رد حنكش ؟ - متشكرين، على فين العزم؟

- السلام عليكم.

- أهلا يا حسيني.

- أهلا، تفضلوا الشاي يا جماعة (ثم التفت إليّ) إزيك يا حميد.

دخلنا مضيفة حسيني فقال محمد عثمان:

- احك حكاية المارد.

- أستغفر الله العظيم، قلنا مائة مرة لن أتكلم فى سيرة خلق الله، وبعدين يصبح كل الكلام حنكش قال حنكش عمل، لأ يا سيدى.

قلت : - سبحان مغيّر الأحوال بدون مناسبة.

دخل شكرى زاعقا : - لأ بمناسبة ضرب الشبشب من منجة على رأسه.

والله سأتركها لكم وأسير من البلد والمكان.

قال محمد عثمان : - كلكم واخدين على خاطركم من بعض، ثم يا حنكش حميد معى من الأول وأنت تكلمنى ثم دخل علينا شكرى فكلامك معى، وإلا لا داعى للزعل، السلام عليكم.

قالت زوجة حسينى : - صلوا على النبى يا ناس - ... الشاى.

ران صمت على الجميع وشربوا الشاى فقال محمد عثمان :

- شكرا على الشاى، احك يا حنكش حكاية المارد.

- يا أستاذ محمد والله أنا احترت معاكم، أقفل الشباك تزعلوا ، أفتح الشباك إذا تكلمنا قلتم أعراض الناس؟ وإذا سكتنا قلتم تكلم يا حنكش؟ أنا راديو قاعد تحت هواكم ؟

- لأ يا سيدى على كيفك وأنا غلطان.

قاطعه حنكش : - لأ الحكاية أننى لا أحب أتكلم فى سيرة خلق الله، ولا أحب أن أكسر بخاطركم، الأمر لله.

جذع النخلة مسكون بمارد، كان يظهر منذ زمن طويل للناس ليخيفهم، وبعد أن قطعت وضعوا حلة عدس مطبوخة فوق الجذر ودقوا مسمارا حديدياً وفى الأرض وتد كبير فلم يظهر المارد لسبع سنوات.

لكنه ظهر قبل ذلك لأحمد قزاز، وسليم أبو محمد أبو عطا، ويظهر أنه سبب موت محمد أبو سنة، لأنه كان راجعا من الغيط فجلس بجانب النخلة ليفك الحصر فأحس يدا تدفعه من الخلف من مؤخرته فالتفت إلى الخلف فوجد شيئا طويلا وأبيض اللون طوله متر وكلما مرّ الوقت يرتفع ويعلو وهو واقف على حيله حتى صار

أطول من النخلة وهو على حيله، وعرف محمد أنه المارد ساكن النخلة فبدلا من أن يفك حصر البول ساب على نفسه وانبط على الأرض وعندما حاول القيام تعثر فى لباسه التحتانى وسقط على وجهه فسقط المارد فوقه وقطم ظهره.

وتقول منجة والله أعلم إنها كانت فى مشوار بعد صلاة العشاء ثم مرت من ناحية الزقاق فظهر لها المارد، وكلما حاولت السير وقف فى طريقها وعندما تهم بالرجوع يختفى .

قال شكرى : - تلف من داير الناحية.

لم يتكلم حنكش فقال حسينى : - لله فى خلقه شؤون، ولكن فى نفس الليلة تخرج منجة من غيط قصب قطب أبو عطية وبعدها خرج من الغيط واحد صاحبنا يمكن فيه مارد فى القصب؟ (التفت حسينى إلى حنكش) إزيك يا حنكش.

- أحسن من عشرة من أمثالك.

- عشرة؟ يا مارد ياوسخ.

ضحك الجميع وأحس حنكش أنه مكشوف فقال :

- يلعن ديك أبوكم وأبو أى واحد يلسن بكلمة، قاعدين تتكلموا فى سيرة خلق الله والآخر يطلع حنكش عمل وقال:

قال شكرى : - يا أخى ناس سوء والسكاكرة خائفة من الجرب الذى زرعه السيد الوسخ، ولا تعرف السكاكرة أن من أولادها أوسخ من السيد على الأقل أصحابه، وإذا قلت لواحد عيب يا أخى، لا تلم هدمتك منهم ويعمل عليك شريف مثل حنكش بالضبط.

قال حنكش : - كل قعدة أشتم وأهان وأنا لم أتكلم ولو تكلمت لهدمت وخربت بيوتكم جميعا.

قال شكرى : - طبعا ، أنت صاحب السيد الوسخ وتقلده وأنت شاحن بطاريته بالكبل يابن الكلب.

صرخ حنكش : - حرام والله.

قلت له : - عندما يكون العمل شغال نادى علينا لنرى الحلال من الحرام.

- لم يعد باقيا إلا حميد الطبال.

قال شكرى : - الحمد لله حنكش الجبان يعرف الحلال من الحرام.

قال حنكش : - أنا أشجع من أى واحد فيكم وأنا صابر وسأتكلم والله.

قال حسينى : - تكلم ولا يهمك ليس عندك ما تخاف عليه لتحافظ عليه ولا أحد يهمك لا أولادك ولا زوجتك، وريم البرك طافح دائما على وش الماء لا يهمه إلا توسيخ الماء والشط ، حسبى الله ونعم الوكيل.

قال شكرى : - اقفل يا حنكش الكلام سيمس بيوتا كثيرة.

قال محمد عثمان : - ليست هذه هى السكاكرة التى أعرفها.

قال حسينى : - لأ هى، الشاى والمعسل يابت يا سماسم.

وتناهى إلى أسماعنا صوت يسأل عنا، ودخل عبده الصغير.

- السلام عليكم ، صوتكم عال ومسموع، وأنا ماشى

فى العتمة أطبش وأضرب فى الطوب.

قال حسينى : - يا أخى الدنيا نور.

قال شكرى : - عتمة ألعن من يوم الوتد.

نظر إلى شكرى ففهم وقلت: - جاءك الموت يا تارك الصلاة.

قال شكرى لحنكش : - جنيه كامل يا شجيع إذا دقيت هذا الوتد فى مقام الشيخ البرهتى.

قال حنكش بخوف : - ملعوب؟

قال عبده : - أفهم الموضوع؟

قال شكرى : - انت قلت إنك لست جبانا ، فعليك بالذهاب إلى مقام الشيخ البرهتى ودق الوتد هناك الآن لنعرف أنك شجاع وإلا قلنا لعبده على موضوع المارد، ولك جنيه بالتمام والكمال.

قال حنكش فى حصاره : - الفلوس ؟

قال حسينى : - بعد دق الوتد.

قال عبده : - لابد أن نرى الوتد مدقوقا.

قال شكرى : - حنكش دق الوتد من زمان، والأفضل

لك ألا تراه مدقوقا.

قام حسينى وأحضر العدّة وقال : – جاهز يا عم ؟

قام حنكش وأخذ الوتد والمرزبة (المدقة) وقال : –

– توكلت على الله سأعود لكم بالمدقة بعد ساعة.

قال حسينى : – إن شاء الله لن تعود طالما قلت توكلت على الله، أنت كل أعمالك نجسة ولا أظن أنك تتوكل على الله فيها، مع السلامة.

غادر حنكش الجلسة ونزل صمت رهيب على الجالسين وتخيل كل منهم التربة وعتمة نخيلها والليل الساكن والساكت والملىء بالحركة، تذكروا الجن والعفاريت وخالتك أم أبريق وكنت أنا شخصيا أرى نخيل التربة بالليل نساء ملط سوداء لها رؤوس بشعر منكوش وتمر من تحت أرجلهن : الأرانب وحمارة التربة البيضاء والذئاب والقتلى الذين بلا أهالى ، وبحر من الرمال والدم فيه حنونة تستحم، وأتخيل حنكش مرة أخرى فى غيط القصب راكبا منجة، وأتعجب من سر النسوان اللئيم وكيف بعد أن ضربته بالشبشب أمامنا وطردته من الدار تنام له ؟

فاقول يستاهل ما يجرى له ، صحيح هو ولد خلبوص ولكن ماذنب عبده؟

كانت العيون سرحانة ولكن الضمائر لا تريد لحنكش العودة وكلها تصرخ هذا حقك يا عبده إذا كانت غير بريئة فقد أخذ حنكش قضاءه بيده، وإذا كانت بريئة عاد حنكش بالسلامة، وكنت أحس أنه لن يعود .

دخلت سماسم بالعشاء تحمله معها عواطف المحسسة، وأعطت الجالسين ميت مساء الخير فأخذوا الطعام أولا ثم أكملوا رد التحية فقالت عواطف:

– بالهنا والشفاء.... منور يا أستاذ محمد.

قال شكرى : – منور طبعا... ربنا يكفينا شر هذه الليلة وما يأتى فيها.

قالت عواطف : – حاسب على كلامك يا شكرى أنت ضدى على طول الخط.

قال شكرى : – ضدك؟ احنا فى محكمة؟

قالت عواطف : – ربنا لا يحكم فينا أحد.

قال شكرى : – يا سلام، احنا عارفين المحاكم

والبوليس وشقة الزراعة، وأنت ست الكل بكت عواطف وقالت : تكرم علشان خاطر الأستاذ محمد، وأنا ضيفة صاحب البيت وهو لا يقدر على حمايتى.

قال حسينى بهدوء: حمايتك ؟ من شكرى؟

أنتم أصحاب من زمان، الزمن تغيّر حاله.

قالت عواطف : - طيب يا حسينى كل واحد يدور على نفسه وكل واحد له يوم.

قال حسينى : - عواطف بلاش تهديد، احنا ملناش ظباط لكن الكرامة غالية، وكل من كان له واحد فى البوليس يرفع رأسه علينا.

قامت عواطف خارجة من دار حسينى وهى تكظم غيظها من شكرى الذى هجرجا بعد أن أخذ من الضرب والفضائح ما أخذ ، ولكنها ظلت ملتصقة به حتى ظهر الضابط فاحتفظت بشكرى والضابط ولكن شكرى هجرها.

قال محمد عثمان : - والله أنا كالأطرش فى الزفة، كل واحد يفتح حنكه تلاقى وراءه مشكلة، وإذا سمعت

حكايتها تجد أن عدم الفهم أحسن وعدم المعرفة خير.

قال شكرى : - لا تشغل بالك، الأكل جميل وأجمل شىء الفول من المحلبة بعد الخبيز.

قال محمد عثمان : - الحمد لله، شبعان والله.

قال حسينى : - يصبح لنا عندك حق عرب.

امتدت الأيدى إلى الطعام ولكن سرعان ما توقفت على أثر قول عبده :

- حنكش تأخر يا جماعة.

قال حسينى وهو يأكل ولا يرفع رأسه عن الأكل.

- الغائب حجته معاه.

قال شكرى : الله لا يرد الغلا ولا كياله، ربنا يأخذ حنكش وعواطف أخذ عزيز مقتدر .

قال محمد عثمان وهو يصطاد فى الماء العكر :

- يا شكرى أنت قارش ملحة عواطف.

قال شكرى : - أبدا البلد اتهبلت الست هانم عندها أولاد كبار أحسنهم حرامى وهى لا تكل ولا تمل وربنا يستر على الكل.

قال حسينى : - يا سلام يا أخى حلال عليك حرام على غيرك.

قال شكرى : - يا حسينى قول يا مسا واترك الليلة تمر على خير.

قال عبده : - والله من حرقة قلبك عليها.

قال شكرى : - والنبى يا عبده أنت بالذات بلاش تتكلم، ثم إن ربك قبل التوبة، وأنا لم أجبرها على شىء، قلت لها تعالى جاءت وتبنا وخلاص، والله لو واحد فيكم شيخ الإسلام كانت الناس هجت من الدنيا، ثم أنا حكايتى بسيطة ولكن حكاية الضابط؟

قاطعه عبده : - حرام عليك، لابد من أربعة شهود.

قال محمد عثمان : - يا ناس أفهم ظابط؟ أيه الحكاية؟

قال شكرى : - يا سيدى عواطف دبت خناقة مع ابن عمك عبد الله سكيح والولد عفى وليس له فى شغل المسخرة، وهو جاهل وشباب وخشيم فضربها بالشلوت وبالشومة على مؤخرتها، فذهبت إلى المركز وقدمت فيه

البلاغ بالورقة الكبيرة وعندما سألها الظابط، هل عندها إصابات؟ كشفت له نفسها قائلة ضربنى فى المحسسة، وتفرج الظابط من الأمام ومن الخلف فسحبها إلى بيته وصارت معرفة وتهدد الناس كل شوية.

قال محمد عثمان : - والعمدة؟

قال حسينى : - عنده عدّة التلفون.

قال شكرى : - الظابط معزور ، عواطف فرسة شديدة، بسم الله ما شاء الله تبة ضرب نار، وهى باركة على ركبها كأنها جمل ناخ، وشديدة ومن شدتها جعلت الظابط يضرب الولد علقة أسكنته الدار شهرا كاملا.

والذى كشف لنا الموضوع أن عمة السيد تُرُكْ تسكن فى شقة أمام شقة الظابط ، ورأتها وهى تدخل وتخرج من عنده فحكت للسيد الذى حكى الحكاية للبلد.

قال محمد عثمان : - وزوجها؟

قال شكرى : - طلقها وتزوج بعدها، لأن أى راجل لابد أن يحس بزوجته وإذا شك فلابد هناك شىء، وصحيح النسوان كالماء ولا توجد امرأة تعترف ولكن يبان عليها.

قال عبده : - أيام الرسول.

انطلق صوت حسيني : - خلاص استني أيام الرسول يا عبده، يا سيدي استحمت وحلفت على المصحف أن جسدها لم يلمس جسد الظابط إلا في السلام باليد، ولكن مدير الأمن نقل الظابط، فعادت تلف متدور في البلدة كالكلبة الطالبة لأن قوتها شديدة ولا أحد قدر عليها أبدا وهي الآن تابت إلى الله.

قال شكري : - من ذاق الحرام لا يتوب.

قال عبده : - رحمة ربك واسعة، ثم هل أحد منكم رأى رؤية العين ؟

قال شكري : - يكفي غيره يشوف، احك يا طبال على غيط القصب ليلة أمس.

قال عبده : - سيبك من هذا الكلام أنا قلبي مشغول على حنكش.

قال شكري : - آه يا حنين ، والله حنكش ولد كلب مكن يكون روح ونام.

قال حسيني : - ولكن ضحك عليك ومرضت بسببه.

قال محمد عثمان : – ممكن نذهب إلى الجبانة وتحكى لى فى الطريق زعلك الشديد من حنكش.

قلت له : – سأحكى لك الحكاية.

قال حسينى : – بالحق ولا تزد كلاماً من عندك.

كنا قد خرجنا فى طريقنا إلى الجبانة، والليل يجاهد فى الصمود أمام بوابات النهار والندى يسيل على الطرقات عاريا كامرأة توقظ عشيقها لتمتص منه دم الصباح وحليبه بعد ليلة جميلة، والكلاب نامت وندى الليل أسكرها والسكاكرة هس أسكت.

دخلنا من ناحية دار عبد الغنى مرورا بالمدرسة والقنطرة وبواسطة نخل التربة ميّزنا المكان، وعند مقام سيدى إبراهيم البرهتى كان حنكش ملقى على الأرض وملابسه ممزقة والوتد مدقوق فى هدمه والمدقة بعيدا عنه وهو غارق فى بوله وخرائه.

قلنا إنه مات وأخذنا نقلبه فنطق.

– حوش يارب والله آخر مرة يا أولاد الكلب، أنا مالى هى رمت نفسها علىّ عاوزينى أموت وكل واحد منكم نفسه فيها.

أخـذنا نضـربه على وجـهـه ليـفـيق وخلعنا الوتد من ملابسه، حملناه معنا وسرنا فقال شكرى :

– عيل هايف وأهبل نسى أن يلف هدومه حول وسطه.

قال عبده : – لأ مارد التربة وقع عليه وقسم ظهره.

قال شكرى بغيظ لعبده : – هل رأيت مارد التربة ؟

قال عبده : – لأ.

قـال شكرى : – يا أخى لا تتكلم عن شىء لم تره بعـينك يا ناس حرام، الدين قال ضرورى الشهود مضبوط يا عبده؟

قـال عـبـده : – وهـل من الدين قـتل حنكش من أجل التسلية بحجة الفلوس والشجاعة ؟

رد شكرى بحـقـد : – لأ، من الدين أن يطلع مـارد حنكش لمنجة فى غيط القصب بالليل.

صرخ عبده : – نعم يا روح أمك؟

صرخ محمد عثمان : – ولد يا ...

وهوت يده بكف ثقيل على وجه شكرى فسـاد صـمت عـميق، فـافـترقنا أخـذنا حنكش إلى بيـته ولا أدرى مـاذا حدث للباقين.

(٧)

قال حامد البلاسي: - والله أنا سعيد بوجودكم عندى، وهذا يوم من أسعد الأيام، وكان بودى أن أذبح لكم خروفا ولكن الظروف، ويوم يشرفنى محمد عثمان فى بيتى يوم سعيد وإن كان مرض حنكش جعلنا فى غاية الزعل وهو لم يحك لزوجته هنية ولكنها عرفت أنه كان معكم، رغم أن ابن المنبوشة كان معى قبل أن يذهب إليكم... المهم حصل خير. دخلت عزيزة بالطعام فقام حامد وأخذه منها ووضع الصنية بدجاجها المحمر أمام الجميع وبدأ الأكل فى الفتة والحمام والأرز وختم الأكل بالدجاج وحمد الجميع الله.

- بالعافية والهناء والشفاء.

قال شكرى : - شكرا يا عزيزة نأكل يوم زواج الأولاد، وعودتكم من الحجاز.

- يسمع منك ربنا ويكون الجد معنا.

قال حامد : - أعوذ بالله يا شيخة، مائة وخمسة وعشرون عاما وأشد من الحصان ، والحجاز قدامه من ألف سنة يقوم يروح الحجاز معنا؟

قالت عزيزة : - يارب يزور الرسول ويحج ويرزقه من جميلة بولد.

قال محمد عثمان : - يرزق من ؟

قالت عزيزة : - يرزق أبى من جميلة بنت عمك السيد.

قال محمد عثمان ؟ - معقول؟ جميلة أصغر منك يا عزيزة.

قالت عزيزة : - هناين على فرحين ، والله هى سعيدة معه وتحلف بحياته وتدلق ماء الحموم يوميا وأبى عاد شبابا.

دخل الجد متأملا فى عتمة المكان فوقفت الصحبة كلها.

- السلام عليكم.

- سلاموا ورحمة الله.. أهلا يا حاج.

- يا دين النبى طالت الغيبة يا أبو عثمان، لكن مسير

الحي يتلاقى (التفت) ازيك يا شكرى؟ لسه ملط ياولد؟ (ضحكوا) ازيك يا عبده يا صغير اكبر يا عبده شوية، أهلا يا حسينى وختمت بقراجة وحميد الطبال وأبو صيام / رمضان على الأبواب، حنكش غايب عنكم؟

قال شكرى : – عيان شوية.

قال الجد : – شوية واحدة يا تكرمه يارب يا تكرمه بكرمك الكبير الذى لا يقوم منه أبدا، ولد وسخ صحيح، وإن كان الزمن الجاى زمن حنكش زمن غدر وجبن.

قال محمد عثمان : – المهم إزى صحتك وألف مبروك على الجواز.

– من جهة الصحة فعال العال، ومن جهة الجواز فاصبر وبارك على المولود، جميلة حامل .

دهش الجميع : – حامل ؟ ألف مبروك.

قال الجد : – والله هذا الحمل عندى أغلى من كل أولادى (التفت إلى حسينى) لا تنس أن تأخذ الناف والجاموسة لتسقى الأرض البحرية.

قال حسينى : – حاضر ردْ زمال.

لم يرد الجد عليه وأكمل.

- غالى عندى قوى لأننى كنت خايف أكون قطعت الخلف من يوم حمارة التربة بنت الكلب، ويا أخى رغم أننى سمعت عنها من الجميع إلا أنه ساعة القدر يعمى البصر، بمعنى أننى سمعت كثيرا عن حكايات الجن والعفاريت وكنت أقول - ناس عرشها خفيف وقلبها صغير وما جعلنى أكره هذه الحكايات وأحس أنها حكايات بسيطة هو ما سمعته من أجدادنا الأوائل عن حكايات السكاكرة، وحضور بعض العرب إلينا (لامؤاخذة يا أستاذ محمد) وعمك تفويق النساج وإبراهيم بن سليمان ومنهم من قال حتى فى الأيام القليلة الماضية منذ ألف عام حضر هنا خالد بن الوليد وزرع نخلة فى ههيا، وأنا شاهدت أشياء وأنا صغير لو حكيت لكم عليها فلن تصدقونى أبدا.

هل يأكل أحد منكم معى (وأخرج من جيبه فول حصى وأخذ يقرقش).

قال محمد عثمان : - فول حصى يا جد ؟ أنا أشنانى تعبانه

– أنتم من جيل مثل السكر تذيبه قطرة ماء كان الله في عون النساء وقدرهن على الصبر.

قال قراجة : – وحمارة التربة ؟

– حمارة التربة يا قراجة قتلت من السكاكرة عدداً كبيراً وأنا الوحيد الذى ركبها مرتين ولم يمت، وكنت أنسى ولا أتذكر أنها هى إلا وأنا فوقها فأضع السكين بين أكتافها. وفى هذا اليوم كنت فى زيارة الحاجة آمنة فى ههيا والمولد على عين أمه والنساء على سنجة عشرة، بعد السهر عدت وأنا معى الحمص والحلاوة ونصف وقية أفيون وربع تربة حشيش وأخذت الطريق مشيا إلى هنا وعند التربة وجدت حمارة بيضاء كبيرة وعفية وليس فى رقبتها حبل وبدون بردعة قلت ؟ والله هذه حمارة ضائعة آخذها حتى الصباح إلى أن يسأل عليها صاحبها وإذا لم يظهر لها صاحب فأهلا وسهلا حلالى بلالى.

وضعت يدى على رقبتها لم تتحرك ، ركبتها فسارت وأرادت أن تدخل التربة فضربتها على رقبتها وعدلتها على الطريق فأخذت ترتفع فعرفتها وصارت أعلى من

مقام الشيخ البرهتى فأخرجت السكين وزرعتها حشرا بين أكتافها فصارت تصغر حتى عادت كما كانت ، وأخذت أحرك السكين فتسير كما أريد وعند باب الدار نزلت وأنا قابض على السكين المغروس فى ما بين أكتافها وخبطت على الباب حتى فتحت زوجتى عائشة السادسة فزرقت من الباب ثم نزعت السكين خطفا وأغلقت الباب وارتميت على الأرض فصرخت عائشة.

– أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فأشرت لها سدى خاشمك، فجاءت بجوارى فقلت لها:

– العشا وجهزى نفسك.

– وأنت فى هذه الحالة يا حاج؟

– نعم .

المهم قمت بالواجب ولكن لم أكن مبسوطا.

ومرت الأيام وماتت عائشة وبعد موت الشيخ عبد الحميد الحصرى وزواجى من كاملة وأظن كانت التاسعة.

– العاشرة يا حاج.

– بتعد علىّ يا حامد.

- لا سمح الله، لكن عزيزة بنت السيد الحنجيرى وكانت بنت الحادية عشرة ويقولون لها كاملة وأنا أقصد كاملة بنت عبد الرحمن وهذه تزوجتها أنت بعد عزيزة، يعنى الثالثة عشرة.

- مش مهم، المهم كنت عائدا من أبى كبير وكانت معى لفة هريسة، هريسة يا شكرى.

- ماشى يا حاج.

- ومعى لفة هريسة وكانت الست كاملة نصحتنى أن أحمل معى حافر حصان، وكنت أنقله من جيب صديرى إلى الآخر حتى أننى من كثرة التعود عليه كنت أنساه.

المهم وصلت حتى نخل التربة وإذا أمامى حمارة بيضاء عفية ويا أخى الإنسان نساى، لم أتذكر خالص حكاية الحمارة وما حدث معى أبدا.

وبدأت الحمارة تعفر وتضرب الأرض من الأمام ومن الخلف وتجرى وتعود تقطع علىّ الطريق وأنا محتار فى أمرى وأقول سبحانك، والحمارة تهاجمنى وتظرط فى وجهى حتى آخر حدود التربة ثم تحولت إلى شىء أسود

رهيب وصوت يصرخ فيّ.

والله لو مش معاك حافر كنت جعلت دمك يسافر.

وزوبعت تراب كثير كأننا في أمشير وروائح كخرارة الجامع، وأنا فـهـمت وجـريت إلى الدار وارتميت على الأرض وبحثت في جيبي عن الحافر فوجدته وحمدت الله.

(ومد يده في جيبه وأخرج الحافر وقبل أن تلمسه يد واحد منا أخفاه في صدره)

قال حميد : - والله هذا هو المساك يا حاج.

- والله يا حميد الموضوع فيه كلام.

- لا يا حاج المساك صحيح وحدث معي في رمضان الذي جاء في الشتاء من سنين.

- عيب يا حميد عفريت وفي رمضان؟ يا أخي إذا كنت كذوبا فكن ذكورا، عفريت هارب؟

- والله هذا ما حدث.

- قل يابن الناس الطيبين.

قال عبده : - دور شاى وصلوا على النبي.

قال الجد : - يا عزيزة أنا حلبة.

- حاضر يابا.

قال حميد : - فى رمضان لنا عادة، نعمل الكنافة للناس من العصر إلى المغرب، ونصلى المغرب ونفطر وننام حتى قبل السحور بمدة طويلة نقوم ونتسحر ونصلى العشاء ونتكلم نتسامر يعنى، ثم نقوم لنسحر الناس وكل منا يجرى فى ناحية محددة له فى البلد بالطبلة، وكانت ليلة شتاء، المطر فيها للركب ، والهواء شديد والطين بحر غويط وأنا لفيت فى ناحيتى مرتين فى أول مرة لم يحدث شىء، وفى اللفة الثانية وكنت عند بيت عمك توفيق وكان الفانوس غير موجود، ولم يخرج أحد هذه الليلة يكلمنا أو يمسى علينا.

وعند نزولى من علواية الجامع إلى بيت أم حسين وأمام دار السيد أبو فرج أحسست أننى ثقيل ولا أستطيع التحرك من مكانى، وكنت ألبس بالطو صوف العسكرى فوق الهدوم، خلعت رجلى من الطين وحاولت خلع الأخرى ولكن كنت مدقوقا فى الأرض من الخلف وهدمتى والبالطو مشدودين على الآخر، ماذا أفعل والدنيا

ظلام ولا أحد حولك والناس نائمة؟

ولا أحد يخرج إليك حتى لو صرخت بعزم ما بك، والهواء امرأة مجنونة تجرى تشد فى هدوم الناس وتقلع الأشجار من جذورها وهى ناكشة شعرها وتزوم ، والمطر كلسع الإبر والهواء يمر على الجلد المبلول بالمس فيخرج الدم وتدلق الريح شطة على الجرح، والطين زبدة طرية تضع رجلك فى أول الشارع فتجد نفسك فى آخره.

أخذت أدق على الطبلة بجنون وأنا أقول فى نفسى والله هو المساك وأمرى إلى الله حتى يؤذن الفجر، ولكن تذكرت أننا فى رمضان فكيف جاء هذا المساك؟

وأخذت أتأمل فى الظلام ولكن ولا أى شىء أراه، ولكن ربنا أعطانى الحل فزعقت يا سيد يابو فرج، يامحمد أبو حسين، يا فاطمة يا أم العايدى.

وبعد أن وصل صوتى أعلى من مأذنة الجامع خرج محمد بن أم حسين الله يرحمه وفى يده الفانوس وقال :

– مالك يا حميد ؟

– الحقنى المساك مسكنى.

– مساك فى رمضان قدام المسجد ؟

– ارحمنى يا محمد.

كان قد وصل عندى فإذا به يترك الفانوس ويدخل إلى الدار ويعود وفى يده شومة كبيرة ورفعها فوق رأسى ونزل بها على الأرض وأنا كتمت خوفى فأغمى علىّ وأفقت وأنا فى الشارع وسامع صوت شىء يزوم والمقص يقطع فى هدمتى وتأملت ما يحدث على الفانوس، فرأيت كلبة أم حسين رأسها مهشمة وتطلع فى الروح وهدمتى والبالطو بين أسنانها حتى وهى تموت احتفظت بجزء من الهدوم فى فمها، يمكن دليل المحبة.

هاجت الشلة من الضحك.

قال الحاج : – والله أنت ابن نكتة يا حميد.

قال حميد : – والله إنها أشد من المساك ، وهى التى أمسكت السيد الطويل فقلع لها هدومه وتركها وجرى وكان يظنها المساك وفى الصباح وجد هدومه مقطعة أمام المسجد.

قال شكرى : – الحمد لله لو أمسكت رجلك كانت أكلتها.

– يا سيدى قلنا الحمد.

قالت عزيزة : – كتب لك عمر جديد.

قال شكرى : – يا عزيزة هلى كتب لنا شايا وحلبة لأبيك؟

– حاضر والله حكاية الكلبة شغلتنى.

دق الباب ودخل قط البندر.

– السلام عليكم.

– وعليكم يا قط.

وضع بندقيته بجواره وقال :

– سمعت الضحك واللعلعة قلت خيراً.

قال شكرى : – خفير وشايف شغله.

قال قط : – قلت نضحك سوا، يا ترى الضحك على من.

قال شكرى : – على كلبة أم حسين وحميد الطبال وحكاية المسّاك، شىء يوقف شعر الأقرع.

قال قط : – من الخوف، ولكن ما رأيته فى العلمين يخوّف الخوف.

قال محمد عثمان : - مساء الخير يا قط.

- مسـاء النور يا أهل البندر، والله مـا أخـذت بالى، سلامات يا أستاذ.

- الله يخليك يا قط.

قال حميد : - يخليه؟ يخليه بعيدا عنا.

قال قط وهو يسحب أنفاس الجوزة: - والله أنت طبال جِخِمْ وأبو كلبة.

قال محمد عثمان : - عيب الجد معنا يا جماعة.

قال الجد : - زمن، إذا طلع العيب من أهل العيب.

قال حميد : - تكرم يا جد.

قال الجد : - قعده فيها شكرى وحميد وحامد وقط وقراجة وحسينى، كلهم أولاد كلب .

قال حسينى : - من قال لك ؟

قال شكرى : - تقصد من قال له إن أبو الأستاذ محمد ليس كلبا.

ضجت الجلسة بالضحك فقال حسينى.

- لا أقصد من قال لك إننا أولاد كلاب، ثم هل أنا

زوج ابنتك كلبا؟

قـال قط البندر: - هذا هو الفـرق بين المصـريين والأجانب، احنا لسه قاعدين نقول فلاناً ابن كلب وفلانا ابن باشا، وفيولا كانت تقول مصر عظيمة كتير إبراهيم، لكن شوية إخلاص مش لازم كله يبقى خلبوص.

وكنت أنا مـخلص لهـا فـهى التى عالجتنى من الحمى وضـربة الشـمس ولكنهـا كـانت شـديدة قـوى والله يابا الحاج.

والصنف الأجنبى ضـيق قـوى فـرن قـايد وهم كـمـا ولدتهم أمـهاتهم لا يتطاهرون ولا يقصرون وهم يسـيرون بدون ملابس داخلية وأى لمس يجيب نتيجة معاهم ، وإذا كان ولابد من الملابس الداخلية فقطعة صغيرة قد اللقمة والشعر باين من كل ناحية والمسألة نار.

ولد يا حسـينى خلى مـراتك بعيـد خلينا نتكلم على راحتنا.

والله يا جـد أنا كنت مـجند فى سـلاح الحـدود فى العلمين ، والعلمين يعنى علم ألمانيا وعلم أى دول تانية،

لكن الحاج محمد روميل انهزم ومصر كانت مستنية ألمانيا، ناس كانت بتحبها وناس كانت بتكرهها، ولكن أنا أحب اليونان والزيتون والتونة والجبن الرومى والتشدر والراس وفيولا واللحم البارد ، والنبيذ الأحمر ليلا والأبيض نهارا والاسكتش سك بدون ماء، والفودكا والبطارخ وماء تونك على الفن والجن بشرائح الليمون، والشاى والقهوة بالبرندى ، وأحب النبى وأكره السكاكرة وزينب مراتي، والخفرا والعمدة.

يا لهوى يا عالم على نور الشموع والهدوم تقع حتة حتة من شدة البوس والموسيقى طالعة من قلبك مش طبلة ولا واحدة ونص، يا سلام على رغوة الشامبانيا وهى تتدلق على جانب الكاس وأنت تشفط بق وتتركها فتفور فتميل رأسك وتشفط كأنك بتبوس، فتلاقى البوس على كل جتتك فيحصل للبعيد ما حصل لى قولوا آمين –

ثم تأكل شرائح اللحم المشوية ومرشوشة بالكونياك وفيولا تدس الأكل فى بقى ودوريتنا تفعل فعلها فى غيابها وأنا طلوقة بنت كلب عمرها ما شافت النعمة إلا على

يديهـا. وتحس مع الشـرب والعـرق أنك برأسـين وإذا اشتغلت واحد عظيم فلابد من التانى اللئيم وإذا طلبت الزيادة فكن حـويطا أو تقع فى الفخ ويحيـا هتلر وروميل وموسوليني وأنا وفيولا كما ولدتنا أمهاتنا فتفتكر الحاجة ذكية اللهلوبة فتلعن أبو رأسك الوسخة وذكرياتك الطين وتقول فى نفسك انس العالم وعش مع العالم.

والله العظيم أنتم عالم غجر ومصيركم جهنم ، حرام أى مخلوق منكم يهوب ناحية الجنة يا مواشى فيها حور العين وخمر وحجات حلوة قوى من عرفها اشتاق إليها فأنا نفسي أعرف عايزين تروحوا الجنة ليه ؟

كل نسوان البلد عود حديد محمى فى الفرن، النسوان البيضاء والحمراء شيء تانى خالص كله عمر ويمر وكلها من جهة الرجال شيء واحد المهم الزمن والصنعة أما من جهة النساء فشيء لا يتكرر، خسارة ضياع العمر والمجهود احفظه للنعمة يا أخى.

كل واحدة من نسوان بلدنا مثل معجنة الطين تندب فيها ومحسوبة عليك امرأة، وربك غفور رحيم ويفرح بعبده

الخطاء، مش فهمين يا غجر.

بذمتك يا حاج حميده أم قفص امرأة؟

عواطف المحسسة امرأة؟

والنبى راضى ذمتك يا حاج تنفع القسمة؟

قال الحاج : - وفيوله.

قال قط بغيظ : - يا جد روح نام أحسن لك ، مبسوط بعشرين قردة تزوجتهم؟

يا أخى بلا نيلة، نسوان أنا أنام مع مراتى وعقلى عند فيولا، عيشة طين.

قال الجد : - وما الذى رماك علينا؟

دخلت عزيزة بالشاى والحلبة فقطعت الكلام.

قال حسينى : - تعيشى وتفتكرى شاى جملى.

لم ترد وخرجت فقال محمد عثمان :

- يا إبراهيم لا تنط من حكاية إلى حكاية ، قل لنا ما حكاية علاجك من الحمى ، ولماذا جئت إلى السكاكرة؟

رشف قط رشفة من كوب الشاى ووضعه أمامه ثم قال:

– كل العساكر كانت تأخذ إجازة يومين وتنزل الإسكندرية وأنا ويلى ويلين اليومين لن يصلوا بى إلى هنا وليس لى فى الإسكندرية مخلوق إلا السيد أحمد وكان طالبا فى الحقوق والمعسكر طين فى الأيام العادية فما بالك بالإجازة طينين.

قلت أنزل الإسكندرية وأبيت عند الأستاذ ولكن كان يذاكر عند أصحابه أقضى الإجازات ما بين القهوة وباب الشقة إلى أن أحضر فأجده فأنام وفى الصباح إلى المعسكر ، وكنت قد وضعت البلغة والجلباب عنده فى الشقة وكنت أخاف أن ألبس هذه الهدوم وأسير فى الشارع، ولما قست هدوم الأستاذ سيد أحمد كانت ضيقة وقصيرة فلم أنزل إجازات. بعد حوالى شهر وجعنى الحنين إلى الناس فقلت أنزل الإسكندرية أرحم من نزول السكاكرة، كنت قد أخذت مرتبى من الجيش فقلت يا واد روق نفسك ومعى جنيهان وعشرون قرشا . كان عندنا طوابير سلاح ومطاردة وتتبع واقتفاء ، ووقفنا من طلعة الشمس إلى بعد آذان العصر ثم أستريح عشر دقائق

وتوزيع التصـاريح ، وكنت أجس أننى تعـبـان آخـر تعب والعرق ينز وينقط منى كرشح الزير، وطبـعا كان نفسى أجرى بعد ما أخذت التصريح، ولكن تعبان وخائف من الألغام فى منطقة العلمين والمسافة بيننا وبين المعسكر كبيرة، ونفسى أتفسح ونزلت الإسكندرية ماسكا نفسى بالعافية، ودقـقت جرس شقة الأستاذ بالمنشية فلم يكن موجودا ، كنت أرتعش وكانت حالتى صعبة خالص فذهبت إلى الأجزخانة وقلت للدكتور : - لو سمحت أى شىء يشيل عنى التعب.

أعطانى حبوبا صغيرة صفراء وكانت واحدة خواجاية تشـتـرى الدواء وتنظر إلىّ وأنا زعـلان من نفسى ومن الأستاذ ومن الشمس ومن كل الحاجات والمحتاجات وعدت إلى الشقة قتيلا ولكن لم يحضر الأستاذ بعد، ضربت الجرس وخبطت على الباب ولكن ظل الباب فى مكانه جلست على السلم من التـــعب وكنت أرتعش فأحسست أننى محصوراً فنزلت ودخلت خلف العمارة وبولت وعدت وجلست أمام باب الشقة وأنا أرتعش وأتكئ

من الحمى، ضربنى الوجع فقعدت أمام العتبة مهدودا أنازع من شدة الوجع وصوتى عال.

فتح باب الشقة المجاورة وخرجت ست وقالت : - أنت قريب سيد أحمد؟

أشرت لها برأسى فسحبتنى من يدى وكنت أريد أى مكان ألبد فيه إلى الصباح.

أدخلتنى إلى الشقة فأخرجت الحبوب وأخذت منها فأحضرت الشاى وكان طعمه غريبا فشربته ولم أحس بنفسى إلا عندما صحوت من النوم ووجدتنى على السرير فى شقتها وليس معى أحد وبالفانلة واللباس التحتانى، ولم أجد ملابسى الميرى فقلت لقد سرقتينى، دخلت دورة المياه واسترحت وأخذت دشا بالماء الساخن وكانت الفانلة واللباس آخر وساخة ورائحة البصل تملأ المكان فلبستهم بالمقلوب ونمت.

أحسست بها تدخل من باب الشقة فتظاهرت بالنوم فوضعت ما معها فى المطبخ وجاءت ووضعت يدها على رأسى وقالت :

- عظيم برافوا.

فتحت عينى وقلت لها : - متشكرين ياست، هدومى علشان أسافر.

قالت : - لا لا تأكل أولا بعدين مع السلامة.

بينى وما بينك كنت سأموت من الجوع قلت فى سرى فرجت، مشت من أمامى ونادت علىَ ذهبت إليها فى المطبخ فقالت : - اسمك.

- إبراهيم .

قال شكرى : - تعيش حماراً وتموت حمارا، الست خوجاية تسألك عن اسمك قلها (كات أوف ذا ستى) .

ضحك الجميع وقال محمد عثمان : - نعم.

قال قط : - لا تأخذ على كلامه هذا صنف واطى.

قال شكرى : - جمال بن عمك عبد الحميد قال اسمه بالإنجليزى كات أوف ذا ستى.

قال قط : - الحساب بعدين يا شكرى.

المهم جهزت السفرة وأنا قعدت على الكرسى وهى بجانبى وتضع لى فى الطبق أمامى اللحم فآكله ثم

السلطة ثم كوباً به مشروب أصفر وأنا أشرب وآكل وهى تقول :

– واحدة واحدة.

فصرت أقلدها وكان المشروب مزيزا وأشرب وأدخن وآكل ثم وضعت فى فمى عصا رفيعة عليها شىء أخضر زفر جدا ولكن مفعولها جبار وعرفت أنه بطارخ نوع كفيار، عطست وعطست فأنا بالفانلة واللباس وكانت الحرارة تطلع من أذنى فأخذتنى من يدى وجلسنا على الشلت ولعبت فى رأسى وقالت :

– كويس كتير إبراهيم.

– الحمد لله حصان يا ست (كانت تلبس هدمات خفيفة قوى على اللحم).

– اسمى فيولا.

– عاشت الأسامى يا ست فيولا، متشكرين خالص ، انتى من الاسكندرية؟

– من اليونان.

– يا دين النبى وساكنة هنا من زمان؟

- من أيام البابا والماما بتاع الأنا .... انت عسكرى أمسك حرامى؟

- صح لكن امسك مهرب حشيش.

- لك زوجة وأولاد ؟

- لا أبدا عمرى.

دخلت إلى حجرة داخلية وأحضرت قفطاناً عرفت أن اسمه روب وقلعتنى هدمتى ولبسته على اللحم وعرفت أنا رايح فين ولكن كنت أستهبل ، وكانت رائحتى عرق ورائحتها فل الفل مع بعض رائحة النوشادر ولما سلت اللباس التحتانى ضممت الروب علىّ فأعطتنى كأسا من المشروب الدسم وقالت : - تكون تمام.

كان حالى قد صار مثل حال الحمار وبدأ ينقح علىّ فقلت فى سرى :

- الليلة حابكة، (وقلت بصوت عال) ممكن أنام؟

- ممكن إبراهيم (ونظرت فى عينى فانكسفت).

سحبتنى إلى السرير وقالت : - اخلع هدومك إبراهيم.

- هدومى؟

فردت علىّ الملاية فخلعت الهدوم وتسحلبت بجوارى وصرنا عراه كما فى يوم الحشر، ونزلت بوس فى وشى وكل جسمى وشعرى ورقبتى ولم أصبر فانطلق أخوك كما الوحش ورمينا الملاية وعينك ما تشوف إلا النور وأنا أشتغل وأتفرج وهى تزوم مثل الكلبة وهى تصوت وتخربش وتنتفض وتتعلق فى رقبتى وتنقلب على وهى مجنونة ولكن لم ينزل مائى أبدا وكان ظهرى وأفخاذى تؤلمنى ثم نمت وجلست فوقى فلم أرض أن أكون تحت فقمت وقلبتها على ظهرها وبطنها وضربتها فى كل مكان ثم جعلت مائى فوقها من الخلف ويسيل إلى الأمام وهى تنهج كالكلبة، وكان مائى يغرقها تماما، فأخذتنى فى حضنها ونامت.

صحوت من النوم فى آذان العصر قلت لها : - الساعة كام؟

- الواحدة بعد الظهر اليوم الأحد يا إبراهيم ، مفيش جيش الأحد، إجازة.

- الجيش؟

لبست ملابسى وكانت مغسولة ومكوية وعليها عطر ولبست الحذاء المصرى وكان يلمع فقبلتنى وأعطتنى جنيها وقالت : - لازم نشوفك كتير إبراهيم.

ذهبت إلى الجيش وأنا فى حلم وقلت للظابط :

- أخذت ضربة شمس وكنت عند الأستاذ السيد أحمد قريبى فى المنشية وأول ما تحسنت جئت على طول.

أخذ الظابط يشتم ويسب فبكيت فصرفنى من أمامه فذهبت إلى العنبر ونمت كالقتيل فكتب الشاويش عبد الباسط تقريرا بأننى لا أحضر الطوابير فدورنى مكتب فقلت للظابط إننى تعبان فحولنى إلى العيادة فأخذت أسبوع راحة وحبوب فيتامين، وكنت أحلم بها ليلا ونهارا وأقول ياربى سبحانك، ممكن يحصل ما حصل أم أنه حلم؟

وكنت أحسب الزواج مثل هذا ولكن ظهر أنه طين وزفت وقطران.

المهم كنت أنزل عليها كلما حرقنى الكيف أو قلت الفلوس، وأصبح عندى بنطالون وبدلة وكل شىء وتعلمت

أسمـاء الأكل والشرب وأسمـاء الأوضـاع وكنا لا نفـارق بعض أبدا، حتى التليفون كانت تكلمـه وهى على حجرى أو تحتى :

وفى يوم قالت : - أسافر اليونان شهرا ومعك ذوريتا، فقلت لها وأنا أحضنها.

- لا دوريتا ولا غيره أنت وبس.

قالت : - كويس لكن ممكن أقضى وقت جميل معها.

قلت : - أنا فى الجيش حتى تعودى.

المهم قضينا ليلة عجيبة ولا فى الأحلام.

قال شكرى : - سبحان الله، والقشف والجرب الناقش جتت أهلك، والشقوق التى ينام فيها الفار، كل هذا لم يجرح جسدها الملبن؟

قال قط : - هذا هو سر الإعجاب، أنا خشن وهى ملبن، الفهم بعيد عنك.

قال الجد : - أنت تور تدور فى ساقية نسوان وسخة، ومع المرأة ومع صاحبتها شغل حميد.

قال قط : - لا والله يا حاج أنا ولد أصيل ولم أدخل

بيتها إلا بعد أربعين يوما ذهبت للأستاذ سيد أحمد فقال لى انتظرنى ساعة وأعود إليك، قلت له لا أنا مسافر البلد ولن أتأخر وإذا تأخرت سأسافر ولن أنتظرك.

ترك لى المفتاح وقال لن أتأخر، وعندما أردت قفل الباب وجدت واحدة واقفة على باب شقة فيولا فقلت لها دوريتا قالت نعم.

قلت أنا إبراهيم.

وكانت أجمل من فيولا أولاد كلب صحيح.

فقالت : أهلا فيه توصية كتير من شأنك.

قلت : – فيولا موجودة ؟

قالت : – نائمة.

لم أتزحزح عن الباب ولم تتزحزح فقالت تفضل.

أقفلت شقة سيد أحمد ودخلت فأحضرت الزجاجة والمزة وسألت :

– أكلت إبراهيم ؟

– الحمد لله.

– تشرب ؟

– الحمد الله الصحة عال.

اختصار الكلام أكلنا وشربنا وعندما أخذت تتمسح فيّ وتتمحلس مثل القطط قلت لها:

– عن إذنك، فيولا لو سمحت.

– ستحضر من اليونان بعد ثلاثة ساعة.

لفت ذراعها حول رقبتي فخلعت نفسي وقلت لها سلمي لي عليها السلام أمانة.

قالت : – عيز أنام معك إبراهيم.

– بيني وبين الحرام ربنا.

– وفيولا؟

– والله لا أعرف.

– فيولا ستعود هناك اليونان بعد واحد سنة، لكن أنا مستمر في الإسكندرية في القنصلية وأروح يونان لزوجي كل ستة شهر.

– لك زوج يبقى بلاش الحرام.

دق جرس الباب وفتحت الباب كانت فيولا قد ارتمت في حضنها، وجاء دوري وحاولت أخذها في حضني

ولكنها لم تسلم علىّ ونظرت لى : ازيك إبراهيم كله تمام؟

ودخلت بالشنط وخلعت ملابسها ودخلت إلى الحمام وانتظرت إلى أن خرجت وقلت لها :

- عايز نتكلم.

قالت دون أن تنظر إلىّ : - مرة تانى إبراهيم.

زعلت قوى وخرجت من عندها إلى شقة الأستاذ ولكن كان الباب مفتوحا وقال لى :

- أنت سافرت ورجعت ؟

- على القهوة .

وكان دمى بناً محروقا وأنا مصمم على عدم الذهاب لهم أو النزول من أصله من المعسكر وبعد خمسة عشر يوما من رجوعى المعسكر كنا فى كمين قريب من الإسكندرية، فقلت أمرّ على الأستاذ سيد أحمد فوجدت شباك فيولا منيرا، ضغطت على الجرس فخرجت دوريتا.

- مساء الخير.

- تفضل إبراهيم.

دخلت فأحضرت الزجاجة والأكواب فقلت لها :

- فيولا.

- عنده مشوار.

أخذتنى إلى حجرة بعيدة ووضعت أمامى الزجاجة وأطباق الزيتون والفول السودانى، وكوباً به خيار وجزر مقشر فى وسط الماء الساقع.

جلست صامتا وكانت هى داخل الشقة فقمت لأذهب إلى دورة المياه فوجدتها بداخلها فخرجت معتذرا وأقفلت الباب عليها فوجدت أمامى حجرة فيولا ففتحت الباب بالراحة فوجدتها بلبوصا. وفوقها رجل بلبوص فأحسست باليتم وعدت إلى الحجرة الداخلية وأنا أريد أن أنتقم لشرفى، وجاءت دوريتا فجعلتها أسعد امرأة فى العالم وظللت معها حتى الفجر.

وبعد الظهر صحيت من النوم فوجدت فيولا أمامى وتذكرت ما حدث وكانت دوريتا غير موجودة ، هجمت على فيولا ضربا لا أدرى بما أفعله وكنت أصرخ فيها : يا خائنة، وهى تقول حيوان ، وقلت لها رأيتك ليلة أمس بنت الكلب ثم بصقت عليها وذهبت إلى الجيش.

قال الجاويش : - تأخرت يا عسكرى إبراهيم.

لعنت له العيشة واللى عايشنها وأجداده وأجداد الجيش، فهددنى بكتابة يومية غياب فرزعته علقة حتى سال الدم من كل جسمه وكنت أحس أننى أضرب فيولا.

أخذت محكمة عسكرية وتم تحويلى إلى السجن المدنى وتم رفتى من الخدمة بعد عام ونصف من السجن ثم خرجت من السجن لأسجن فى سجن زينب.

طردت من جنة فيولا كما طرد آدم، وكلما تذكرت هذه الحكايات يكبس الزعل علىّ، لكن ما باليد حيلة، عيشة وآخرها الموت.

قال حسينى : - كسبنا صلاة النبى .

قال حميد الطبال : أحلام يا جدع كل واحد يحلم على كيفه.

قال قط : - وشرف أمك الهطلة التى لا تعرف لها أب من أب أن كل ما قلته حدث يا طبال.

قال عبده : - كل شىء جايز.

قال قط : - والله أنا أفهم أحسن من أى بعض الناس

وكنت مع فيولا ودوريتا سبع.

قال قراجة : – كنت سبع وبعدين بقيت قط .

قال قط بعد أن هدأت عاصفة الضحك : – والله أنا عشت حياتي وهذا قدرى ولا اعتراض .

قال شكرى : – إذا كان ما حدث قدرك فزينب قضاؤك وقبرك.

قال محمد عثمان : – ولماذا عدت إلى السكاكرة؟

لم يتكلم إبراهيم قط البندر وسرح طويلا وتلّون وجهه بموجات أثر موجات وبدا عليه الهرم لا تعرف من أين جاءه، بدأنا نحس أن فوق رأسه عفاريت وأن ثقلا ما يكبس على رأسه ويضغط على أكتافه حتى أنه أراح ظهره إلى الجدار وبحلق فى سقف الغرفة وقال :

– الجريد المسقوف به العرش فوق جذوع النخل مرتب بحبل لو سحبنا منه واحدة تخلخل السقف ولو ضاعت جريدة لن نجد ما يعوضها من جريد الدنيا لا فى سمكها ولا قدمها ولن تملأ مكانها أبدا أى جريدة أخرى فى سقف السكاكرة.

هذا ليس كلامى ولكنه كلام الأستاذ سيد أحمد مع زملائه فى الإسكندرية، وكان كل واحد منهم يبحث لنفسه عن مكتب بعد التخرج ليعمل فيه سواء فى القاهرة أو الإسكندرية، والوحيد الذى رأى أن يعمل فى بلده كان هو الأستاذ فنحن مرتبطون بالسكاكرة.

حقيقة لم أفكر فى مغادرتها أبدا، وأزهق منها وأهج ولكن أجدنى راجعا إليها فأحس أن روحى رجعت فى جسدى.

السكاكرة هى جلباب أمى الأسمر المليء برائحة العيال والزبد والبط واللبن والعرق هى رقبة أبى المرفوعة فوق حمراء كالديك الشركسى بعد الحلاقة.

السكاكرة هى اليد التى تعطى دائما فإذا أخذت تأخذك أنت فى بطنها وتنام .

السكاكرة هى السكاكرة بكل التفاصيل وبدون تفسير.

عرض علىّ ألف شغل وشغل بالإسكندرية والقاهرة بعد خروجى من الجيش ولكن كنت أحس أنها آخر المطاف ، ولكن لم تكن شغلة الخفراء هى طريقى لأنى

مرفوت من الخدمة ولكن حصل وكأن قانونها أن تعمل فى الصعب وضد الطريق الميسر؟

سكت إبراهيم فناوله عبده كوب شاى فتناوله صامتا وبدأ يشرب فى صمت.

قال الجد وهو يتناول كوب الحلبة : - ليلتكم طويلة وكل حكاية تسحب فى ذيلها حكايات والسكاكرة بها تحت كل حجر حكاية وهى بلد محفورة زرعا من قبل الزمان القديم، ويقال إن الناس نسيت اسمها لأنها لا تستعمله فحدث ما جدده وكان هذا فى زمان الترك حيث سقى الناس جياد الغزاة الترك السكر وأسكروا الفرسان وذبحوهم فى التلالة.

وناس تقول لك إنه كان بها مصنعا للسكر اسمه معمل وكان فى الحتة المسماة واطية المعمل وكان سيدك الفرعون يسكن عزبة التل التى بها المساخيط وشجر المصعة المكتوب على أوراقها محمد رسول الله لا إله إلا الله، ولما ربك غضب عليهم من أعمالهم ياقط قام سخطهم وجعل عاليها سافلها يا شكرى وصارت عزبة التل ككيمان

فارس التى بالفيوم بينما ارتفعت معامل السكر إلى السماء واختفت بمن فيها دون أن تترك أثرا يدل على ذهابها أو بقائها.

وبقيت عزبة التل واستعادت السكاكرة اسمها القديم ونسى الناس الحكاية من أصلهــــا، وكل شىء فى السكاكرة يعود إلى الأجداد الأوائل لدرجة أننى أصدق أن أى واحد ينام مع امرأته يكون بأمر الأجداد الأوائل .

قال محمد عثمان : - أنا باشتغل فى السياحة من عشرين سنة ولم أسمع عن حكاية كيمان فارس يا جد؟

وضع عبده كوب الحلبة الثانى أمام الجد بينما قال حسينى النار يا عزيزة فأخذت الشالية وخرجت بها.

قال الجد : - كيمان فارس قرية تتبع الفيوم وهى تتبع مصر وتقع ناحية ليبيا بينها وبين قصر الحاكم مسيرة ألف يوم سيرا على الأقدام والحاكم لم يكن يسكن زمان فى القاهرة كان يسكن زمان فى (صان الحجر) وأول جزء إدارى متقدم من الدولة كان تل بسطة أو بوبسطة ورمزها القط الأسود حارس حمى الممالك القديمة ووزير

بوابات الدخول إلى مملكة المستحيل من الممكن.

وكان حاكم الفيوم ساحر والجن تخدمه وقد شيدت له قصرا وبساتين وكان فى خدمته المنجم وفاتح الكتاب وهو نفسه كان ساحرا، كما أقامت الجن له العامود الطائر، وكان يركبه ويمر به على البلاد ويتنزه فى السماوات ويمارس أعمال السحر من عليه، وكان فارس وهذا اسمه حاكما يعشق النساء من رائحتهن دون الرؤى فلو رأى جن.

وكان يركب العامود ويمر به على البلاد وفى يوم رأى على سطح إحدى السرايات بنتا جميلة ، هبط أمامها فارتعدت خوفا، ولكنه سيطر على قريتها واستطاع أن يفرض هيمنته عليها ، وبدأت الرحلات تتكرر والحكايات تزداد حبكة من أنه ابن أمير وقد اختاروا له عروسا ولكنه بعد أن رآها لن يتزوج إلا هى، كل هذا مقرون بالحب والهيام والمداعبات، والهدايا التى لا تعد.

أيام وأيام والجميلة تنتظر وفارس لا يعود وعمل القلق عمله فمنعها من النوم وشحبت ولكنها كل يوم فى موعدها

تنتظر فوق السطح في نفس المكان إلى أن هبط العامود وعليه أحد خدام فارس، وأخبرها أن فارس يعاني سكرات الموت وهو يطلبها وقبل أن يطلب الخادم منها أن تركب معه كانت قد سبقته إلى العامود الطائر فركبا حتى قصر فارس.

وفي قصر فارس كان لقاء العشق فحدث ما حدث ونزل العامود حتى آخره، وانكسر الطبق البنور وساب الدم على العتبة القزاز وعلى السلم النيلون أوراكها.

انتظمت الزيارات وبدأ الحمل يظهر والجميلة لا تعرف من أمرها مخرجا، ولاحظ والد الجميلة ابنته فسأل قارئ الرمل فقال له : - الجميلة حامل من غريب.

لم يصدق والد الجميلة ذلك فنفى قارئ الرمل ولكن الأيام أظهرت صدق القول فأعاده وطلب مشورته فقال له

- الغريب تبعد دياره عنا (ألف يوم) بالسير والتغلب عليه يكون بالحصان الطائر، ولكن والد الجميلة كان لا يصدق فكيف تم اللقاء؟

وأكمل قارئ الرمل :

- تذهب السفن إلى أول الشط وهى محملة بالقطط وبعد اجتياز النهر والدخول إلى الصحراء والحقول والقرى والمدن تطلق القطط وهى مدهونة بالقار وتشعل فيها النار فتحترق البلاد ويترك له الحصان الطائر لينتقم من الغريب.

قال فاتح الكتاب لفارس :

- تأتى القوافل محملة بالنار والموت تحملها الأرواح الصغيرة والهواء.

لم يصدق فارس هذا الكلام ولكنه فى يوم من الأيام شاهد من شباك قصره القطط مشتعلة تجرى فى البلاد فتشعلها.

وكان معه طبق المدينة المسحور فقلبه فقلبت المدينة تحت الأرض ونجت من الحريق. طار راكب الحصان الطائر مطاردا راكب العامود وكانت سرعة الحصان عالية وكانت المطاردة قاسية حاصر فيها راكب الحصان راكب العامود فوق الطبق منه وانكسرت وبهذا بقيت

المدينة التى نجت من الحـريق مـدفـونة تحت الأرض وانفتـحت الأرض كومـات وكومات محترقة هى كيمان فارس وظلت المطاردة حتى قتل فارس فانغرس العامود ساقطاً قريبا من كيمان فارس فى مكان سمى فيما بعد بلدة العامود، وعاد والد الجميلة بجيشه وقتل ابنته ودفنها فى صان الحجر. هذه هى الحكاية بالتفصيل يا أستاذ محمد.

قال محمد عثمان : - ولكن هذه القصة تصلح على عزبة التل أيضا.

قـال الجـد : - لأ كل شىء له شىء ، مـثل الحـمـار للحمارة والحصان للمهرة فإذا جاء الحصان للحمارة ولدت بغلا لا ينفع ولا يشفع.

قال شكرى : - كل بلد لها حكاية إلا السكاكرة فكأنها دفتر الشكك فى دكان الشيخ على كل صفحة بها حساب أطول من النخلة ومُرَحَّلٌ إلى صفحات أخرى تتداخل مع حساب ناس آخرين ولكن حساب مميز بصاحبه.

قال حميد : - السكاكرة كلما نسيناها وجدناها تحت

اللحاف وعلى وجوه الصغار.

قال الجد : - بالإذن.

وقام لينصرف فتفرقت الصحبة قط البندر صرخ : النهار طالع والدرك لوحده ؟

قال قراجة لشكرى : - المارد سيطلع لك يا شكرى.

قال شكرى : زمانه طلع للست والدتك.

واصلت الأصوات ضحكها واختفاءها فى شقوق السكاكرة وذابت مع ضباب الفجر البكر، بينما محمد عثمان وحيد فى الطريق.

قال الحاج عطية جد البلد : كل الحكايات التى تحكى نصفها إن لم يكن كلها تلفيق فى تلفيق، وكان جدنا الأكبر يحكى لنا عن نزول القمر إلى منازله وصعود الشمس وكسوفها وسبب ذلك الكسوف؟ وأشياء كثيرة لا تعرفونها.

مثلا من منكم يعرف سبب وجود سرة البنى آدم فى سيدنا آدم؟

رغم أنه خلق من طين وطبعا لاتقولى الخلاص يشبك ولا غيره؟

نزل على الجميع صمت رهيب وكبير كالجبال وسكنت حركة الأصابع التى تتحرك بين أصابع الأقدام وارتفعت بها الأيدى للهرش فى الأقفية، وانحنت الصدور على الركب، وحار الجميع فى وجود إجابة فقال محمد عثمان :

– والله يا جد سأقول لك بالتخمين، ربما أن ربنا

خلقنا على أكمل صورة هكذا علشان كل النسل والذرية تكون تمام، والسرة فى الرجل والمرأة والبزّ فى الراجل دليل على أنه والنسوان من أصل واحد هو آدم وحواء ، ولكن تختلف الحاجات حسب كل نوع.

قال قراجة : - يعنى يا جد احنا مخلوقين من طين بصحيح؟ والبقر والجاموس والحمير والطير والدور والشجر كله من طين؟

قال حسينى : - المسألة صعبة على الآخر وأنت أكبر من أجدادنا وسيد العارفين.

بص شكرى إليهم وقال : - والله العالم فاضية، مفيش حد سأل السدة الشتوية باقى عليها كام يوم، وكل واحد منكم شاغل نفسه بحاجات غريبة ممكن تلخبط العقل، وإذا الواحد سأل طوال النهار ممكن يكفر أو يلخبط دماغ مائة شخص، وكفاية علينا قراجة كل يوم يجلس عند العرب ويعود لنا بكلام فارغ، الخلاصة، أن ربنا خلق آدم وحوا عنده فى السماء ونزلهم الأرض يعنى لا مخلوقين من تراب ولا من غيره، يمكن تراب الجنة.

قال قراجة : - من عنده؟

قال شكرى : - من عنده يا حمار ونزله على الأرض.

قال قراجة : - من عنده، يعنى خلقه من عنده وبعدين دلاه بحبل، وكل المخلوقات نازلة متشعبطة من فوق ثم إن الحكاية دى حصلت كام مرة؟

قال حسينى : - سبحانه يقول للشىء كن فيكون.

قال شكرى : - ربنا خلق الطير والحيوان والآدم بالإرادة.

قال قراجة : - يعنى ربنا خلقك؟ وخلق أمك وأبوك ؟ طيب أبوك كان بيعمل مع أمك إيه إذا كنا احنا نزلين من السما، وعلى كده الواحد الصبح يقوم يلاقى العيال والحمير والبقر ماشية فى شوارع السكاكرة ملهاش صحاب، ثم أعرف ولدى من ولد التانى إزاى يعنى أى عيل يمكن يكون ابن أى واحد.

قال شكرى : - والله أنت لا تفهم شىء، يا بنى آدم ربنا خلق أبونا آدم وستنا حوا وبعدين جوزهم لبعض وحصل الخلف، ويعطى لمن يشاء ذكورا أو إناثا.

الجد : – هس بلاش لخبطة فى الكلام.

ربنا لما أحب أن يخلق الدنيا مد يده وأخذ حفنة من الطين وواحدة من الرمل وكوم زلط وكوم حجارة وخلط كله مع بعضه وعمل البنى آدم علشان تلاقى واحد أبيض والتانى أسود والعنيد واللين وكل واحد بيتصرف حسب خلطته وبعد ما أتم تشكيله من هذه الخلطة وكان هذا آدم حطه فى الشمس علشان ينشف قام إبليس فات لقى آدم فمد يده ونغز مكان السرة وسأل، ما هذا يارب؟ والسرة مكان نغزة إبليس علشان كده احنا بنقول اللهم امنع عنا نغزات الشياطين.

قال له الله : – خليفتى فى الأرض ومن يومها وإبليس عدو البنى آدم.

قال قراجة : – الحمد لله أن أصبعه جاءت بعيدا عن العين.

قال محمد عثمان : – هل إبليس يقدر أن يمد يده على شىء دون إرادة الله؟

قال الجد : – كل شىء بالإرادة علشان تبقى فيه دنيا،

وربنا مسخر كل واحد للتانى مثلا مسخر حامد دائب الشكوى للبلد كلها.

قال محمد عثمان : – حامد من ؟

قال قراجة : – حامد ابن عزيزة كاتب الشكاوى.

قال شكرى : – عنده طابور ورق فى الشباك مغطى عليه بجرنال قديم وعشرة أقلام كوبيا تخبط على الشباك يقولك ادخل.

تقوله والله الموضوع كيت وكيت يا حامد يمسح صلعته ويهرش ويقول لك : معاك معسل؟ تشترى المعسل والشاى ويقعد يشرب من معسلك وشايك ولا يعزم عليك علشان بيفكر، ثم يقول لك مر علىّ بعد صلاة العصر، وتذهب إليه يكون مجهز الشكوى ويقولك الورق والقلم ومشوار لهيا ومصاريفى خاصة أننى اشتريت لك عشرة ورق أفرخ معتبرة وماركة الهلال ويكون كتب بخط جميل الشكوى فتتأملها وأنت لا تعرف فيسحبها منك ويطلب ثلاثة جنيهات. وهو الذى يكتب الشكاوى المجهولة، وهو كان صف ضابط فى الجيش وعاد من اليمن، وكتب إلى رئيس

الجمهورية وجميع الناس الأكابر فى مصر وكان يوقع باسم مواطن مصرى، وطنى جريح ومهان ، أو وطنى ورجل محارب أدى واجبه، أو حامد دائم الشكوى، حتى صرف معاشا يعيش منه الآن وصار اسمه حامد دائب الشكوى.

قال محمد عثمان : - لا يضيع حق وراءه مطالب.

قال حسينى : - لأ يضيع ولكن وراءه حامد لا يضيع أبدا، الولد له كلام يؤثر به على الحكومة وهى هبلة تصدقه مثل (وأعول أولاداً صغاراً كالحشيش الأخضر) مع أنه ليس له أولاد أو يقول (أنتظر الرحمة من قلب سعادتكم الرحيم ولا سيما أن خير سعادتكم يغمر الجميع) كأنه بيتكلم عن خرارة الجامع الطافحة على الكل أو يقول (طمعا فى التعطف والنظر بعين العدل)

وهذا كلام مثل كلام الشحاتين والمواوية وهم يحضرون فى موسم المحصول ويقول لك :

(الله يعمر بيتك يا حاج على، بيتك مفتوح فدان للجعان والعريان ، الخير اللى يشر من كفك يغرقنا

قاعين على خير محمل جمال شايل بن عزك)

قال شكرى :- مضيفة يعنى أو بيت عز ؟

قال قراجة : - يا أخى لا تقاطعنى فى الكلام عيب الرجل ولا تعيب كلامه، المسألة مش مضيفة المسألة دليل على الكرم، وعلى كل حال قدامك مليون سنة لتصبح حمارا، وكله من الطين، ست الناس من الطين وفيولا قط البندر من الطين.

قال محمد عثمان : - أكمل يا جد حكاية السرة.

قال الجد : - لا توجد حكاية كاملة كل واحد يقول وبعدين غيره يكمل وتصبح حكايات ليس لها صاحب ولا أول لها ولا آخر، مثل كل شىء فى تغيير وغير مستقر.

تأمل محمد عثمان الكلام وسرح كثيرا وجاءه صوت شكرى من بعيد ياقراجة عايزين نشرة، الأخبار والكلام بتاع الحرب.

قال حسينى : - بلاش كلام فى السياسة كفاية ما جرى لأحمد.

والله الولد بن بغل وهو ماسك الأمن فى مصر يحكى

ويقول :

شاهدت أحمد يا نضرى مربوطا من أرجله ويديه ومغمى مسحوبا من قفاه مثل بهائم السلخانة وهدومه وسخة وشعره طويل ومنكوش ووجهه وارم من الضرب ونحيف خالص مثل أنبوبة القلم الجاف، وكان هذا فى سجن القلعة وكان فات أسبوع على حفلة التشريفة يعنى استقبال طلبة مظاهرات الجامعة وأحمد عامل لك فلحوس ونزل غنى فى ساعة الضرب لكن بعد كام شومة كان نائم على الأرض لايحط منطق، وبعد هذا كان يخرج للتحقيق هو وواحد مغنى ضرير وواحد مجرم فى الكلام شاعر لكن ولا بيرم التونسى كان بيقول الأغانى وعمك المغنى يغنى وأحمد لامم العالم حوليه وهات يا كلام وهات يا غنا وكل أصحابه سافروا وسابوا الجمل بما حمل ، المهم أن أحمد مابطلش كلام حتى فى السجن قاموا علقوه من أيديه على الباب ومن يومها وإيديه ضعيفة ، وهو كله على بعضه نحيف.

قال الجد : – الدهب بالجرام.

قال حسينى : - أحمد اختار طريقه من بدرى.

قال محمد عثمان : - لو فعل غير هذا كان بقى واحد تانى، بالاختصار احنا مسموح لنا بالغلط لكن أحمد لأ.

قال الجد : - قبضنا صلاة النبى، كفاية تشريده وتعب أولاده واحد منكم يشيل يا أخى، ثم إن لم يمر على بيته واحد منكم أو من غيركم وترك للعيال عشرة جنيهات أو شوال أرز، مع أن أحمد عمل مع أى واحد منكم الواجب فى كل مناسبة.

قال قراجة : - والله ابن بغل يقول إن عيب الأستاذ أحمد الشك وعدم اطمئنانه لأحد.

قال محمد عثمان : - الأمان إذا كان فى غير محله دخلت الخيانة، والثقة الزائدة تشجع على الخيانة، ومن أمنك لا تخونه حتى لو كنت خاين.

قال شكرى : - وابن الكلب حنكش مثل واضح على الخيانة.

قال الجد : - العايط فى الفايت نقصان فى الدين، ولد يا قراجة فيه فرح قدام بيتك.

قال قراجة : – كلكم معزومين عندى يا جد ، وتتفرج على محمد ولواحظ والسيدة وسمية.

قال الجد : – لأ يا فالح الغوازى سماسم وبكرية وشلقان، أنت عمل تفتى من الصبح كأن السيد أبو سعيده وعبد الله الهادى، لما ذهبوا إلى دكان عبده أو نجم وكانت الأرزاق قد ضاقت بالناس فقلّب عبده موازين حياته وأخذ يشترى الفاكهة من ههيا ويبيعها فى السكاكرة فوقف السيد أبو سعيده على الأقفاص وقال :

– الخوخ صغير قوى يا عبده؟

فقال عبد الله الهادى : – خوخ؟ يابنى قدامك برقوق ضرورى تعمل مفتح.

والحقيقة أن الأقفاص كان بها جوافة، لكن تعمل ايه كل واحد ودماغه.

قال محمد عثمان : – شايف يا جد كل شىء يتغير فى السكاكرة.

قال الجد : – ما باليد حيلة كل شىء يتغير حتى نحن.

قال حسينى : – لكن أحمد أبدا.

قال حميد : - يا سيدى تغير وسافر.

قال محمد عثمان : - ياريت يكون سافر لتحسين الوضع، ولا أظن أحمد سافر ليعرف أو يتعلم .

ران صمت على الجميع وتخيل أحمد وهو بعوده المشوق يخطر أمامهم فى شوارع السكاكرة والسكاكرة تداعبه وتقول له ادخل قلبى لك مكان، تذكر الآخر أحمد فهو تذكر لكل ما هو جميل، أحمد الذى يغرس الفرح وشجرة الحياة فى كل مكان.

رأى الجد، أحمد وهو ممتد من قبل ومن بعد.

ورآه حميد وهو يفتح صدره ليعطى قلبه للناس.

ورأى حسينى أحمد فرأى السكاكرة كلها فى وقت واحد.

ورأى قراجة أحمد وهو يكتب اسم السكاكرة واسمه فى سماء الدنيا.

بكت زوجة حسينى وقالت : - ربنا يكتب له السلامة ، ويعطيه على قدر نيّته ، ويلم شمله على أولاده وزوجته ، والله عندى أعز من الدنيا.

نزل بكاء غريب على الجميع فقال الجد :

- خير يا جماعة، لا لزوم للبكاء، أستغفر الله العظيم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(وفرد كفيه داعيا)

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

اللهم عوضه عنا خيرا ، وبدل خوفه أمنا، وازرع محبته فى قلوب الناس.

وآمن سفره وعودته، وارزقه رزقا حسنا.

وعوضه حسنى عن ألمه ووجعه.

واجمع شمله وأهله.

وارزقه الصحة والعافية وطول العمر يا أرحم الراحمين.

فانطلق صوت آذان الفجر مع أصوات الجميع وهم يأمّنون معا.

آمين.

(٩)(أ)

ما كنت أعلم ما مقدار وصلكم

حتى هُجرت وبعض الهجر تأديب

هل مكتوب عليّ عدم الاستقرار؟

ما إن تحط رجلى على أرض السكاكرة حتى أتذكر السماعنة؟

الجلسات مع قراجة وحنكش والقمقام وحسينى وعبده وإبراهيم وحميد كلها حكايات ساعات تدخل القلب وتشرخ وساعات يكون دمها ثقيل، ولكن دائما تأخذنى إلى السماعنة.

والسماعنة مازالت كما هى، قطعة أرض منزوعة من الصحراء من قلب الجزيرة العربية، ومرمية وسط الحقول والخصوبة ليس لها أى امتداد هى واحة صحراء وسط الحقول ورقعة صفراء كالجرب وسط النماء، أرضها رملية غير متماسكة ولكنها أرض، وكذلك محاصيلها ضعيفة

السمسم والدنيبة والفول السودانى والبطيخ والشمام، ولا يوجد على مرّ التاريخ عربى واحد يعمل بالزراعة ولكنه يزرعها بالناس بالمرابع وهو الذى يقوم بزراعة الأرض مقابل ربع المحصول.

نحن السادة نجلس لنشرب القهوة السادة ونتكلم عن الحكمة وعلاج الأمراض ونرتجل الشعر أو نردده ونعشق النساء والنار والشطرنج والسيجة والخيل والرصاص إطلاقا واقتناء، والحشيش والأفيون، والتجارة، وزراعة القنب والخشخاش فقط .

مازالت البيوت كما هى حوش بلا سقف لنرى السماء ونحن نياماً وحجرات للأغراض والنساء ، ولا يوجد عربى ينام إلا والنجوم فوق عينية، فرشة البيت هى الأحمال الصوف، والأكلمة غطاؤنا وفرشة الضيف.

النار فى الحفر طوال الليل وعليها بكارج البن ، والقهوة سادة وما يحيرنى أن بعض الناس تشرب القهوة بالسكر ، ولا يمكن للقهوة إلا أن تكون سادة أو بالبرندى أو بالكونياك وهذا شىء جميل، وفى البدء كانت القهوة سادة .

سبحان الله على البشر وعلى أفعالهم يا أخي.

عندما تنحط رجلي وتنغرس في رمال السماعنة، لا أرى السماعنة ولكن أرى الأردن، أرى رحلتي وخيانة إبراهيم ، أرى معرض الرسم وعملي في شركة المعمار والتجهيزات الهندسية هذا هو معرض الرسم الثاني في حياتي بعد معرض فرانكفورت.

هذه صورة ميسون المرسومة والمصورة والكولاج ، وهذه عين ميسون وشعرها فقط وهذا جزء آخر من شعرها يحسبه المتفرج حقل قمح وصحراء سنابل، وهذا هو أنف ميسون وحاجبها، وبلعبة الضوء والظل صارا نخلة عربية الحزن.

هذه أكوام الزهور وباقات الورود تفترش المعرض، وهذا هو دليل اللوحات بالأرقام والأسماء.

هذه صورتي وخلفي عيون ميسون وأنا ألبس حلتي الكحلية ورباط عنقي الجلدي، وقميصي البمبي الخفيف ورائحة البرفان والورود لابد أنها تغرق المكان ولكني لا أشم الروائح، والناس تتوافد على المعرض، وأنا يأكلني

القلق، بلا أخ أو حبيب، والأصدقاء وقفوا معى أمس أثناء وضع اللوحات أما الآن فلا أحد منهم يهل، شاركونى فى ضبط الإضاءة واختيار الموسيقى وترتيب المكان.

هذا هو صوت نفير عربة إبراهيم أسمعه وكأنه يتكلم ويحذرنى من هذا الإبراهيم، يدخل إبراهيم وعائلته ويسلم ويقبلنى فأقبل أولاده ويد زوجته وأنحنى لهم، وتلال من الزهور فى كل مكان فآمر بوضعها خارج المعرض وأترك الناس تتجول فى المعرض، ولكن إبراهيم ليس هو إبراهيم إنها مشكلة ولا أريد مشاكل فى هذا اليوم بالذات. ماذا بك يا إبراهيم؟

ماذا تريد بالضبط عند زوجة وعشيقتان وعربة وفيلا وأولاد وراتب ضخم يكفى لاحتلال قلب بنت الملك نفسه؟ وراتبك أكبر من الراتب الحلال لأى رئيس بنك؟

هل تحسدنى على تشردى فى بلاد الله خلق الله؟ أم على الخلاء الوسيع الذى أملكه؟

يدخل رجل عربى كأنما يسير على قلبى يتسحب إبراهيم بهدوء ، والرجل معه عشرة أشاوس.

– أستاذ محمد؟

– نعم.

– تكرم سيدى، اشترى المعرض كله.

– المعرض ليس للبيع، المعرض هدية لصاحبته.

– أنا والد ميسون.

وقعت فى بئر الخوف والحيرة والندم ونبت الدم والحلم من تحت أقدامى، وارتفع إلى أعلى رأسى، فأنا أعرف ماذا تعنى عائلة ميسون، أعرف الرجل الجبلى والبدوى، وماذا يعنى الشرف بالنسبة لهم.

كيف عرف الرجل بالمعرض؟

هل يمكن أن تكون ميسون هى التى قالت لهم؟

ولماذا لم تحضر هى ؟

ممكن بصراحتها المجنونة أن تعرضنى للموت، فهى التى رفتت مرتين من الكلية الإنجيلية وعادت فى الأولى بأمر ملكى وفى الثانية عملت بالصحافة.

ففى المرة الأولى سألت المعلم كيف يمكن للرب العادل أن يتفل عن يساره، هل يمكن للرب أن يتفل على مخلوق

وهو الذى كرّمه؟

ورفتت وعادت بأمر ملكى.

وفى الثانية كان الاعتراض أكبر فأخذت أوراقها من عند المسجل وعملت بالصحافة.

جاءنى بشير الإنقاذ، فقد دخلت ميسون إلى المعرض فتحركت الصور وعاد كل إلى مكانه فشهق الرجل البدوى وقال : - فضحتنا يا ولدى.

قلت : - المعرض لكم.

تركت المعرض وعدت إلى بيتى وأخذت بعض ملابسى وذهبت إلى فندق (.....) وعندما دخل الثلث الأخير من الليل كتمت غيظى وبحثت عن النوم فكان ما يزال طيرا يطير فى سقف الغرفة فناديت عليه.

- تعال يا نوم.

ولكن النوم لم يأت وظل يراوغنى حتى انطلق آذان الفجر فلم أحس إلا وأنا على السرير بعد ظهر اليوم الثالث.

قمت من النوم مصابا بالبرد فأخذت دشا باردا

ولبست ملابسى وخرجت إلى الصيدلية فأخذنى الحنين إلى البيت ، وعندما دخلت من الباب أحسست بأنفاس الغرباء والتهديد فأخذت ما بقى من حاجياتى فى حقيبة كبيرة وتركت رسالة لإبراهيم.

العزيز إبراهيم

مضطر للسفر سأرسل لك العنوان :

استلم مستحقاتى بالشركة ومكافأة آخر الخدمة (عشرة آلاف دولار) وبع السيارة وحول المبلغ على العنوان الذى سأرسله لك.

سلامى إلى هيفاء والأولاد

محمد عثمان

حجزت تذكرة إلى النمسا فمنها جئت وإليها أعود، ولكن فى المطار قالوا السفر بالنسبة لك إلى القاهرة فقط.

ركبت شيطانى وأعدت التذكرة بخسارة ١٥٪ وظللت كما أنا حتى تم ترحيلى إلى القاهرة فى أتوبيس عن طريق العقبة، وأخبرنى مرسال من طرف ميسون ألا أقاوم الترحيل لأنهم كانوا سيقتلونى لولا هَدَّدَتْهُم

بالانتحار إذا أصابنى مكروه.

أى مكروه كـان يمكن أن يحـدث بعـد أن أطرد من أرضك يا ميسون؟

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
ألا تغادرهم فالراحلون هموا

أنت التى غادرت قلبى يا ميسون.

دخلت إلى القـاهرة ولم أذهب إلى السـمـاعنة أو السكاكـرة ولكن إلى الاسكندرية يومـا واحـدا ثم إلى السمـاعنة من الرمال وإلى الرمال أعود لأجمع مـا تبقى من فصول الرمال التى كتبتها وكتبتنى بالأردن.

لم يعد باقيا من السماعنة إلا القليل، تعود ميسون معى حلما على سلالم الجامعة وفى الواحة فى أعلى الجبل،

أعوذ بالله من ظلم الإنسان.

لماذا لم يضربنى أبوها بالنار؟

هزائم تلو هزائم لم أختر قدرى فلماذا يختارنى هو؟

كـأنما صـوت يهمس فى أذنى لو أقفلت البـاب عليك

فسيحدث لك ما نريد.

أخذت شقة فى شارع الهرم وكتبت إلى إبراهيم بعنوانى وإبراهيم لايرد ولا يصد، ووضعت باقى ما معى بالبنك وأعيش من عائده النتيجة لا إبراهيم ولا أى شىء ياليل كفى عذابا واسحب عباءتك السوداء وارحل طالما ليس بها النوم.

آه.

سافرت إلى ألمانيا ومنها إلى النمسا وكما هى العادة فهى البلد الذى لم أحفظ شوارعه ودائما أدخلها غريبا وأراها مضببة كالحلم.

تعال يانوم

رمال واسعة واسعة وأنا بها شجرة من الحنظل تطرح ثمارها الخضراء المرة والتى لا تعرف هى أن بها شفاء، تحركها الريح وتلقى بها بعيدا على تلة أو تبة رمل، وتكاد تجف ولكن جذرها يمتد ويتصل بالأرض وتبقى متشوقة إلى المطر والبدو والرمال وغربتها فى لظى الصحراء غربتى بين الناس.

أنا لا أكذب مطلقا ولكنى أسرف فى الوصف وأكمل الأحداث من عندى لتصير جميلة حتى يستمتع من يسمعنى.

لا أعرف ما الذى يمكن عمله بعد هذه الرحلة الطويلة والتى لم أحقق منها أى شىء سوى مالاً يأتى ويروح ولذات عابرة ولا شىء يدوم ، لا بيت ولا زوجة، ولا أولاد.

صوت أحمد يهزمنى دائما.

(أنت بدوى، لابس قشرة الحضارة، متنقل دائما، لا فكر ولا منهاج، لابد من نقطة انطلاق، قضية تؤمن بها تحاور حياتك وتحاورك، مكان ثابت تتحرك حوله بعدا وقربا الحضارة بنت الاستقرار ، فكيف ينشئ حضارة من ليس له عنوان ثابت؟)

شكرا يا أحمد ، وشكرا الليل والنهار ، وحرام عليك يا نوم.

(٩) (ب)

أنت أيها الجاموس الأسود

أيها الأفريقى الغارق فى زيت التروس

لتسير آلة الحرب بيديك

فتحصد إخوانك

***

آلة الحرب لها أبواب كثيرة

تدر دمك ما لا فى جيب الرجل الأبيض

وباب يطلق الدمار على أهلك

وباب يحولهم أسرى ورقيق

وباب للعاهرات من أهلك

أيها الغارق فى مستنقع الدم

ثمار أرضك موتك، معادن أرضك موتك

اصرخ أيها الجاموس الأسود

واضرب بقرونك خوفك واصعد على قدمين واقدح

الشرر

وأطلقها «لا»

أطلق روحك معها

حتى تعود أفريقيا من رحلة عهدها حرة

***

آه أيتها المرأة الثكلى

يا من تنجبين العبيد والأيتام

وأبناء آلات الجنس والحرب

ودمى الملاكمة والمصارعة

لتفريغ توتر الرجل الأبيض

وأنا جزء من هذه الآلة

لكني أصرخ

انهض أيها الجاموس الأسود

....

كان صوت لي مارفي الزنجي يهز جدران القاعة والحانة والمسرح أينما غنى وتألم حاصروه بالخدر فصار يغني تحت تأثير المخدر وينوح فيهز جدران العالم .

قال لى صديقى أحمد عبد الرحمن الذى يعمل فى مجال الكمبيوتر ونحن نستمع إلى (لى مارفى) فى ألمانيا وفى كثير من حفلاته أنه دون أن يدرى مشارك فى اللعبة وهو الآن يعتصر كالليمونة وسيلقون به قريبا إلى سلة الزبالة.

إن حرية النباح تظهر القوى المستعمرة كقوة ديمقراطية بينما ما تريده يجرى على قدم وساق.

(٩)(جـ)

ما بين رفيف الفراشة وضوء الشمعة أدخل من أول فتيل الشمعة واتجه إلى الخارج إلى آخر درجات الألوان فتهتز روحى من منطقة الهواء المتذبذب من رفيف الفراشة فأهتز مع رفيف الأجنحة وأستقر فى المابين.

وأنا فى لحظة الاندماج بين ضياع المنطقة الأولى من جناح الفراشة والمنطقة الأخيرة من ضوء الشمعة، ولكنى مرتكز بكل شبقى على امتداد الشمعة بعمق داخل هذا المخروط المقلوب أسبح محشورا فى لزوجة شبه تينية، وأمد جناحين كبيرين على باقى المخروط فتتلامس أجنحة الفراشة معى فأجن باللذة وألم التوحد فى الاندماج. هو دائما يأتى إلىّ متسولا، ولا أدرى أين فروسيته، وأين فرسه وسيفه؟

أسود الوجه أجعد الشعر كل القبيلة حمراء الوجوه عربية الأصل فمن أين أتى ابن ذبيبة؟

على البعد تمر عباءة معطرة برشاقة قدمجنون، لا تعرف هل هى فى امتلاء المرأة وجمال امتلاكها وامتلاك كمية وافرة من اللحم فى المراق والسرة، كمية من اللحم مشحونة بالتوثب والنفرة تحت أصابع الملامسة وانفتاح أشيائها لك وردة من نار ولزوجة؟ أم احتواؤك بين ردفين كردفى حصان وتنام بينهما بعد إجهاد يعيد فيك الحياة والنشاط، أم أن دقّة عود الأراك ومسحة الأبنوس الألمع القوى، والصقل الدائم للأوراك فى هضيم من الكشح وامتلاكها كلها بين يديك تفردها وتَنْشُرُهَا وهى طيّعة تتشكل تحت محورك وحول محورها هو ما يجعلك مجنونا برشاقة هذا القدّ ونفور جسد ببروزاته لا تقدر على السيطرة عليه؟

لماذا كلما أتى إلىّ وجدته رأسا بلا جسد وقلبا بلا أعضاء ووجهه الحزين الضاحك ليس فى منطقه محايدة ولكنه فى منطقة احتمال يقول لى ظلمنى قومى وشهوة النساء فىّ كلما سألته عن اسمه ذكرنى به فنسيت.

دائما نساؤه ظلال معكوسة فى مرايا صالون (شالو)

فى باريس صـديقى الذى يعـمل فى المخـابرات وتجـارة السلاح وكل أصناف المخابرات ودولها عنده.

وفى آخر الليل يمد الأسود يده ليأخذ القلب والرأس ويهمس:

– هيا يابن ربيعة

– هيا يا عنترة

وتجرى حولهما النساء مغادرة المرايا فيتردد الصوت والصـدى والهـواء البارد فـأنشـده دمى فنبكى أحـبتنا ويتعالى صوت لى مارفى وأنبوب المخدر فى رأسه.

«مرحى أيها الجاموس الأسود»

فنخـجل من أنفـسنا، ولكنى بحكم المكان من آسـيـا ولست من أفريقياولكنى أخجل فك قيدى يا (لى مارفى)

أرانى أسـيـر على رمـال لا أول لهـا ولا آخـر وحـيـدا وأقـدامى تغـوص فى الرمـال ولا تتـرك أثرا على الأرض فأصحو فزعا.

وأعرف أن عمرى فى نهايته.

(٩)(د)

الثلوج تغطى كل شىء، والضباب طبقات تسد فى وجهك المسير وتمنعك من الاختراق وهى تلفح وجهك وأنت متدثر بالبالطو الجلدى ومستدفئ بالفرو الداخلى وتنام داخله وأنت تسير فى الشارع وتنسى إلى أين أنت ذاهب.

* أحمد عبد الرحمن ما زال نائما.
* الجرائد مازالت أسفل الباب.
* زجاجات الحليب مازالت أمام الباب.
* البيض المسلوق مازال فى الغلاية ساخنا.
* والبرندى مع شاى الصباح وقهوته غذاء روحك وعصب مزاجك.
* خروجك إلى شارع انسحب منك من أقل من ساعتين وكأنك على موعد هام أنت ذاهب إليه.

هل هذه هى الشوارع التى كانت تسير بك منذ ساعات وتزدحم بالخارجين وعلى طبلات آذانهم صوت لى

مارفى؟

آه ... آه

أيتها الأم الثكلى

جميلة كالأبنوس

ووجع كالأفيون

وقاسية القلب أنت

وعارية كالحقيقة

ولكنك بلا ذراعين

فلا تقاومين مغتصبيك

هل تستمتعين بالخطيئة؟

أيتها الأم التى فى دمى تقطر سوادا وعنبراً

نحن نقطر حزنا ودما

وننتقل بك وبنا ومن تحتنا البحر

ولا نقول لا

فتتشقق جلودنا عن الياقوت والناس ونغترب

وتتقابل جثثا فى صناديق الزبالة

أبناء من نحن مغتصبيك يا أفريقيا؟؟؟؟؟

والله يا لى مـارفى أنتم أبناء أفـريقـيـا أم أنا فـابن الجزيرة.

- هل أذهب إليها الآن؟

لماذا يصرخون ويضربون الأرض بأقدامهم؟

هل هؤلاء بقـايا مظاهرات الطلبـة فى باريس ١٩٦٨، ١٩٦٩؟

هل هم بقايا مظاهرات الجنس فى أمريكا؟

ربما إباحة الجنس الأسود؟

- هل أذهب إليها الآن؟

لونى الأبيض يعصمنى من السباب

لماذا صرخ مدير المسرح فى تلك الليلة فى (لى مارفى) وفرقته قائلا (سلالة القرود)

هذه الليلة الوحيدة التى خرجنا فيها أنا وأحمد عبد الرحمن وحدنا ولم نذهب مع لى مارفى.

ومنهم كنت أحس فى تلك الليلة أن الأحـزان بحـجم امرأة كبيرة تفرد عباءتها فتشكل أفريقيا.

وأنا أتأملها وتحاول هى أن تسكن قلبى فلا أستطيع

السير بها.

أشرب الويسكى فى أقرب بار فتظهر رمال الجزيرة امرأة بيضاء تتقلب عارية على ظهر جواد أبيض وثياب وخيام وقصور ونخيل فأجرى على رمال الجزيرة صارخا عاريا إلا من حطة على الرأس وقفطان لا يلم البدن، وأدخل خيمة لأضاجع فيها ملايين النساء الجميلات ولكنى لا أرى فيهن حمرة الخجل أو دماء البكارة، محدودة هى المعرفة إذا كانت من طرف واحد ولهذا فإن دماء العذرية شيء غيبى تأتى به النساء وقتما تريد حتى بعد البطن العاشر.

- هل أذهب إليها الآن؟

يالروعة الملكة الفاتنة الجالسة على عرش حجرى العارى

النساء لهن القدرة ولهن المقدرة، وهى بئر عميق قد يبدو ماؤه صافيا ولكنك لن ترى إلا ما تريد فقط، وأصبحت الدماء الحقيقية هى ما يراق على الصحراء.

- هل أذهب إليها الآن؟

الصحراء بيضاء كالثلوج وأنا يأكلنى الشبق.

– هل أذهب إليها الآن؟

صرخاتها فى ساعة النشوة تزلزلنى.

– فهل أذهب اليها الآن؟

الثلوج تنبت بآلاف الملونين من كل مكان فى صباح يغريك بالفعل فى دفء الفراش، بلد جميل ونساؤه أجمل، ويحملون صورة (لى مارفى).

يسدون الطريق ويصرخون لن أذهب إليهم.

فهل أذهب إليها الآن؟

أفريقيا عبيد وأقنان وخدم وحشيش ويوميا سلاح وانقلابات واغتيالات ولا غضب فهل أذهب إليها الآن؟

أفريقيا لا تغضب لأنها تعرف أنها جزء يراد بها وليس فاعلا فى لعبة السياسة والديمقراطية والجنس والحرب، وضرورة قبول الآخر هى لعبة رجال الدين أن الحرب ضرورية للسلام.

لعبة ارتفاع سعر الآلة وخفض سعر العامل والعمل.

لعبة امتصاص الطاقة بالنساء والمخدرات واستنزاف

الثـروات وتعـيـين الحكام بالانتـخـاب ولابد أن يكون الانتخاب حرا.

هى لعبة التميّز بين الشعوب وتسطيح تراثها وهويتها، وتصبح اللغة واحدة لغة القادر وصاحب قربان الرب / الاختيار النووى / فهل تملك أفريقيا إمساك سروالها التحتانى أم أنه مثقوب ولم يبق منه إلا التكة؟

- هل أذهب إليها الآن؟

عناوين الصحف تتصدرها صورة لى مارفى.

- هل أذهب إليها الآن؟

إن كان لابد من الارتباط فلا ارتباط بغيرها

// اغتيال المغنى (لى مارفى) مع مجموعة من أمهر العازفين ذبحا //

آه .. أيتها الأم الثكلى

ابك على أولادك المجانين والنجباء

الذين جلسوا على فوهة البركان فأكلتهم الحمم

ذبحتهم فى السرير وهم يصرخون

أفريقيا ، أفريقيا

ولكن متى كانت تسمع

لابد أن هناك فرقاً بين استئناس الأسود

والجلوس على فوهة البركان

أفريقيا مربية الدجاج، صانعة عقود الخرز الملون، خادمة الحرب، إيماؤها خدم لحرائر العرب، آه.

أمُّ جميع اللصوص وقطاع الطرق والزناة والقوادين والثوار بالأجر أو الذين يستشهدون من أجل الاستشهاد فقط دون مبرر.

أين هى من الجزيرة البيضاء بنبع ماؤها الزلال وبترولها الهوان، مهد الرسالات والمرسلين.

نجلس ساقا أسفل الساق ويدور الساقى ، ويأتى إلينا الحجيج وهم صاغرون.

ويأتى إلينا الكافر صاغرا للبترول ويسرقنا ولكن لا حرج، هم الذين اكتشفوه وأخرجوه ماذا سنفعل به إذا لم يأخذوه؟

هم أولى به ونحن أولى بالدولار.

يأتى إلينا العزيز والمحتاج للعمل لدينا خدما فى

البيوت والمصالح نقبل من نشاء ونرد من نشاء.

نلبس ملابس السلف الصالح ونتمتع بما ملكت اليمين واليسار من النساء، إلى جانب النساء اللواتى فى خيامهن.

الجلابيب على اللحم مسدلة، والإثمد يملأ العين ليسيل لحظة المجاهدة، الوشم على اليد والقدم وأنا أرسم على أجساد النساء اسمى بماء القلب، والحناء رسوم ونقوش على باقى الجسد صفحة نادرة من المخطوطات المسروقة والمهربة فى ساعات النزق والطيش، روائح الصندل والبخور والقرفة فى منابت الساقين وتحت الإبطين، ومنابت العرق مكللة بالروائح والمسك ، ووردتها وسرتها دهانهما دم الغزال.

– هل أذهب إليها الآن ؟

أصبح الذهاب إليها كركوب البحر لابد أن تبتل بالماء، فأما هى وأما هى؟ المرايا على السطح وفى الأركان وهندسة انعكاس الأشكال وتركيز البعد البؤرى يجعلكما فى كل مكان من كل زاوية، والسرير يدور وأنا رأسى

تدور وهى جسد حصان يحملنى ويدور وأوراق شركة السجائر تدور والعطور والمعاجين والمساحيق تدور وأسبح وأغرق فتغيم العيون .

أصبح فوق رمال الجزيرة فوق جياد عربية أصيلة، أربت على كفلها فتحمم وتشتعل النار فى السرير، فتصرخ وأصرخ بعدها بقليل فينعكس الصراخ فى المرايا فيغرق الماء الفراش ويتحد الماءان فيغرق البحر باللهاث.

أنزلق على مجرى الحليب إلى آخر المراق وأتجول حتى أصابع القدم فتصرخ (ماريان) تصرخ وتضحك وتلقى بما تبقى من ملابسها فى كل اتجاه وأنام على زراعها فتنعكس الصور فى المرايا وعلى الجدران وفى السقف.

فهل أذهب إليها الآن ؟

تحقننى بالحقن وندخن المارجوانا فى شقتها الكبيرة من سجائرها التى كتب اسمها عليها وتصنع لها خصيصا فى مصانعها، وتدلكنى بالزيت فأقبل شعرها (هل أقول سبائك الذهب أو شلالات الحرير؟ هذا كلام صغير لا يليق).

فاقبل شعرها وأنزلق إلى مجرى الحليب.

فهل أذهب إليها الآن؟

أم أذهب إلى أحمد عبد الرحمن الذى لا أعرف عنه شيئا إلا أنه يدرس الكمبيوتر وأحبه لأنه يحب قطته التى تشبه سهير.

سهير ....

سهير السيد والسهر والسلوى والتى وضعتنى على حافة الوهم والحقيقة التى عندما تكون معى يكون الهم بعيدا والعالم بين أصابعى، وعندما تخاف من هجرى تتحول إلى كائن له مخالب وأذرعه مزروعة باللهفة وحب الامتلاك.

شهور وأيام وسنين ولا أنسى.

سهير التى لا أجد دليلا واحدا على خيانتها ولكن فى خيالى أراها تخوننى مع جميع البشر وعندما أكلمها فى هذا الموضوع إما أن تصمت أو تضع وجهها فى الأرض وتبكى، وعندما خافت من هجرى حلفت بالله العظيم وعلى المصحف أن جسدها لم يلمس جسد مخلوق لا قبلى ولا

وهى معى، وأحس أنها كاذبة:

حتى وإن كانت بريئة فهى مذنبة لا أعرف كيف .

كيف يمكن أن تتحول كل ذكرياتنا الجميلة إلى هوة من العذاب لا أول لها ولا آخر؟

ماذا تفعلين بعد زواج لعام واحد وطلاق من أربعة أعوام؟

لماذا كلما تذكرتها أصابنى الخور.

لماذا لا يتحرك ضميرى وأنا مع (ماريانا)؟

هل اللغز امرأة إلى هذا الحد؟

أليست ماريانا امرأة وسهير امرأة؟

- هل أذهب إليها الآن ؟

صحيح أن فارق السن كبير ولكنها عندما تجلس متخوزقة على حجرى/ عرشها/ تكون طفلة صغيرة وتنام تحتى كالرمال المتحركة. وتنفجر من لمس أصابعى وعندما أدخل من باب شقتها تحققنى والما رجوانا ندخنها...

....

ما زال أحمد نائما الآن ، وما تبقى من ليلة أمس الويسكى والشموع المنصهرة وباقى طعام القطة التى تنام

الآن فى دفء الفراش.

سحابة سوداء فى سماء الشتاء تعبر ببطء من خلف زجاج النافذة، وأنا فى ملابسى الثقيلة لم أخلعها بعد إلا بالطو المطر وحذائى معلق عند الباب، وهى تنظر إلىّ ولا تفهم.

وأنا لا أستجيب لكل محاولاتها.

لماذا تغزونى هذه الذكريات؟

لماذا أيتها الذكريات؟

وكيف أذهب إليها الآن ؟

كم الساعة الآن ؟

الرابعة ؟

لابد أنهم ذهبوا إلى الفرح، والصحبة مجتمعة، ليتنى ذهبت معهم،

لابد أن الفجر فى الخارج على رؤوس النخيل ويدخل إلى السكاكرة، وأنا أسير فى حجرتى ، ولابد أن أشياء كثيرة حدثت وستحدث.

ولكن متى يأتى النوم.

تعال يا نوم وارحنى منى.

(٩) (هـ)

الحياة ليست هى الحيات

والسكاكرة ليست هى السكاكرة

والسماعنة ليست هى السماعنة.

ولا الناس هم الناس

ولا أريد أن أعرف من أنا ولا من أكون؟

عشرة أيام وأنا بعيد عنهم وربما يكونون فى أى مكان.

أنا أعيش لحظة وجودى بالسكاكرة معهم على أنهم فكاهة، شىء من الوقت والحظ الجميل ، النساء هنا تريد ولا تقول وإذا بدأت فإنهن سينشرنك كالغسيل الوسخ أمام الناس، ونساء العرب تلتصق الواحدة وتهددك أمام زوجها أن لها حقوقا عندك أكثر من الزوجة، أنا أنتمى للشوارع فرعا أينما يسقط يمد جذوره، لا أريد أن أكون فرعا من شجرة فلان، الغريب أننى أكون مستريح الضمير وأنا ماركسى.

وفى رضاء تام وأنا مع الأخوة فى الجماعة وأكاد أرى الله جهرة.

وأكون مستريحا وفى قمة البهجة وأنا مع ماريانا وميسون.

ولكن ما يؤلمنى تجربتى مع سهير، والشك الذى قتلنى ولا أملك دليلا عليه ولكن عندى مليون استنتاج من كلامها وحركاتها.

نفس الألم عندما نمت مع سمية وقال والدها لا نحب أن تأتى إلينا مرة أخرى ألم... ألم ليس له حدود وخوف كأن بين ضلوعى خواء، وكأننى أنتظر كارثة حقيقية.

أحس بأن دمى ينزل من أقدامى ويفرغ إلى الأرض، كأنما تيار كهربائى ينتهى، وزحف الموت القادم ولا رهبة إلا تمنى الفهم والحقيقة قبل الموت.

لم أفكر بالموت، فليس عندى ما أخفيه وألقيت بكل محتويات حياتى على الرصيف، وكان ذلك بسبب سعدى بنت عمى عندما مات أخوها وكان له صندوق يضع فيه حاجياته ولا يلمسه أحد فكانت تنوح فى الجنازة.

– كيف هان عليك ترك الصندوق ولم تأخذه معك، سنفتحه ونعرف يا قلبى.

من يومها عرضت نفسى عاريا على الرصيف والذى أخفيته أخفيته فى آبار سحيقة وردمت عليه دكا دكا.

البحر لم يأخذنى البحر ولم يفتنى ولم أحاول ركوبه، وتفرجت على المحيطات والبحار ولم يعجبنى أى منهم أبدا.

عندما ذهبت إلى القاهرة كنت أبحث طوال الوقت عن النيل الذى حفظت قصائد الشعراء فيه، النيل واهب مصر والدلتا والصعيد ابن الفراعنة وصاحب أول رسالة من عمرو إلى الخليفة عمر بن الخطاب.

وكنت أرى أننى إذا لم أنجح فى مصر فيكفى أننى رأيت النيل،

ولما رأيته عند إمبابة لم أصدق أن هذه المزابل هى النيل، وعندما سألت من كان معى، أين النيل؟

فأشار إلى بركة من الماء يعوم فيها الجاموس ويستحم، والنسوة يغسلن الأوانى والثياب على الشاطئ؟

مكان لتجمع الجثث وخلاص الولادة وبقايا النفساء.

هل هذا هو النهر الخالد،

والله آبار الصحراء خالدة أكثر منه مليون مرة،

البئر، عميق ورطب ويكتسى بضباب وظلام الحجب لكأنه الرؤيا أو هول القيامة، كأنه سر النساء وإغواؤهن، وهو ماء النساء فى العمق لا يرشح إلا بملامسة الدلو والحبل، كل نقطة فيه عزيزة عليك كأنه مداد الصحراء لتسطر عليها بروحك كتابة الأزل. تفك الدلو والحبل وتدير اليد وتنزله رويدا وبطيئا لكأنما لعب الرجل والأنثى، وتدليه فى البئر حتى يلامس ماءها فتغترف نهما وبحذر وتدير اليد عكس ما دارت لكأنما ذهاب وإياب حتى ترتوى.،

أحفظ تاريخ النيل الطويل وأعرف حابى وكأنه من باقى أهلى، لكن النيل فى الصعيد مختلف تماما عن هذا الملقى على ظهره كالقتيل.

ربما حابى يحكم من المنيا حتى البحيرات ويترك لصغار الموظفين الحكم فى الدلتا؟

ربما يتجلى حابى فى الأقصر وأسوان وكلابشة ووادى حلفا؟

لا أعرف فكل ما عندى معلومات ربما مشوشة ومضببة وتصورات عن أشياء غامضة بين الحقيقة والخيال وبعض الأحيان أكون متأكدا منها وأحيانا لا أعرفها.

أنا لم أعشق رمال الأردن ولا مزارعها ولكننى أحببت ميسون فأحببت كل شىء هناك كل ما يمت لها بصلة، ولكنهم أخرجونى وأنا غير قادر على كرههم.

أحلم بأننى بدوى ولكننى أعشق الملابس الإفرنجية.

لا أعرف سر سكون المصريين ، ولا أعرف ميعاد قيامهم ولا ما هو الشىء الذى يحركهم؟ وكيف أصدق أن هؤلاء أبناء هؤلاء العماليق العظام فى الكرنك ودندرة وأبى سنبل؟ لا يمكن أبدا للصفات الوراثية مهما انعزلت فى ضعفها أن تكون هذه نتائجها؟

لا يمكن إلا أن يكون قانون الانتخاب الطبيعى يعمل ضد نفسه فيختار الأضعف لا يمكن إلا أن تكون مؤامرة للإبادة.

في هذه الحالة فإن الجزيرة ستكون خاوية على رمالها وربما دفن الناس فيها طمرا، وهنا تنبع كلمات أحمد كحقيقة منتظرة التوقع.

كيف يبنى حضارة من ليس له عنوان ثابت، كل ما تراه على سطح الرمال قشوراً استهلاكية للحضارة ستنتهى قريبا بانتهاء حقبة البترول وظهور مصادر أخرى للطاقة.

ولكنى أصرخ يا أحمد أصبح لنا عنوان ثابت يذهب إليه الناس طوعا أو كرها من أجل أن يقيموا أودهم (بريا لاتنا) ونمتلك أجود وأحدث السيارات وناطحات السحاب والطرق المرصوفة والنساء من كل جنس ولون ودين وملة ما ملكت يميننا ويسارنا ، ونملك الكعبة والخضراوات صيفا وشتاء.

نحن نملك أكثر مما تملكه أوروبا وأمريكا والفرق فقط أننا لا نملك وسائل الدفاع فنستأجرهم للدفاع عنا.

وحقيقة أحس أن كل هذا بلاستك مغطى بقشرة من الذهب صناعة تايوان وسنغافورة، ودائما رغم البلهارسيا

والفقر أحس أن كل شيء فى السكاكرة حقيقى وأصيل ودائم، هذه الجدران، والأراضى، والبشر وإن كانت معلوماتهم عن العالم ضئيلة وتنقصهم خبرات الحضارة ولكن إذا فتح ثقب المعرفة أمام واحد منهم فإنه يمتص كل ما وراءه ويبدع ويشرب بنهم لكأنما آخر فرصة له للمعرفة.

الجهلة منهم يتكلمون فى كل شيء ويفلسفون كل شيء وفيهم الحكيم والعالم واللص والمرتشى وعديم الضمير ، ولكن كل شيء بالرضى فى حدود يتحرك فى إطارها.

ولم أكن أتوقع أن أقف حائرا أمام هذا السؤال.

من أنا ؟

عشرة أيام وأنا بعيد عنهم ، ويدقون الباب وأنا أعرف أنهم هم،

أنا فى غاية الشوق لهم ولكن عندما يدقون الباب أستمتع بحيرتهم وعودتهم مشغولين وأردد عندما يأتون مرة أخرى.

سأسافر ولن أقابلهم، ماذا يريدون منى انتهى

الحشيش والأفيون ولم تنته حكاياتهم كأنهم يغرفون من بحر طامي.

أين أمي وأختي؟

لابد أنهم عند أجدادي الباقين بالسماعنة أو عند أختي في طنطا.

ربما ماتوا.

كل هذا لا يهم. المهم سأسافر ، ولكن كيف سأخرج من السكاكرة تلك الطاردة للغريب؟

وكيف سأخرج في هذه الساعة من الليل؟

سأشرب سيجارتين بالحشيش وأنام وأسافر في الصباح.

إلى أين لا أعرف.

لابد أن كل شيء قد انتهى الآن، وكل سهران عاد إلى بيته، ربما آذان الفجر على الأبواب ، أم أننا في أول الليل؟

ما هذا السكوت الضارب حتى أعماق القلب؟

لا صوت ضفدع ولا كلب ولا أنيس معي إلا محمد

عثمان الذى يكره محمد عثمان.

كم يوما وأنا على هذه الحالة؟

رائحة عرقى فظيعة لابد أنها كذلك فأنا راقد من أيام صحيح لا أميز الروائح لكن لابد أنها كذلك.

ليس هنا ما آكله والسكر والشاى هاجرا من البيت، ولا أحد يعود إلىّ

يا ليتنى خرجت لهم عندما دقوا الباب.

يا ليل الرحمة يا ليل.

هواؤك البارد ونسمة الفجرية العليلة ترعشنى يا ليل لكأنما أنت مريض يا ليل،

أجلس أمام الباب وعلبة السجائر المضروبة على وشك الانتهاء، وأخذت شريط (أنافرانيل) ولا نوم ولا لوم عليك يا ليل.

رأسى ثقيل وجريد النخيل على النخيل عال لا يميل ولا يرمى السلام.

والسلام لله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أين الكبريت؟

آه يا سهير كل حكة بضربة رأسه داخلك، من ضربك بعموده أمهر منى يا بنت الكلب؟

من يا سهير فرميتنى وراء ظهرك وإلى الأبد؟

تعالى يا ميسون لترى محمد عثمان وتتفرجين عليه، كان الأولى أن يقتلنى أبوكى، وأستريح.

زعلانة منى يساهرتى لأننى أرسلت لك ورقة الطلاق من الغردقة بجوار البحر الأحمر كدمى المهدر من شهوتك الملعونة؟

فى المرة القادمة سأرسلها من الإسكندرية سهير ربنا ينتقم منك يا شيخة.

جسدى ثقيل ياناس والخدر يسرى فى كل جسمى وإلى كل جسمي ويتصبب العرق نازلا إلى الأرض وأحس بحاجتى لقضاء حاجتى ولكنى لا أستطيع القيام من على الأرض،

أين الكبريت ؟

أنت عود أم عمود، عيدان الكبريت عيدان وعروق العرش عيدان وبيت جد البلدية به عشرة رؤوس من

العروق تطل عليك فى الشارع ظاهرة كأصابع طفل يتيم تحت اللحاف.

اللحاف أين هو؟.... عندى بطانية ماركة النمر لا أعرف أين تركتها؟

ربما فى فندق قذر بالعتبة الخضراء على أمل الرجوع بالأجرة للعتبة الخضراء ، خضرا يا ملوخية، أو مع حقائبى عند الأستاذ أحمد ، وهل كانت لى حقائب عنده؟

ماذا جرى لك يا أبا عفان؟

رأسى ثقيل وجسمى ثقيل ولا أرى ولا أى شىء واضح نهائيا.

ولكن أنا مازلت جميلا وقادرا على إغواء النساء.

ربما تركت الحقائب فى اللوكاندة، واللوكاندة على اسم طائر والطائر يطير

إذن فالطائر أخذ الحقائب وطار

أحس بمغص شديد، فى الصباح إلى الطبيب المداوى وأقول له يا طبيب لا فلوس لى فى البنك ولا أهل لى فى السماعنة أو السكاكرة ولا تكتب فى الروشتة أهلك لاتهلك

فالفلوس فى البنك الأهلى ولكنه يعمل لصالح أهلى وخبأ

الفلوس منى

يا ساتر يارب دم؟

من فمى ببى يارب لا تذرنى فردا وأرسل

أحد أ ح د ا مـ ن

آه يا با يا لهوى الـ حـ قـ و نـ ى

أموت

أموت

سأكتب إلى أحمد رسالة بكل شىء

أين الورق آه

الورق

آ ه

قال قراجة : - والله العظيم أنا متأكد أنه موجود وعارف أنه لن يحضر، صنف براوى .

قال شكرى بشعور محايد : الغائب معه حجته، هذه عادته يغيب يغيب ويعود

قال حميد وهو يعدل البلغة : - إذا حضر أهلا وسهلا، وإذا فبالتى يا محمد، ثم وضع (التى) بعد أن عدلها فى قدمه وسار.

كانت أطراف أصابع الموسيقى (المزمار) تلامس الشعيرات التى نبتت على صوان الأذن من الخارج، وهم يضربون فى عماء الليل الذى بلا ضمير، ولكنهم يعرفون طريقهم جيدا ويمضون فيه كيد عاشق تتحسس جسد امرأة فى الليل من تحت ملابسها السوداء.

وكلما اقتربوا اقتربت ودخلت إلى آذانهم وتسربت وتشعبت تنشع فى كل الجسد - كماء الزير - من الرأس

إلى القلب.

دخلوا بيت قراجة وصعدوا السلم النقالى وجلسوا بين حجرتى السطح العلوى فى الحصير، وكانت الحصيرة مفروشة وعدّة الشاى جاهزة، والجوزة مغسولة، والقوالح والشالية تنادى عليهم فأشعل قراجة النيران فاستجابت له بينما تابع باقى الصحبة هرج الصبية فى الشارع وبعض الباعة الذين يفترشون الأرض وأشياؤهم أمامهم.

كذلك شاهدوا بدقة تلك الحلقات التى تتكون من الناس لتصير جلسات استعدادا للفرجة على الرقص ومشاركة فى الفرح.

حلقات بجوار بعضها تمتد وتتحلق مع الحفاظ على وسط الجرن خاليا إلا من بعض الأطفال الذين انتشروا فيه كبقايا حب ذرة منثورة للفراغ فى باحة الدار.

كانت دار العريس تشع بالكلوبات وأصوات الفرح والهزار والشتائم والغضب والتهانى والضحكات والكلام والمواعيد فى كل مكان.

وكان باب دار العريس فرصة للاحتكاك والملامسة كما

كانت أسطح الدور والبيوت المهجورة فرصة لعمل ما سيعمله العريس، أما داخل الدور فالله أعلم فلا أحد من الجالسين فوق دار قراجة شاهد وإن كان معظمهم قد تكهن بما يحدث لكن كل واحد أخرج أهل بيته من هذه التكهنات وأبقى نفسه، كذلك لم يتأكد واحد منهم أن من لمست أو احتك بها لقيت استجابة أو وافقت على الانسحاب قليلا ولو إلى الحقول وتعود، فلا أحد من الجالسين ينكر أنه كان أحد المزنوقين فى يوم من الأيام، ومع ذلك حسدوا المزنوقين والزانقين.

دارت الجوزة دورتها المعتادة سكرانة بينهم فقال شكرى :

يا أخى لا أحد يعرف أين اختفى؟ أنا ذهبت إلى دارهم وخبطت على الباب وزعقت بأعلى صوتى ولا أحد يرد علىّ كأنه وأهله معه قد ماتوا؟

قال قراجة : - جايز يكونوا فى زيارة لاخته، أو عند أحد أعمامه وهم يسهرون وينسون كل شىء.

قال حميد : - والله عندى كلام ولكن أخاف أن كل

واحد منكم يعملى جدع ويهب فىّ زى النار ، وأنا متأكد أن أى واحد منكم نفسه يقول هذا الكلام.

قال شكرى : - هذه هلفطة ، وقل كل ما عندك، ولكن قل لى أولا أخبارك مع الفرح.

قال حميد : - عادى الأولاد يزفون العريس فقط وقبلها بليلة كان علينا تسهير الحنة، ثم المهمة الكبيرة والنقوط والفلوس الكثيرة للغوازى والفرقة، نحن لنا أبو بلاش، طبعا زمار الحى دمه ثقيل، ويا سيدى جبر الخواطر على الله.

قال شكرى : - أهلك لا تهلك، المهم عاوز تقول كلام عن محمد عثمان قل وخلصنا.

ضجت الجلسة بالضحك ودخل حنكش : - مساء الفل وفل الفل.

قال شكرى : - الليلة زفت من أولها إلى أخرها.

قال قراجة : - وعليكم.

لم يرد حنكش على أى كلام ونادى : - اطلع يا قط.

جاء صوت قط من أسفل السلم : - أنا أحفظ النظام فى الفرح.

رد شكرى : - نظام لباس أمك اطلع طلعت الميـة فى زورك.

امتدت رأس تحتها عنق طويل ولم تظهر أكتافه وكان منظره كعمود التليفون.

ضحك قراجة وهو يشير إلى قط قائلا : - والله العظيم شبه البتاع شايفين.

ضحكوا ولم يمسك أحد منهم نفسه حتى ارتموا على الأرض من الضحك وهم يتلوون ويمسكون بطونهم فاندلقت أكواب الشاى ووقعت الجوزة.

قال قط : - يا سلام بالراحة انتظروا الغوازى يا غجر.

لم تسكت عاصفة الضحك وإن كانت تقطعت فكلما نظر أحد منهم إلى رأس قط البندر تذكر فضحك ونظر إلى زميله فضحك.

صب قط البندر لنفسه شاياً من الكنكة التى على النار ورص حجر معسل وأخذ يشرب ويدخن.

قائلا : - على مهلكم شوية ياولاد الإيه .... اللهم

اجعله خيرا.

قال حنكش : - ربنا يستر بعد الضحك زعل.

قال قراجة : خير إن شاء الله خير خبر صحيح إذا كان حارس النظام قط ؟

قال قط وهو يطلق أنفاس الدخان : - محمد عثمان تأخر.

قال حميد : - غير موجود بالبلدة نهائيا.

قال قط : - سافر مصر ؟

قال حميد : أحوال لا يعلم بها إلا خالقها ، ثم أنا غير مستريح لمحمد عثمان خالص كأنه زرع شيطانى وسط السكاكرة، يا أخى جاءوا إلينا غلابة ورحبنا بهم وبعد ذلك لا أحد يرمى عليك السلام وكأنك عبد عند أهله.

قال عبده الصغير : - الأعراب أشد كفرا ونفاقا، ولا يعرفون مصلحتهم ويكرهك إذا كنت أفضل منه حتى لو أديت له خدمة ، ويحاول إذلالك إذا كان لك مصلحة عنده.

قال حنكش : - أعوذ بالله من غضب الله.

ساعة الحشيش والأفيون الكل يقول الأستاذ محمد ،

الأستاذ محمد وبعد كده يطلع زربيح ونجيل وفسا كلاب،
يا ترى أحمد له نفس المعاملة عندكم ؟

قال قط : - اخرس قطع لسانك ... والله أنت لا تفهم في الرجال وأعور العين وأعمى القلب.

قال حنكش : - والله يا سيدى أنا استاهل مادمت جئت لكم برجليه.

قال قراجة : - صلوا على النبى ، من يحضر معنا أهلا وسهلا ومن لا يحضر على هواه.

قال قط : - والله ناقصنا الأستاذ محمد.

قال حميد : - بالحشيش والأفيون ؟

قال عبده الصغير : - والله الميل للواحد والمحبة وروقان البال أفضل من الحشيش والزفت، والأخ محمد كنا عايزين نطمئن عليه خاصة أنه معزوم من قراجة على السهرة وهو لم يقل أنه مسافر.

قال حنكش : - فاته نصف عمره الليلة لما نحكى له عليها وعلى اللحم والبط سيزعل قوى أن محمد يعز اللحم قوى بالصلاة على النبى.

قال قراجة : - والله العظيم أنت شمام.... يا أخى أنت مصيبة على بلد، وولد مجرم وعارف أن الليلة عندنا فتة ولحمة، أنت حرامى الحلة؟

قال قط : - من غير يمين لازم أتعشى معاكم، ألف على الدرك وأطمئن على الأمن وأرجع لكم حمامة.

وقبل أن يهم بالخروج قال له قراجة : - أقعد تعشى أولا ثم توكل على الله .

جذب قراجة البندقية من يد قط البندر ولكن المسئولية الكبيرة عن السلاح جعلت قط يشد من يده البندقية وقراجة يحاوره حتى استخلصها لنفسه ووجهها إلى صدر قط قائلا له : - عجين الفلاحة.

قال قط : وقد اصفر وجهه : - لا هزار مع النار يا قراجة ثم إن البندقية عهدة الحكومة وبها ذخيرة وغير مؤمنة، هات الله يخليك.

هجم قط على قراجة ولكن قراجة جرى بالبندقية إلى السلم ونزل إلى الشارع وخلفه قط يصيح : - حرام عليك أروح السجن يا قراجة افهم يا جاموس.

اختفى صوتهما وقال حميد بعد أن فرغوا من الضحك:

– صحيح قراجة لا يقدر المسئولية ولكنه هز قط تمام.

دخلت كاملة زوجة قراجة قائلة : – مساء الخير ، جرى إيه قط وقراجة طالعين جرى ناحية الفرح يظهر إن العروسة وصلت و ..

انطلق فى الجو صوت طلق نارى وحل بعده السكوت التام ثم ضجة كبيرة وأصوات وزعيق غير مفهوم.

قال عبده الصغير : – العريس أخذ وش العروسة.

قال شكرى : – لأ فيه مشكلة.

قال حميد : – صحيح لم نسمع زفة العروسة وبعدين اسمع صوت السجيعى شيخ الخفراء نزلت كاملة إلى ساحة الدار وأطل حنكش من الشباك وقال :

– يا ليلة سودة الناس ترش الملح ماينزلش ، الحق يا جدع قراجة واقع على الأرض والناس ترش ماء عليه، وقط غير موجود، وسلك التليفون بتاع الحكومة مقطوع.

هرول الجميع إلى أسفل المنزل حتى أن حنكش حين

التفت لم يجد أحدا يكلمه فنزل خلفهم حملوا قراجة إلى داخل الدار ولكن حنكش انتظر وسأل العيال فقالوا له :

– عمى قراجة وقع من طوله لأنه ضرب نار وقطع سلوك التليفون ، وعمى قط أخد البندقية وجرى ناحية شارع داير الناحية.

قال حنكش للولد : – ابن مين أنت؟

– ابن عطية البوز.

قال حنكش : – يلعن بوز أبوك العب بعيد ياولد.

ودخل حنكش إلى دار قراجة بعد أن اطمأن أن هناك ماجوراً قد انقلب فوق الأحداث فكتمها ، وهو لا يعرف كيف؟ وإن كان يتوقع النيابة والبوليس والعمدة وخاصة سماع صمت السجيعى شيخ الخفراء ، وسأل نفسه ولكن أين قط والسجيعى؟

قالت كاملة عندما لمحت حنكش : فاق ومعاه الرجال فوق فى الحضير.

ودخل حنكش فوجد الصمت يسد المكان وقراجة زائغ البصر كالغريق التائه فى لجة عميقة.

- خير اللهم اجعله خيرا .

قال حميد : - خيرا إن شاء الله.

وسمعوا جلبة حول السلم وأطلت رأس شيخ الخفراء وبعده قط البندر.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ورد الجميع فى ذهول : - وعليكم السلام و ...

قال شيخ الخفراء : - الحمد لله جت سليمة كانت قضية فيها رفت ونيابة، وسجن لك يا قراجة ، وقط أنكر عنك كل شيء ولولا سلك التليفون المقطوع كان زمان المركز هنا .

قال قراجة : - والله العظيم ما كان قصدى.

قال قط البندر : - الله يلعن أبو قصدك يا شيخ، لو كان الطلق طلع فى أى واحد من الفرح كان زمانى وزمانك فى السجن يا مجرم، يعنى يا أخى نشنجى قوى، والله لو حطيت لك السلك على بوز الماسورة ما كنت قطعت السلك بطلقة واحدة، يا سلام طلقة واحدة فى الظلام يقطع السلك .

لم يفهم أحد من الجالسين التفاصيل فنط شكرى قاطعا عليهم الكلام :

- العشاء يا ست كاملة.

سكت الجميع وفى دقائق بدأت موجات الأكل تصعد السلم وامتدت الحركة من الطعام إلى الناس وانتشر الكلام بين فجوات الطعام ونزول الملاعق حتى فرغت الأناجر والأطباق من الطعام فبدأت الحكايات ورفعت كاملة الطعام وأحضرت الشالية عليها النار مشعللة فأخرج شيخ الخفراء ورقة صفراء وقضم منها شيئاً بأسنانه وسلمه إلى شكرى الذى تولى مسئولية التعمير ودارة الجوزة.

قال شيخ الخفراء : - والله السكاكرة فيها مصائب أكبر مما نحن فيه، الليلة عمك خليل أبو طرف نازل تزنيق وكلام وسط النسوان ولا ينكسف من شعره الأبيض وعمره الكبير ، وعملته السوده من أقل من شهر.

قال حنكش : - خليل حل المشكلة.

قال شيخ الخفراء : - حظوظ وربك ستار حليم ولولا

سطر فاضى فى دفتر المواليد كانت بقت جريمة، الولدين أكبر من عمرهم بثمانية أشهر غير الحمل.

قال عبده : – أنا مش فاهم الحكاية.

قال شكرى : – لما مات عبد البر ابن عمك خليل أبو طرف لم ترض زوجته العودة إلى بيت أبيها وقالت سأربى ولدى وأخدم عمى خليل، وعمك خليل قال سأزوجها ابنى سيد أحمد عند عودته من الجيش واستمرت الحكاية عاماً كاملاً وسيد أحمد لم يتزوجها، ولكن ولدت زوجة عبد البر المتوفى من عام ولدين فى بطن واحدة.

قال شيخ الخفراء : – قلنا يا خليل العيال ولاد مين نكتبهم فى الحكومة باسم مين؟

قال خليل : يلعن أبو الحكومة اكتبوهم باسمى كلهم ولادى.

وهنا وقعنا فى حيص بيص، وأحضره العمدة وشتمه ولم يرد خليل، فبحثنا فى الدفاتر فوجدنا سطرين كتبنا فيهم الأولاد على أنها كانت حامل قبل وفاة زوجها والأولاد باسم عبد البر ، ولما خرج سيد أحمد من الجيش

تزوجها وانتقل إلى بيت خاص به وهو يقفل عليها الباب بالمفتاح لما يكون فى الغيط وعمك خليل يقعد تحت الشباك يبكى والمرأة بنت الكلب داخل البيت تبكى، ولم ينهد وطوال النهار يلف فى الغيطان يعمل ما بدا له .

قال حنكش : - خليل بطال فى سيره من صغره هذا ما سمعناه لكن حكاية قراجة لم نسمعها .

قال قط : - أنا أحكى بالتفصيل وممنوع الأسئلة.

قال قط : - أخدت نفسين دخان وشفتيتين شاى واستأذنت أروح الدرك وأرجع لأتعشى معاهم، لكن قراجة وقف فى طريقى ونتش البندقية، وعزم علىّ أتعشى قبل الذهاب إلى الدرك ، أخذت البندقية منه ولكنه عاد ونتشها ونزل إلى الشارع فجريت وراءه لآخذها منه وأنا أحذره من النار والمسئولية وعند باب دار العريس رفع البندقية عاليا فخرج الطلق ووقع قراجة وسقط فوقنا سلك التليفون.

وأنا وقعت فى حوسة لا عارف أجرى أو أبلغ عن سلك التليفون المقطوع فأخذت البندقية وجريت .

قال حنكش : – لا إله إلا الله، الحزين نشانجي.

قال شكرى : – اصبر إن الله مع الصابرين.

قال قط : – وقع قراجة من طوله على الأرض، فأخذت البندقية وجريت ناحية شارع داير الناحية لأخرج ناحية المزارع، وسلكت الماسورة بقطعة الكهنة والزيت وحملتها على كتفى وجريت بها فى الغيطان حتى تبرد الماسورة، وعدت على مهلى ولكن وشى كان كالليمونة ومررت من أمام دوار العمدة لمعرفة الأخبار فنادى علىّ وقال لى :

– فيه ضرب نار فى دركك.

– أبدا والله يا حضرة العمدة أنا فى الدرك من العصر.

– هات سلاحك.

– قلت له الذخيرة فى السلاحيك لم أستلمها.

أخذ يملس على الماسورة ويشمها ، وكنت قد خلعت الخزنة لأن الذخيرة التى كانت بها زيادة عندى اشتريتها من صول فى المركز لزوم المجاملة فى الأفراح.

أمر العمدة محمد أبو سليمان الخفير بإحضار الذخيرة الخاصة بى فوجدها تمام وكاملة.

قال العمدة : فيه سلاح فى البلد.

قلت له فرح يا حضرة العمدة وممكن تكون مجاملة من واحد بعيد عن البلد.

قال : نبه على العريس بعدم ضرب النار.

وكان شيخ الخفراء قد حضر على صوت ضرب النار ودخل علينا عند العمدة.

– تمام يا حضرة العمدة واضح أن الطلق كان مجاملة للفرح، ونبهنا عليهم بعدم ضرب النار.

ثم سحبنى من باطى وخرج بى أمام الدوار وقال محمد الميكانيكى ربط سلك التليفون، ثم جئنا إلى هنا، عايزين الحلاوة من ياقراجة.

قال قراجة : – رقبتى سدادة.

قال شيخ الخفراء : – تكرم يا أمير كفاية العشا والأيام معنا.

قال حنكش : – لازم واجب كبير.

قال شيخ الخفراء : – الفاتحة للنبى والحمد لله أنها عدت على خير.

قرأ الجميع الفاتحة واستأذن شيخ الخفراء وقط البندر، وتأكد قراجة أن شيخ الخفراء وقط البندر سيفتحون فى جيبه وبيته أبوابا للتسول وكأنه حقهم وسيفرضون عليه فرضية وستكون له ذلة لن يخرج منها إلا بشىء كبير يمسكه عليهم.

قال شكرى : – الحمد لله على كل حال، احمد الله يا قراجة.

قال قراجة : – الحمد لله.

قال عبده : – يعنى معقول العمدة لا يعرف الحكاية.

قال حميد : – يعرف من طق طق لسلامو عليكم وإلا لا لزوم لشيخ الخفراء، وما يهمه أن تسوى الأمور بين الناس، ولكن هو يخاف من شيخ الخفراء ، فالله أعلم بما سيحدث.

قال حنكش : – لأ ... العمدة لا يعرف ولو عرف كان سيقلب الفرح إلى مأتم.

قال قط الذى ظهر أمامهم فجأة : – حكيت للعمدة بالتمام والكمال حتى لا يخوننى أى كلب ويتكلم من ورايا،

وقال لى لك يوم يا قط سأقرصك قرصة تطلع بالدم، والخفير الذى يفرط فى سلاحه يفرط فى لباسه.

قال حنكش : - يعنى معقول حد يفتح الموضوع، الناس شر يا أخى، وعلى كل حال الاحتياط واجب وانت يا قط اثبت أنك ابن البندر صحيح.

***

ارتفع الطبل والزمر فقابلته الزغاريد وأصوات الهيصة فارتفعت الترانيم أعلى من الجميع ومن أسطح البيوت فشدت أوجه الناس وآذانهم إلى دار العريس فانطلق رجل كالعفريت يدهن وجهه بالدقيق ولبس عفريته قميص وبنطلون حتة واحدة وأخذ يتشقلب فهاصت الناس وزعقوا: محمدى محمدى أبو الشعيشع الله أكبر وسع يا جدع.

قال حنكش : - حاجة غريبة الغوازى وأبو الشعيشع قبل الدخلة؟

قال قط : - حتى المعازيم تعشوا من زمان.

هاصت الناس فأطل قراجة وقال : - تعالوا الغوازى يا جدع.

قال شكرى : - يا أخى لك نفس بعد كل المصائب.

ذهبوا جميعا ناحية الشباك فقال عبده الصغير :

لواحظ شرفت بالبدلة الخضر المفتوحة من على الأوراك... يا دين النبى ... ملبن... وابور زلط... مهرة وناقصة الخيال .

ركوبة بنت الكلب آه يا نارى.

قال حنكش : - لأ يا شيخ، حكم، أنا نازل أتفرج تحت، كل حاجة تشوفها إذا بصيت من تحت أفهم يا آدم، قطة فيولا حلوة زى لواحظ ؟

قال شكرى : - لازم حنكش ينزل إذا كان الواحد بعنين اثنين ويبحلق يبقى الله يكون فى عين حنكش أقصد فى عونه.

قال حنكش : - الراس بعين واحدة هى المهمة ولها شغل وترفع كرامة البنى آدم أحسن من الرأس أم عينين.

قال قراجة : كلنا عندنا رأس عوراء يا فالح.

قال حنكش : - لكن أنا برأسين عور، تفرق ياولد.

خرج حنكش نازلا إلى ساحة الفرح فاستراحوا

جميعا كأنه كان هم وزال.

التفت شكرى إلى قط قائلا : - عفارم عليك إنك قلت للعمدة .

قال قط : - أول ما شفت حنكش قلت سأقول للعمدة حتى لا يصيد أحد فى الماء العكر.

قال شكرى : - خلينا فى المهم شفت خالتك حميدة السريع خارجة من بيت العريس ساعة موضوع قراجة ونازلة شتيمة فى البنات.

آه بنات اليومين دول تتساب لهم بلاد، آه يا مهاتيك يا فجّر، تلوين الخدود وحشر النهود والتزنيق فى الرجال، ودعك الورك واللعب فى الفرن إلى ساعة ما تدق الحريقة وتنزل ساحة على نفسها، جيل عايز حرقه، حتى المتزوجة تحب تجرب غير جوزها وتدوق الصنف على لسانى ولا تنسانى.

انطلقت عاصفة من الضحك لأن شكرى كان يقلدها وكان صوت الضحك أعلى من صوت الفرح ولم يستطع شكرى التمسك بمحابسه سليمة فجرى لفك حصر البول،

وبعد قليل عاد قائلا :

– قراجة عندك اجتماع المحكمة ، نسوان كتير ونزلين يارغى فوق السطح جنبنا كل الكلام فى سيرة خلق الله.

قال قراجة : – يا سلام على سطح بيتى؟

قال شكرى : – المحكمة فيها الست كاملة حرمكم المصون، وخالتك أمينة عبد المقصود والست بسيطة، والست فايقة وهتكت بتكت.

قال عبده الصغير : – نسوان رايقة.

قال حميد : أنا أدحلب وأسمع كل الكلام.

قال قراجة : يا أخى عيب.

قال حميد : يا أخى اصبر.

خرج حميد متدحلبا بينما انشغل الباقون فى الفرجة على الغوازى ، وكانت سمية الغزية قد دخلت إلى الجرن لتشارك لواحظ الرقص على نغمات موال محمدى.

عاشق يقول للحمام

ادينى جناحك يوم

أطير به فى الجو

وأنظر به حبيبى يوم

....

فإذا بأصوات تنطلق من دار العريس تفسد الموال

لتفرض علينا هيصة شديدة جرت على أثرها لواحظ

وسمية إلى مندرة اللبس وهاصت الأصوات

السمسم هل من الصندوق

اطلع يا عازب روح السوق

وتتداخل معها أصوات صارخة بالنشوة والشبق أثر

ارتفاع قماشة مصبوغة بدم الفلاح

التور هد المصطبة

التور .....

وانطلق صوت عائشة الخياطة

قولوا لأبوها إن كان

جعان يتعشى

ثم تتجمع الأصوات بفرحة الفوز خلف خيط ذهبى

تلضمه عائشة الخياطة فى حناجر الناس ومهجهم

واقعة فى بيت نوار

يا محرامة دم غزال

يا ....

وهنا تأكد الجميع أن أهل العريس قد أفلتوا من الحسد والرصد والربط وما إلى .... وأن الحيلة فى دخول العروس من الباب الخلفى للدار ولهذا عجلوا بالعشاء وبعدها ضحكوا عليهم بالغوازى، حتى تضيع على الحاسدين أى فرصة انتقام.

قال قراجة : - صلاة النبى أحسن شايف المحرمة كلها دم.

قال شكرى : - العرض يا جدع له فرحة.

قال قط : - أهم شىء .

قال عبده الصغير : - البنت إذا كانت من غير عرض تكون مصيبة على أهلها وعلى نفسها وعلى عريسها وفضيحة مالها أول من آخر.

ولو أهل العروسة ضحكوا على العريس بدم الحمام والعادة فتكون هذه العروسة بعد ذلك امرأة شرود وشرموطة ولابد أن تخون زوجها فى أول فرصة وتكون

العملية سهلة عندها ولا تقدر الجميل الذى تحمله زوجها وتصون العشرة، الخلاصة إذا البنت قلعت اللباس قبل الزواج مرة فلابد أن تخلعه إلى الأبد حتى لو حجت ألف مرة.

الطريق الذى يبدأ بالخيانة ينتهى بالخيانة.

دخل حميد الطبال من خلفهم فأحسوا به.

قال شكرى : – خيرا يا طبال يا نجس؟

قال حميد وهو يلتقط أنفاسه : – أنا لم أسمع الكلام كله، لكن سمعت خالتك بسيطة بتقول يلعن أبو كل الرجاله حلوين قوى ولاد الكلب ونَفَسْهُمْ ونس يا سلام الحضن منهم أحسن من البيض أبو سمنة ويرد الروح ويا سلام لو ولد شارب من بز أمه تبقى العيشة هَنَا وكل ليلة الوحدة تمسك النجوم وهى نائمة على ظهرها وخاصة إذا كان جميل زى أحمد.

قالت خضرة : – أحمد مؤدب وزى العين النعسانة وكان يلعب معنا واحنا صغار ولا يرفع عينه أو يقول كلمة من تحت لتحت ، وكان جميل ما جميل إلا سيدنا محمد

عليه السلام، ويغيب يغيب ويرجع وأول ما يبص لى وعينه تجى فى عينى جسمى كله يرتعش ويسلى ويصب نار وأحس أنى مبلولة وخدل فى رجلية وأوراكى تنشر وعايزة أقع من طولى ووشى يحمر ولا أقدر أرد فيضحك، وحتى بعد ما تزوج كان نفسى أخده فى حضنى لكن هو صعب خالص وكنت دائما أحلم بيه وأنا بنت، وبكيت كتير أول ما سمعت أنه تزوج، وكنت فاكره أنه سيتزوجنى ، وأول ما قالوا جه قلت أروح أشوف مراته استحميت ولبست جلابية العيد وأخذت شالية لبن ورحت، لقيتها شبهه بالضبط كأنها أخته، وقعدت تتكلم معايا وكأننا أصحاب من زمان، وبعد ما روحت كنت أطق من الغيظ، الحمد لله بينى وبين الحرام ربنا، والله أحمد لو كان مد يده علىّ ما كنت أقدر أقول له لأ، وكنت لن أحس بذنب أو حرام، لكن الحمد لله لم يحصل معى حرام أبدا وهو الحمد لله كامل المعانى ومحترم.

قالت فاطمة عبد السلام : - كل واحد من هنا يروح مصر ينسى أهله وتزوج من هناك أو يمكن يكون داير

على حال شعره زى محمد عثمان الله أعلم، وبيقولوا إن الواد قط البندر قال لهم إن محمد عثمان يعرف نسوان من المسلمين والكفرة وعلى غير الدين ويمكن صاحبك بيقلده وعامل عمايله فى مصر، والله النسوان من السكاكرة عندها حاجات أحسن من بتوع مصر بس قولى يا حظ فى الوراك.

قالت خالتك السيدة : – أحمد مؤدب يا ناس.

قالت فاطمة عبد السلام : – فى السكاكرة.

قال قشطة : – يلعن أبو الحرام يا ناس وأعوذ بالله من غضب الله.

والله يمكن يكون جوز الواحدة أحسن من عشيقها ألف مرة، لكن الحرام ابن الكلب، الواحدة تمشى خائفة وتفعل خائفة وتقول يارب استرنى غصب عنى يارب، وتفعل وهى قالعة رجل واحدة من اللباس وكله بسرعة بسرعة والرجل الثانية متعلقة فى الورك وتخاف أنه ينتشه منها ويهددها بيه، وكل مرة تقول ربنا يسترها وتكون آخر مرة لكن ترجع تانى، ومهما تكون الوحدة عاملة احتياطها

لابد ربنا يكشفها ، غير الفضيحة والسيرة الوسخة لعائلتها وللأولادها كل شوية ابن فلانة.

قالت كاملة : - وإذا تزوج.ابن عشيقها من بنتها يمكن تكون منه يعنى أخته تبقى عيشة حرام فى حرام.

قالت فتحية : - يا سلام يعنى لازم تحبكيها قوى يا كاملة ، العرب كلهم عايشين مع بعض كل واحدة لها راجل مكتوب على اسمها ولها واحد للفرفشة.

قالت كاملة : - من قال لك هذا يا مؤمنة؟

قالت فتحية : - ما هى حاجة تفلق إذا الواحدة عملت لجوزها حاجات من الدلع والفرفشة والوحدة لا تكون فى وعيها فتقول وتعمل حاجات وحاجات، فالرجل يشك ويقول لها أين تعلمتى هذه الأشياء؟ أكيد مع عشيقك، ويشك تبقى عيشتها طين، فلابد أن الواحدة تكون معه ساكتة مهما نقح عليها الشغل وكل شيء يقول لها عليه تستهبل وتقول له والنبى صحيح ؟ والله ما أعرف؟

يقوم ينبسط قوى ويفكر روحه سبع البرمبة.

قالت كاملة حرمكم يا قراجة : - غش وشيء لا يرضى الله.

قال شكرى : - حظك من السما يا قراجة.

قال حميد : - اسمع يا أخى باقى الحكاية.

قالت فاطمة عبد السلام : - والله ما أعرف؟ هى الواحدة بيكون فى عقلها فى الساعة دى أى كلام، والله لو واحد أو واحدة قاتلة قتيل إذا سألوها فى الساعة دى تعترف على طول، الوحدة تخربش وتزعق وتصوت وتقول كل ما فى نفسها ولا تقدر تستهبل أبدا. أنا يا ستى واحدة حامية لا يمكن أنكر خير ربنا علىّ أبدا، بعد جوزى بعشرة شهور كان عندى نبيلة وبعدين على الأربعين قال لى مساء الخير كان عندى عكاشة وخليل، بعد الميلاد بعد عنى جمعتين قعدت أدحلب فيه بعد أسبوع زنقته فى المقعد بقى عندى إبراهيم ، لكن ابن الكلب بيهرب وينام فى الغيط ورحت له على هناك وزنقته فى الدراوة لكن عمك أبو ذكى نادى عليه علشان الرى فهرب منى لكن الشتاء جاى حيروح منى فين، أنا لما بافتكره وأنا لوحدى بأبهدل نفسى وأعيط وبيكون نفسى أقتله.

قالت كاملة : - انت راكبك شيطان، استغفرى يا فاطمة.

قالت فاطمة : - كاملة كفاية أنا استحملت منك الغمز واللمز واحنا فى بيتك وكانت النسوان حيدقوا فى بعض جنازة وخناقة لرب السما فسحبت نفسى وجيت.

قال قراجة : - حميد تحلف على المصحف إن مافيش كلام تانى قالت كاملة.

قال شكرى : - افرض ، نسوان مع بعض.

قال قط : - الكلام أهون من الفعل.

قال عبده الصغير : - والله النسوان تتلف بعضها ولا مائة رجل يقدرون على إتلاف امرأة واحدة لكن ممكن امرأة واحدة مفسودة تتلف الكون وكفاية حواء من البداية إلى النهاية وليس وراهم كلام إلا فى هذه المواضيع.

قال قراجة : - كفاية البوخارية علينا.

قال قط : أعوذ بالله من غضب الله ، سفينة كبيرة تشق البوغاز بسوتها، مهرة، وابور طحين بسبع ماكينات تفح النار تحرق الهدوم (الكلام بالأدب) مبسوطين ، المهم

لكن فاهيمن.

قال عبده الصغير : - نار الله الموقدة.

من أول الزمان وهى على هذا الحال سواء متزوجة أو غير، ولكن تحب الشباب الصغير وتتدحلب معهم بالكلام والعيال كل يوم عندها يا أخى.

قال حميد : - وصاحبكم محمد عثمان حلال عليه، وكل زيارة المعسل والحشيش.

قال شكرى : - لأ...؟ كلام وبس لا يمكن.

قال قراجة : - كلام وخلاص إن بعض الظن إثم.

قال حميد : اثم ؟... اسم النبى حارسك قول الكلام الحلو لواحد غيرى، لكن أنا سحبتنى من العصر وأول ما قلت يا هادى لقيتنى فى سابع جهنم ومنها إلى المستشفى الأميرى للحميات وخمسة أشهر قتيل ولا حركة، وبعدين تقول إن بعض الظن إثم ، لأ إن كل الظن صح.

قال عبده : - والله لو أن حسينى أبو هميلة هنا كان أفادنا فى هذا الموضوع لأنهم جيران ، ولكن غطس ابن الديابة.

قال قط : - صاحبها الوحيد أبوك إبراهيم جود ايفيننج.

قال شكرى : - السكاكرة كلها مصريين وعرب عدا اتنين انجليز، كات أوف ذا ستى، إبراهيم جود ايفيننج.

قال قط : - أنا يونانى يا خشيم.

إبراهيم جود ايفينينج هو كلب الإنجليز، رجل مهطل كان طول عمره بيشتغل فى الكامب ابن الكامب، وتعلم الرطن وكان يكلم الأستاذ أحمد ويدلع مع محمد عثمان ، المهم اختارته الإنجليز يشتغل مراسله خدام يعنى فى مساكن الظباط فى الجلاء المعسكر ، وكان يقضى كل طلبات البيوت من الإسماعيلية والله العظيم هو الذى حكى لى هذه الحكاية وحكاها بعد أن شرب العسل الأسود المخمر (السريع) وبكى وقال حكم علينا الزمن نشرب خراء بعد ثرى هورس، وبلاك أند هوايت، وزيفاج، والفودكا، يعنى خمرة.

قال شكرى : - الإنجليز معاشهم كلة خمرة ؟ أعوذ بالله.

قال قط : - اصبر يا بقف.

عمك إبراهيم كان يبكى ويقول إنه تعرف على واحدة خواجاية تحب المنام اسمها مدام استيفن، وأخوك استيفن ظابط كبير فى الجيش، وكان بينهم علامات ، يقول أقولها جود ايفيننج، تقول جود ايفيننج إبراهيم أعرف أن فيه شغل، وإذا لم ترد فأعرف أنه ليس لها مزاج أو عندها عذر، المهم كنت أقلع ملط وأقوم بالمهمة، وفى يوم شحن عمك إبراهيم دماغة أفيون وحشيش وقال جود ايفننج، جود ايفننج إبراهيم، قام داخل على المطبخ وقالع هدومه بص لقى الخواجة استيفن قدامه قله أصل البلاعة عايزة تسليك و ... لم يسمع الخواجة وسحب إبراهيم على الحمام وأجبر إبراهيم على فعل الحرام معه، وخرج استيفن على النادى ، والست تقول جود ايفيننج إبراهيم وإبراهيم نازل عياط وأخذت تتمسح فيه فزعق فيها : - خلاص مفيش أخدهم استيفن، الله يخرب بيوتكم ، ولكنها أمسكت به ونادت الحرس وقالت إبراهيم حرامى.

وحاول عمك إبراهيم أن يشرح للضابط المصرى الحكاية وقال له معقول أقدر أقول يا خواجة الست تبعك كذا وكذا ، وياست الخواجة تبعك كذا وكذا؟

قال له الضابط : - أنا كمان لن أقول ولكن طريق الخبص آخره زفت.

وجاء الخواجة استيفن وقال : - إبراهيم حرامى اعمل اغتصاب مدام بتاعى.

قال ابراهيم : - غلط يا خواجة مفيش اغتصاب كل يوم بنعمل آخر حلاوة لكن أنت أخذت حقها وأنا قدرتى واحد بس اعمل ايه، عايزين واحد بروحين.

وشرب عمك إبراهيم ثلاثة شهور فى الحربى وخرج بعد خروج الإنجليز فاصطاد البوخارية وحاول أن يعلمها جود ايفيننج ولكنها لا تحتمل الكلام عايزة الفعل فجعلت حياته بلاك فى بلاك.

سمعوا طرقا على الباب ودخلت كاملة.

- مساء الخير ، حضرة العمدة باعت خفير علشان تروحوا له فى الدوار.

نظروا إلى بعضهم وقالوا : - خير إن أراد الله.
يا ساتر يا رب.
وساروا ولكن كان هناك شيء خلف جدار الليل يطلق ضحكته في شماتة.

(١١)

تباعدت أصوات الطبل والزمر والفرح وصاجات الرقص بعيدا عن سطح مياه راكدة من الأفكار يغرق فيها جميع الذاهبين إلى دوار العمدة.

وساروا يضربون الأرض فى عماء التخمين وقد أدخل قراجة يده فى فتحة جلبابه وأرخى رأسه على صدره فلابد أن الموضوع يخصه، وكذلك تبعه الباقون.

قال شكرى : - ناقص واحد يا جماعة.

رد حميد : - حنكش.

قال قراجة : - أكيد سبقنا إلى هناك.

خمن كل منهم فى الاستدعاء إلى دوار العمدة، واستطاعت عتمة الليل أن تزيد مخاوفهم تشويشا ولكن قراجة قال فى نفسه : إذا كانت المياه عادت إلى مجاريها فى موضوع قط البندر فلماذا الاستدعاء؟

ربما هناك كلام فى الموضوع؟

ربما يكون حنكش الكلب لسن بكلام فى الموضــوع وخاف العمدة فبلغ المركز؟

لا يمكن فالعمدة لا يرجع فى كلامه حتى ولو على رقبته، ولكن قلبى غير مطمئن وكأننى داخل على مصيبة.

كان قط البندر غارقا فى ندمه ويقول لنفسه: كان ضرورى أعترف للعمدة؟ لأ كان ضرورى، لأنه كان سيعرف وبالتفصيل ، ثم إنه قال سيقرصنى قرصة تطلع بالدم فى يوم من الأيام فهل جاء هذا اليوم سريعا؟

ثم إن شيخ الخفراء هبر العشا وقال خلاص ولّح للحلاوة،

ماذا يمكن أن يكون قد حدث وبسرعة؟

ثم إننى كسرت سم حنكش وأى واحد يتكلم فى الموضوع باعترافى ، يمكن لقوا سلاحا فى دركى أو حادث؟ وما لزوم شكرى وعبده وحميد؟

لا يوجد موضوع يجمعنا إلا الطلق وقطع سلك التليفون، الله أعلم؟

اسمع يا قط أنت طول عمرك سبع، ولا يهمك السجن للجدعان ، وارمى حمولك على الله ليس عندك ما تخاف عليه إلا كرامتك.

كان حميد الطبال هو الوحيد الذى يحس بالأمان لأنه لم ينزل مع قراجة وقط وليس له علاقة بالخفراء، ولكنه مع هذا لا يحس بالأمان ، ربما شىء قديم ظهر تحت أيديهم زعل فى نفسه وقلب الأمر على جميع أوجهه فلم ير له وجه يستطيع أن يتأمله ليدين نفسه فيه وخاصة أن حنكش ليس عنده فى هذا الموضوع ما يقوله للعمدة بعد اعتراف قط وتذكر حميد شيئا فخفق قلبه بشدة وقال بصوت عال:

– يا ساتر يا رب، هل يمكن ؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قالوا له : – خير؟

رد نفسه إلى موضعها وقال : – هل يمكن أن يبلغ حنكش المركز ؟

وهذا صعب لأن تليفون العمدة هو التليفون الوحيد

بالبلدة وحتى لو تسحلب حنكش ودخل الدوار فلابد أن يلمحه محمد أبو سليمان حارس السلحليك، ولكن محمد أبو سليمان لا يهتم إلا بشهوته ودعائه المشهور – والله هو عندى أعز من أولادى، ربنا يجعل يومى قبل يومه، ولا يذلوش أبدا أو يكسر رأسه ، دائما مشرفنى وسايب علامات وراءه – ومع أن حنكش لن يجد هذه الفرصة إلا أن بداخل حميد مناطق سوداء مجهولة ومخيفة.

كان عبده يسير خلفهم خائفا وبَسْ لا يريد أن يعرف، وخائف موت ويدعو الله ألا يتعلق الأمر ببيته.

زعق فيه قط البندر : – خف نفسك يا عبده.

– والله رجلى ثقيلة وحاسس أننى ساقع فى بئر.

زاد سواد الليل وساده صمت غريب ومريب وزاده عدم خضوع سواد الليل لأعمدة الإنارة الحديثة والتى حرض الظلام العشاق واللصوص والعيال على سرقة اللمبات بحجج مختلفة، والبعض سرقها ليعلقها فى داره حتى تصبح مثل دار العمدة بها لمبة كهرباء.

بصت من بعيد عيون الكهرباء من شبابيك الدوار ودار

العمدة، بصت لمبات الكهرباء على القادمين يجرون أرجلهم ولم تميزهم في عتمة الليل ولكن الرهط القادم أحس أنه اقترب من الخوف.

اقتربوا وكلما اقتربوا زادت عيون الكهرباء من بحلقتها أكثر وأكثر حتى أحنوا رؤوسهم ونادى قراجة : – يا ساتر.

لم يرد عليه إلا كلب العمدة فدخل قط وأبعد الكلب.

– خلاص يا بيفو.

زام الكلب وسكت، وعلى أضواء اللمبات شاهد قط البندر أثر عجلات عربة في حوش العمدة.

– دورية.

وأراد أن يستريح ويريح دماغه ولكنها أبت إلا إقلاق راحته، فأخرجت الهواجس لسانها له فنادى في الظلمات خارج الدوار...

– يا ساتر.

جاء صوت من الداخل : – ادخل.

دخل قراجة ومن معه إلى داخل الدوار فوجدوا محمد

أبو سليمان يبكى فى حجرة السلاحليك.

- خير يا محمد.

- لا خير ولا غيره.

قال : - العمدة ؟

قال لمحمد : - فى البيت.

سمع صوت فتح الباب وصوت العمدة : - السلام عليكم.

يا محمد اقفل علينا الباب.

خرج محمد أبو سليمان وأقفل الباب فأخرج العمدة المصحف من جيبه وقال :

- يا جماعة من كان جنبا أو عنده عذر فلا يحلف، الفاتحة للنبى.

قال قط وهو مازال واقفا : - خير يا حضرة العمدة، كلنا أطهار.

كان وجه العمدة يحمل كربا عظيما ، قال :

- كل واحد يحلف عن نفسه، وكل واحد يحلف أن يقول الحق ولا شىء غير الحق، تفضلوا احلفوا أمسك كل

واحد بالمصحف وأقسم أن يقول الحق ولا شيء غير الحق.

قال العمدة:

– من حوالى ساعتين وجدنا الأستاذ محمد عثمان مرمى قدام بيتهم مغمى عليه وطافح دم ولا توجد به إصابات ويلبس جلبابا أبيض على اللحم، والروح فيه بس تعبان قوى؟

أبلغنا المركز والإسعاف وهو فى مستشفى ههيا ومعه شيخ الخفراء، والنيابة والبوليس ماليين البلد وقبل أن يصلوا إليكم أعرف الحكاية هو صاحبكم ويسهر معكم.

قال شكرى : – يا خبر أسود، وأهله يا حضرة العمدة؟

قال العمدة : – غير موجودين كأنما الأرض انشقت وبلعتهم؟

قال حميد : – يمكن تسمم؟

قال العمدة : ولد يا حميد، أنا أريد الحقيقة، إذا عاش فسيحكى هو الحكاية ، ولكن إذا مات كيف أسوى الدور ؟

لا يمكن إلا باعترافكم.

قال قط : – يمكن واحد من أهله عملها وظن أنه مات وهرب.

قال العمدة بغضب : – افهم يا حمار، مالى أنا ومال إذا عاش، إذا مات هل هى مشاكل بينه وبين أهله؟ والدليل؟

هل كان زهقان من حياته؟ كان يسهر معكم هل قال أى كلام له شهود ودليل على هذا؟

هل أحد منكم عنده استعداد يتكلم؟

قال قط : – لابد من إحضار أهله لسؤالهم.

قال العمدة : – أرسلت إلى أخته فى طنطا لسؤالها ، كما أرسلنا مخصوص إلى السماعنة والكبار من العائلة الذين هنا سلموا الأمر لله ولى للتصرف.

قال حميد : – يا حضرة العمدة المختصر المفيد أن محمد عثمان كان يسهر معنا كل ليلة ومن حوالى عشرة أيام لم يحضر وذهبنا إلى داره وخبطنا على الباب ولكن أحدا لم يرد ؟

قلنا لعله سافر، ولكن وهو معنا فى السهر كان يسرح كثيرا وعندما نقوم نروح كان يتركنا ويسير على الطريق الطوالى وسط المزارع.

قال قراجة : – يا حضرة العمدة كل واحد منا عنده همه ناقصين محمد عثمان ؟ .

ثم إنه كان غائبا عنا من سنين ضرورى ييجى يموت هنا ويختار ليلة العرس، أعوذ بالله .

قال العمدة : – ربما يكون موت نفسه أو أحد من البلدة رآه فى وضع مش مظبوط، أو أحد أقاربه بينه وبينه شيء ؟

ولكن هل أحد منكم يعرف عنوانه فى مصر؟

قالوا : – أبدا .

قال : عنوان شغله ؟

قالوا : – أبدا نحن لا نعرف له شغل.

قال عبده الصغير : – ربما الحشيش كبس على نفسه، وكان جعان فخلص.

قال شكرى : – والله يمكن حنكش أو حسينى أبو

هميلة عندهم كلام.

قال العمدة : - حسينى أرسلت له خفيراً، وحنكش معلق فى السقف لأنه لابد أن يكون عنده كلام.

قال قط : - ابن الكلب الجاسوس، يعرف أخبار البلد كلها.

قال العمدة : - كان موجوداً هنا ساعة حضور الإسعاف ورأيته يتسحب فأمسكت به فقال :

والله العظيم لا أعرف شيئاً يا حضرة العمدة، ولكن أنا قلت خلبوص يستمر معلق إلى أن أعرف الحقيقة.

دخل الخفير ومعه حسينى أبو هميلة:

- تمام يا حضرة العمدة حسينى جاهز ، لكن عايزينك؛ عند أرض السيد الوسخ، النيابة والبوليس هناك لأن السيد الوسخ وجدوه مقتولا ومتعفن الجثة فى الرشاح والدنيا مقلوبة لأن البوليس لقى عضوه مقطوعاً وموضوعاً فى فمه، وعصا طويلة فى مؤخرته.

قال العمدة : - عبد الحميد عملها ألف سلامة يا جدع.

قال الخفير : - عبد الحميد سافر إلى السويس ومنها إلى الحجاز من أربعة أيام.

قال العمدة : تسلم يا عبد الحميد، يا خفير طيران على بيت عبد الحميد إذا واحد سألهم عنه يقولوا..

قال الخفير : - البوليس سأل وخالتك زينب مراته قالت لهم الحاج في الحجاز من جمعتين.

قال العمدة : - الحمد لله حنكش محبوس عندى وخلصنا من السيد الوسخ ، ومحمد عثمان واضح أن العملية منهم فيهم يعنى السكاكرة تستحم وترفع رأسها.

قال قراجة : - السكاكرة تستحم حموم العيد الكبير، والفقى المسعد يأتى له مأتمان فى ليلة واحدة.

ولا يهمك يا عمدة احنا معاك.

قال العمدة : - أنا أعرف شغلى كويس وموضوع مقتل السيد الوسخ اليوم عيد وعبد الحميد أفديه بدمى ولن يتكلم أحد من البلد ضدنا وحنكش عندى، ولكن موضوع محمد عثمان.

قال شكرى : - وإذا تكلم حنكش بعد عمر طويل؟

قال العمدة : - أنا توكلت على الله ونويت قطع لسانه.

على كل حال سأذهب للبوليس فى الأرض وإذا عرفتم أى أخبار أو جاء شيخ الخفراء من المستشفى يأتى لى عند الأرض، توكلوا على الله.

لما وقف عبد الله الهادى أمام دكان حسنى البقال كان قد صمم ، وإذا صمم فلا يمكن لأى شىء كائنا من كان أن يرجعه عن تصميمه وتنفيذه.

وقف على باب الدكان واستند بكوعه على البنك ، وأخذ ينقل عينيه بين أرفف الدكان وهو يشاهد كل المعروضات، من علب الإبر الرفيعة والتنجيد والحلاوة الطحينية والمعسل والسجائر واللبان والكراملة واللب والقماش البفتة والملس والحرير والبطاطسا والشيت والبيكة ، صمم على أن يفعلها مهما كان.

فكر في زوجته (فرج الله) وأولاده وغضب من العيشة وأحوالها وعزت عليه فرج الله لكن ماذا يفعل؟ ما باليد حيلة، لابد أن يفعلها حتى لو قتل حسنى.

وكان لابد أن ينتظر حتى يخلو له الدكان ويصبح وحيدا مع حسنى، تحسس جيب الصديرى واطمأن أن

كل شىء فى مكانه.

وعندما وقعت عيناه عليه لامعا مطويا على بنك داخل الدكان تأكد أن حسنى ليست لديه أى فرصة للمقاومة.

خلا الدكان ولم يبق إلا عبد الله.

قال حسنى : - خير يا عبد الله.

قال عبد الله مداهنا : - ثوب حرير ملس لفرج الله.

استدار حسنى وأمسك بالسلم فزعق فيه عبد الله : - لأ .. من هنا.

وأشـــار لحـسنى إلى اللامع الذى على البنك، قـــال حـسنى : - اسكت يا عـبـد الله الحـرير الملس هنا على الرف.

قال عبد الله : - لأ يا حسنى من هنا على البنك.

نزل حسنى بالبالطو وفرده أمام عبد الله وقرب البطانة الحرير منه وقال له : بالطو.

غـضب عـبد الله ولم يسـمع ولم يرد وسـار فى طريقـه فلمح زوجته فرج الله فزعق فيها.

- بت يافرج الله خذى ثوب حرير أسود ملس من عند

حسنى لك.

ردت والذهول ينسيها الطين والروث الذى تحمله ويرفعها إلى عدم الفهم.

- خير يا عبد الله؟

قال صارخا: - خلاص يا بنت الكلب، انتهى الموضوع جَرَى على حسنى، بعدين يافرج، ذهبت فرج الله إلى دكان حسنى ففاجأتها ضجة من الضحك خارجة من الدكان وما حوله وسمعت حسنى يحكى الحكايات عن عبد الله، فأحست كأن أحدا من الناس دلق عليها جردل ماء وسخ وأحست بالخزى ولكن حبها لعبد الله زاد مائة مرة، وبصقت فى وجه حسنى وعادت إلى الدار.

لم تكن هذه هى الحكاية الوحيدة التى تذكرها قراجة ونسى أن يحكيها لهم فى الجلسات السابقة، ولكه أفاق فوجد نفسه مع الشلة يسيرون خارج دوار العمدة ولا يعرفون إلى أين؟

كانت الشمس تفيق من نوم هانئ طوال الليل فقامت تبص عليهم من خلف النخيل بنصف عين .

فقال عبده الصغير : - الصبح حاضر ضاع يا جماعة، الله يلعن أبو حنكش والسيد الوسخ ويكحر روحه ومعاهم محمد عثمان.

قال شكرى : - خلاص نصلى قضى.

قال حسنى أبو هميلة : - نقسم أنفسنا قسمين ، قسم يذهب عند العمدة ليعرف الأخبار وقسم يذهب إلى بيت محمد عثمان يمكن أهله رجعوا.

قال حميد : - خلاص أنا وحسينى وعبده عند بيت محمد عثمان، وشكرى وقط وقراجة عند العمدة لنعرف الأخبار.

أخذت الأقدام طريقها بلا جدال إلى الأماكن التى تم تحديدها.

ما إن أخذ قط وقراجة وشكرى طريقهم باتجاه العمدة إلا وقابلهم الخفراء والعمدة على بداية الطريق عائدين من الحقول فانتظرهم وعادوا معهم قال قط :

- خير يا حضرة العمدة ؟

قال العمدة بدون نفس : - خير إن شاء الله .

قال شكرى : – المفيد يا حضرة العمدة.

قال العمدة : – أبدا النيابة صرحت بالدفن والجثة مع الإسعاف يدفن بعيدا عنا وإن شاء الله أذهب باكر إلى المركز ومعى بعض الشهود وننهى الموضوع، وتقيد ضد مجهول، مالنا وهذه الأشكال الوسخة.

قال قراجة : – غريب وعربيد، يا سلام وعايز يموت هنا؟

قال العمدة : – لو أن الفاعل من هنا كان قتله بعيدا عن هنا.

قال شكرى : – مضبوط يا حضرة العمدة ولكن (ومال شكرى على أذن العمدة) فأشار العمدة إلى جيبه قائلا ملك البلد، والعقد هنا.

قال قط : – يبقى مدرسة ومستشفى.

قال العمدة : – معهد دينى ابتدائى وإعدادى وثانوى ، وبمجرد إنهاء الموضوع فى النيابة أسافر الى القاهرة وأنهى الموضوع مع الأزهر، ويوم الجمعة كل واحد يطلع ما هو عليه كيلتين أرز وقمح أو أربعة ذرة أو نصف

قنطار قطن.

قال قراجة : - كتير يا عمدة،

- نحن نطالب بالكثير لنضمن القليل.

دخل الرهط إلى دوار العمدة فنادى يا ولد الفطار والشاى.

وما إن جلس العمدة والرهط إلا ودخل الخفير فبادره العمدة قائلا :

- عايز عشر رجالة للشهادة فى موضوع القتيل علشان يفهموا الكلام الليلة، وباكر من بدرى تاخدهم انت وقط وتسبقونى على المركز.

خرج الخفير فأكمل العمدة :

- ربنا يرجعك لنا يا عبد الحميد بالسلامة سلمت يداك، وحج مبرور وذنب مغفور .

جلس البعض لا يفهم والبعض يفهم وعندما دخلت صنية الإفطار والشاى مدوا الأيدى ونسوا الكلام ولم يهتم أحد منهم إلا بنفسه، ولو رفع أحدهم رأسه لوجد العمدة لا يأكل، قال العمدة بصوت يأتى من بعيد: -

يمكن أهله سمموه وهربوا؟

قال قراجة : - سم، ؟ مدبوح.

- يا ابنى محمد عثمان.

دخل عبده الصغير وحميد وحسينى أبو هميلة ودخل عبده فى الكلام دون إلقاء السلام .

- لا أحد يعرف عنهم شىء، ولا الجهة التى ساروا فيها ، ولا صريخ ابن يومين هناك و .. انتفض العمدة لدى دخول شيخ الخفراء.

- خير يا سجيعى.

- بعد غسيل المعدة المستشفى لم يجد بها شيئاً، والنزيف توقف، وقالوا الحالة غير مستقرة ويمكن يدخل فى غيبوبة تانى، والخراطيم شغالة فى دراعة وعنده عسكرى من البوليس مربوط جنب السرير.

قال العمدة : - يا قط الحقنى بالشهود على المركز ، ويا شيخ الخفر عليك بناحية العرب من يظهر اربطه فى الدوار لحين رجوعى.

قال شيخ الخفراء : - والمباحث نازله سؤال فى البلد.

قال العمدة : - لا تخف على السكاكرة ، سأحل كل المواضيع الليلة، معاك الرجال.

نظر شكرى إلى قراجة وإلى حسينى ومرت النظرات بسرعة فقاموا جميعا تاركين الخفراء - سلامو عليكم.

انصرف كل منهم إلى بيته ولكن بقيت الأسئلة تحوم وتلف وإجابتها معروفة ولكن المهم كيف قتله؟

كانت الإجابة يحوطها الفخر والاعتزاز ، ولكن فى عز الفرجة بمقتل الوسخ، نتلعبك فى موضوع محمد عثمان - سبحان الله يا أخى.

أتى الليل ومضى ، وجاء النهار ومضى وكل منهم فى بيته تراوغه الأسئلة، ويقف وراء شباك عدم الفهم ليلقف الإجابة من أفواه الناس لأن كل منهم يحس أنه مسئول عن محمد عثمان، ولكن الناس تعاند والسكاكرة أقفلت فم الناس بطين وعجين، وكأن السكاكرة فراغ؟

أين حفنى وست الناس وعائشة الخياطة ؟

بعد صلاة العشاء تقابل حميد وشكرى فقال شكرى :

- حنكش فى البيت مكسر، ويدهنون جسمه بالزيت،

ولا يرد ولا يصد.

قال حميد : – معنى ذلك أن العمدة رجع من المركز.

– ضرورى لكن لا أخبار سمعنا ولا شىء.

سـارا فى طريقـهم إلى بيت قـراجـة وهناك وجـدوا حسينى وعبده فى انتظار قراجة الذى خرج لهم من البيت لحظة وصول قط البندر.

– على فين العزم ؟

قـال شكرى : أهلا يا قط، العمـدة وصل ؟ الأخـبـار؟ محمد عثمان؟ هل ظهر واحد منهم؟

قـال قط : – أنا أنفـذ الأوامـر، العـمـدة فى الدوار والأخبار عنده.

قال حسينى : – عيب يا قط لا تتركنا على عمانا احنا أصحاب على الحلوة والمرة .

قـال قط : – صـحـاب على المرة يعنى كل واحـد عنده مرأة زى الزفت ، لكن على الحلوة؟ يعنى لو واحد وقع مع حاجة حلوة نبقى صحاب ؟

قال حميد : – أنت فايق يا أخى.

قال قط : - الأخبار ، العمدة جمع واحد كبير من كل عائلة وقفل الباب عليهم ومحمد أبو سليمان واقف على الباب.

حثوا الخطى إلى دوار العمدة حتى صاروا وجها لوجه مع محمد أبو سليمان.

قال قراجة : - سلام عليكم .

قال محمد أبو سليمان : العمدة دخل ينام ولم يحقق معكم.

قال شكرى : - أوامر العمدة وأوامرك بس الأخبار.

وغمزه حميد فى كتفه : - انت المهم يا سلومة.

نفض محمد أبو سليمان جلبابه وعلق إبهامه فى فتحة الجلابية بعد أن عدل الطاقية وقال :

- الموضوع الأول حفظ التحقيق، دفن بواسطة المركز لأن أهله رفضوا استلام الجثة، والعمدة كان قد اشترى منه الفدان ومعه العقد والشهود وسجله اليوم.

الموضوع الثانى محمد عثمان فاق من الغيبوبة وهو أخرس ومشلول وشكله كبر فى السن يطلع عشرين سنة،

والحكما خايفين من المضاعفات.

قال قط : - الحقيقة متوقفة على ظهور أهله.

قال حميد : - انتظرهم يا سيدى .

كان الظلام نائما بكماله وتمامه وجلاله فوق السكاكرة وأغلق عيون الضوء فالتحمت البيوتات كتلة من اللحم الحى تنبض بالمجهول، وكأنها مارد على وشك القيام، ليل كالفتنة لا يمكن تلافيه، وكأنما هذه الطرق اللئيمة قد صارت فاقدة لذاكرتها فلم تقل أين أهل محمد عثمان.

لم نعرف ماذا حدث له بالضبط .

متى تظهر الحقيقة ومتى يظهرون؟

خرج حميد وشكرى وقراجة وحسينى أبو هملية وعبده وتركوا محمد أبو سليمان وقط البندر أمام الدوار.

كانوا صفا واحدا أمام الدوار واتجهوا إلى السكاكرة وذابوا فى ليلها الدامس تاركين خلفهم سؤالا.

- متى اشترى العمدة الفدان من القتيل ؟

هل كانت بينهم علاقة ؟

العقد كان مع عبد الحميد.

قال شكرى : - إذا لم يعد عبد الحميد من الحجاز فلابد أن العمدة..... ولم يكمل جملته لأنه وجد نفسه وحيدا.

صلاح والى

صدر للمؤلف:

١ - نقيق الضفدع - رواية - الهيئة المصرية العامة للكتاب ٨٨.

٢ - ليلة عاشوراء - رواية - دار الهلال أكتوبر ٩٢

٣ - عائشة الخياطة - رواية - مختارات فصول ٩٦

صدر مؤخرا عن (أصوات أدبية)

٢٦٨- مكاشفات شخصية .... شعر : بهاء جاهين
٢٦٩- أقانيم .... قصص : اسماعيل البنهاوى
٢٧٠- مرايا الذات الأخرى .... رحلة : صبرى حافظ
٢٧١- ديوان غزالى .... كابتن غزالى
٢٧٢- الصنم .... رواية : أشرف الخمايسى
٢٧٣- منازل القمر .... قصص : سُمية رمضان
٢٧٤- مواقيت البهجة .... قصص : عزت القمحاوى
٢٧٥- عضم خفيف .... شعر : سعدنى السلامونى
٢٧٦- حافة الود .... رواية : نبيل نعوم
٢٧٧- صانع الصدمات .... قصص : أسامة خليل
٢٧٨- السبعة .... شعر : عادل عزت
٢٧٩- عشرين سنة على سلم المترو.... حمدى عبد العزيز
٢٨٠- ضرورة الكلب فى المسرحية... شعر : جرجس شكرى

٢٨١- نجع السلعوة .... رواية : أحمد أبو خنيجر
٢٨٢- طائر الفخار .... شعر : محمود نسيم
٢٨٣- كائنات هشة الليل .... رواية : صلاح والى

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/٣٥٦٢

الأمل للطباعة والنشر